جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
بالمنوفية

التَّضْمِينُ اللُّغَوِيُّ
فِي
القِراءَاتِ القُرْآنِيَّة
مَفْهُومُهُ وأَسْرَارُهُ الدَّلَالِيَّةُ

الدكتور

مصطفى أحمد محمد إسماعيل

مدرس أصول اللغة بكلية اللغة العربية
جامعة الأزهر الشريف (فرع المنوفية)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ري العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة الله للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإنَّ القرآنَ الكريمَ مصدرُ اللغةِ العظيمُ، وأساسُها القويمُ، ارتباطُ علومِها به ارتباطٌ وثيقٌ، لا تنفك عنه، ولا يقع بينهما انفصامٌ، به تعلو، وإلى مقاصده تسمو، ومن أجله تبقى، ولشرف مكانه ترقى، لا منزلة رفيعة لها لولاه، والمتمسك بكل ما فيه يبلغ العزَّ ومنتهاه؛ فالعَلاقةُ بين القرآن الكريم واللغة العربية علاقةٌ تبادليةٌ؛ هما وجهان لعملة واحدة، حيث تجاوز القرآن باللغة حُدودَها وعُرفَها إلى آفاقٍ لم تطرقها من قبل، وأعطت العربية للقرآن بُعدًا لغويا لم يسبقه مثيل، وكانت أداة مثلى للتعبير عن دلالاته ومراداته.

إنَّ بِنا كبيرَ حاجةٍ لدراساتٍ قرآنيةٍ تتناسبُ مع خصوص النظم القرآني وسُمُوِّ بيانه وعُلو بلاغته، وتتواءمُ مع وظيفة هذا الخطاب من حيثُ كونُه نصا ثابتا إلى يوم القيامة ومعنًى متحركا إلى يوم الدين؛ وقد عكف عليه العلماء والدارسون –منذ فجر نزوله إلى يومنا هذا– بالبحث والتنقير لاستخراج اللآلئ والدرر الكامنة فيه في كل مجالات العلوم على

كثرتها، لكنه سيبقى الكتاب الذي لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا تنطفئ أنواره على مر العصور وتطاول الأحقاب والدهور لما انماز بـــه من تراكيب بليغة ومعان عجيبة تعطي من نشد أُكُلها، ويانع قطافها.

لقد أودع الله قرآنه طاقة مكتنزة في الألفاظ والتراكيب اللغوية، وكـــل لفظة تختزن طاقة تعطيها أو جزءاً منها حسب وضعها في النظام اللغوي، وما يتوفر لها من تعاون وانسجام مع بقية المفردات في الجملة وما يتهيـــأ لها من حسن الجوار، وربما تحتفظ بهذه الطاقة المختزنة عنـــد شـــعورها بالقلق أو الضيق في نظام معين.

تأتي الكلمة الواحدة تحمل في طياتها أكثر من معنى وأكثر من دلالة لغوية، ويُشرَبُ لفظٌ معنى لفظٍ آخر فيؤدى مؤداه ويأخذ أحكامه، وهو مـــا يُعرف بأسلوب «التضمين»، هذا لا يتأتى لأي لغة حية على نحو ما فـــي العربية التي رفع الله شأنها دون لغات أمم الأرض يوم أن أنزل بها هـــذا القرآن المجيد، وتعد القراءات القرآنية من أهم الينابيع والمصادر الحافلـــة بهذه الظاهرة حتى إنها تكاد تُشكِّل إعجازا لغويا قائما بذاته.

والتضمين يعد صورة من صور إثراء المعنى، يحدد مســـار اللفـــظ، ويلبي غرضه، ويفتح للنص آثاراً تعين على إدراك المزيد من احتمالاته، ويخلع على اللفظ روحاً ترفرف في جناحيه، وربما أخذوا على التضـــمين أنّه غامضٌ ولكنّ الحُسنَ كذلك، وأنه مُحيِّرٌ ولكنّ السُّمُوَّ البيانيَّ كذلك، وأنه مُخالف للمألوف ولكنّ الحقَّ كذلك؛ فهو «**من أَسَدِّ وأَدمث مذاهب العربية،**

وذلك أنه مَوضعٌ يَملك فيه المعنى عِنَان الكلام فيأخذه إليه، ويصرِّفه بحسب ما يؤثره عليه»(١).

ولذا كان هذا البحث تلمُّسًا لدراسة هذه الظاهرة اللغوية في ضوء القراءات ــ متواترة وشاذة ــ وجاء تحت عنوان «**التضمين اللغوي في القراءات القرآنية... مفهومه وأسراره الدلالية**»، واقتضت خطته أن يكون في مقدمة تبين أهمية الموضوع ومكانته في الدرس اللغوي، ثم مبحثين أحدهما للدراسة النظرية للتضمين، والثاني للدراسة التطبيقية، ثم خاتمة فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث، يعقبها ثبت لأهم المراجع والمصادر ثم آخر للموضوعات.

اللهم تقبل منا العمل، وتجاوز عن الخطأ والزلل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الدكتور

مصطفى أحمد محمد إسماعيل
مدرس أصول اللغة في كلية اللغة العربية
جامعة الأزهر الشريف، (فرع المنوفية)
جريس. أشمون. منوفية

(١) المحتسب ٥٢/١.

المبحث الأول
الدراســـــة النظرية

وفيها ستة مطالب:

المطلب الأول: التضمين في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: التضمين اللغوي والدلالة.

المطلب الثالث: القرائن الدالة على التضمين.

المطلب الرابع: أنواع التضمين ومجالات استعماله.

المطلب الخامس: التضمين اللغوي بين القياس والسماع.

المطلب السادس: التضمين بين الحقيقة والمجاز.

المطلب الأول

التضمين في ضوء المعجم والاصطلاح

التّضمينُ مصدرٌ قياسيٌّ على وزنِ التّفعيل، وفِعلُه الماضِي (ضمّن) على وزن (فعّل)، من الجذر اللغوي (ض م ن). و«الضَّادُ وَالْمِيمُ وَالنُّونُ أَصْلٌ صَحِيحٌ، وَهُوَ جَعْلُ الشَّيْءِ فِي شَيْءٍ يَحْوِيهِ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: ضَمَّنَتُ الشَّيْءَ: إِذَا جَعَلْتَهُ فِي وِعَائِهِ، وَالْكَفَالَةُ تُسَمَّى ضَمَانًا مِنْ هَذَا؛ لِأَنَّهُ كَأَنَّهُ إِذَا ضَمِنَهُ فَقَدِ اسْتَوْعَبَ ذِمَّتَهُ، وَالْمَضَامِينُ: مَا فِي بُطُونِ الْحَوَامِلِ»[1]. وفي لسان العرب: «ضَمّن الشيءَ الشيءَ، أودعه إياه، كما تودع الوعاءَ المتاعَ، والميتَ القبر، وقد تضمّنه هو... وكُلُّ شيءٍ جعلته في وِعاءٍ فقد ضمّنته إيّاه»[2]، وفَهِمْت مَا تضَمَّنه كِتَابُكَ أَي مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ وَكَانَ فِي ضِمْنه، وأَنفَذْتُه ضِمْن كِتَابِي أَي فِي طَيّه[3]. وجاء في المعجم الوسيط: «ضمن الرجل ضمانا: كفله أَو التزم أَن يُؤَدِّي عَنهُ مَا قد يقصر فِي أَدَائِهِ، وَضمن الشَّيْءَ جزم بصلاحيته وخلوه مِمَّا يعِيبهُ، وضمنه: احتواه... وضمن الشَّيْء الْوِعَاء وَنَحْوه: جعله فِيهِ وأودعه إِيَّاه...وتضمن الْوِعَاء وَنَحْوه الشَّيْء: احتواه واشتمل عَلَيْهِ، وتضمن العبارةُ معنى: أفادته بطريق الْإِشَارَة أَو الاستنباط،... والتَّضْمِين عِنْد عُلَمَاء الْعَرَبيَّة على معَان: مِنْهَا إِيقَاع لفظ موقع غَيره ومعاملته مُعَامَلَته لتَضَمّنه مَعْنَاهُ واشتماله عَلَيْهِ»[4].

---

(١) مقاييس اللغة (ض م ن) ٣٧٢/٣.

(٢) لسان العرب (ض م ن).

(٣) الصحاح (ض م ن) ٢١٥٥/٦

(٤) المعجم الوسيط (ض م ن) ٥٤٤/١.

ـ و«التضمين» مُصطلَحٌ مُتعدِّدُ الدّلالة، فيرِدُ عند الفقهاءِ ويُرادُ بـه: تضـمينُ الصنّاع ما أتلفوا من مواد[1]، ويرد في علم القوافي بمعنى: «أن تتعلـق قافيـة البيت بما بعده على وجه لا يستقل بالإفادة»[2]، ويمثلـون لـه بقـول النابغـة الذبياني:

وهُم وَرَدُوا الجِفَارَ عَلَى تَمِيمٍ * وَهُمْ أَصْحَابُ يَوْمِ عُكاظَ، إنِّي

شَهِدْتُ لَهُمْ مَوَاطِنَ صَـادِقَاتٍ * أَتَيْتُهُمُ بوُدّ الصّـدْرِ منّي[3]

فقد وقع صدر البيت الثاني (شَهِدْتُ) خبر (إنّي) قافية البيت الأول ولا يـتم معنى البيت الأول إلا بجملة (شهدت)، وإنما سمي بذلك؛ لأنك ضَـمَّنْتَ البيـت الثاني معنى الأول؛ لأن الأول لا يتم إلا بالثاني[4]، وفي حسنه وجـوازه كـلام مبسوط في موضعه[5]. قالَ ابنُ سِيْدَه(ت٤٥٨هـ): ولـيسَ ذلِـكَ بعَيْـبٍ عنْـدَ الأَخْفَش(ت٢١٥هـ).

---

(١) بدائع الصنائع للكاساني ٤/٥، وينظر: بداية المجتهد لابـن رشـد القرطبـي ١٧٥/٢، والمحلى لابن حزم ٢٠٢/٨.

(٢) المعجم الوسيط ٥٦٥/١ ومقاليد العلـوم فـي الحـدود والرسـوم ١٣٠، والتعريفـات للجرجاني ٨٤.

(٣) ديوان النابغة ص ١٢٣، والجفار: بكسر الجيم، ماء لبني تميم، ويوم عكاظ: حرب كانوا فيها مع قريش. والمعنى: هذه المواطن التي شاهدتهم صدقوا القتال فيها وذهبـت بـودّي إليهم وعطفت محبتي عليهم.

(٤) الكافي في العروض والقوافي للخطيب التبريزي ص ١٦٦.

(٥) ينظر: المثل الثائر لابن الأثير ٣٢٤/٢، والكافي في العروض والقوافي للتبريزي ١٦٦، والإقناع في العروض وتخريج القوافي للصاحب بـن عبـاد ٢٠٠، وموسـيقي الشـعر وأوزانه: د محمد عبد المنعم خفاجي ١١٩، والبنيات الإيقاعية من خلال العروض القافيـة في ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء والمحدثين: د. البدراوي زهران ١١٩/١.

وقالَ ابنُ جنيٍّ (ت٣٩٢هـ): هذا الذي رَوَاه أَبو الحَسَنِ مِن أنَّ التَّضْمِينَ ليسَ بعَيْبٍ، مَذْهب تَراهُ العَرَبُ وتَسْتَجِيزُه، ولم يعب فيه مَذْهبَهم مِن وَجْهَيْن:

أَحدُهما السّماعُ. **والآخَرُ:** القِياسُ.

أَمَّا السّماعُ فلكَثْرَةِ ما يردُ عنهم مِن التَّضْمِين، وأَمَّا القِياسُ فلأنَّ العَرَبَ قد وَضَعَتِ الشِّعْرَ وَضْعاً دلَّتْ به على جَوازِ التَّضْمِين، وذلكَ ما أَنْشَدَه أَبو زَيْدٍ وسِيْبَوَيْه وغيرُهما مِن قولِ الرَّبيعِ بنِ ضَبُعٍ الفَزَاريّ:

أَصْبَحْتُ لا أَحْمِلُ السِّلاحَ ولا * أَمْلك رَأسَ البَعيرِ إن نَفَرا

والذِّئبَ أَخْشاهُ إنْ مَرَرْتُ به * وَحْدِي وأَخْشَى الرياحَ والمَطَرا[1]

فنَصْبُ العَرَب الذِّئْبَ هنا، واخْتيارُ النَّحويين له مِن حيثُ كانتْ قَبْله جُمْلة مُرَكَّبة مِن فعْلٍ وفاعِلٍ، وهي قوْلُه لا أَمْلك، يدلُّكَ على جَرْيه عنْدَ العَرَب والنَّحويين جَمِيعاً مَجْرى قوْلِهم: ضَرَبْتُ زيْداً وعَمْراً لَقِيْته، فكأنَّه قالَ: ولَقِيْتُ عَمْراً لتَجَانسِ الجُمْلَتَيْن في التركِيب، فلولا أنَّ البَيْتين جَمِيعاً عنْدَ العَرَب يَجْرِيان مَجْرى الجُمْلة الواحِدَةِ لمَا اخْتارَتِ العَرَبُ والنَّحويُّون جَمِيعاً نَصْب الذِّئْب، ولكن دلَّ على اتِّصالِ أحدِ البَيْتين بصاحِبه وكَوْنهما معاً كالجُمْلةِ المَعْطوفِ بَعْضها على بعضٍ، وحُكْم المَعْطوف والمَعْطُوف عليه أن يَجْريا مَجْرى العقْدَةِ الواحِدَةِ، هذا حُكْم القِياسِ في حُسْن التَّضْمِين، إلَّا أن بإزائه شيئاً آخَرَ يقبحُ التَّضْمِين لأَجْلِه، وهو أنَّ أَبا الحَسَنِ(ت٢١٥هـ) وغيرَهُ قد قالوا: إنَّ كلَّ بيتٍ مِنَ القَصِيدَةِ شِعْرٌ قائمٌ بنفْسِه، فمن هنا قَبُحَ التَّضْمِين شيئاً، ومِن حيثُ ذكرنا مِن اخْتِيار النَّصْب في بيتِ الرَّبيع حَسُنَ، وإذا كانتِ الحالُ على هذا فكلَّما ازْدَادَت حاجَةُ

---

(١) البيتان من المنسرح للربيع بن ضبع الفزاري، وهو أحد المعمرين، وصف فيهما انتهاء شبيبته وذهاب قوته، ينظر: خزانة الأدب ٧/ ٣٨٤، وشرح التصريح ٢/ ٣٦، والكتاب ١/١٤٤، وشرح المفصّل ٧/ ١٠٥، والمحتسب ٢/ ٩٩.

البيتِ الأوَّلِ إلى الثاني واتَّصل اتِّصالًا شَديداً كانَ أَقْبَح ممَّا لم يَحْتج الأوَّل فيه إلى الثاني هذه الحاجَة[١].

والتضمين عند **الأدباء:** «أن يضمن الشاعر أو الناثر شطراً من بيت أو عبارة لغيره كلامَه، شعراً كان أو نثراً»، كما صنع حازم القَرْطَاجَنِّي (٦٠٨-٦٨٤هـ)[٢]حين ضَمَّن قصيدة امرئ القيس (قفا نبك) قصيدة له طويلة مطلعها: **لعينيك قل إن زرت أفضل مرسل * قفا نبك من ذكري حبيب ومنزل**[٣][٤]

---

(١) تاج العروس (ض م ن).

(٢) حازم بن محمد بن الحسن بن محمد بن حازم، أبو الحسن الأنصاري القرطاجني، الأندلسي، التونسي، الإمام في النحو والعروض والبيان، له «سراج الأدباء» في فنه لا نظير له، وله فيه اعتراضات على أرباب البيان، وطريقة فيه مخالف لطريق السكاكي وعبد القاهر والرماني (البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: للفيروز آبادي ص١٠٥).

(٣) البيت من الطويل لحازم في ديوانه ٨٩ ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٥٢٠/٥، وأزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ١٧٨/٣ وفيه: ومن بديع نظمه (رحمه الله) تضمينه قصيدة امرئ القيس، وصرف معناها إلى مدح المصطفى (ﷺ)، وهي من غر القصائد.

وقد أسماها «حديقة الأزهار وحقيقة الافتخار في مدح النبي المختار»، في تسعة وتسعين بيتا، وبعد هذا البيت:

وفي طيبة فانزل ولا تغش منزلاً * (بسقط اللوى بين الدخول فحومل)

وزر روضة قد طالما طاب نشرها * (لما نسجتها من جنوب وشمأل)

وأثوابك اخلع محرماً ومصدقاً * (لدى الستر إلا لبسة المتفضل)

(٤) أسلوب التضمين وأثره في التفسير: د. زيد عمر عبد الله. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ع ٤٩ ص ٢٦.

ويستعمله **علماء البديع** بمعنى: «أن يأخذ الشاعر أو الناثر آية أو حديثا أو بيتاً أو شطراً من بيت أو عبارة من كلام غيره دون أن يغير لفظاً منه أو معني»[1]، كقول ابن الرومي:

سَلِ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ وَاتَّقِهِ * فَإِنَّ التُّقَى خَيْرُ مَا تَكْتَسِبُ

وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَصْنَعْ لَهُ * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ[2]

فقد ضمن الشاعر عجز البيت الثاني صدر الآية الثالثة من سورة الطلاق، وهو قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ ﴾ [الطلاق:٢-٣]. وقد ذكر القاضي أبو بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ) أنّ تضمينَ القرآن في الشعر مكروهٌ، وأئمة البيان جوزوه وجعلوه من أنواع البديع، وسماه القدماء تضمينا، والمتأخرون اقتباساً، وسموا ما كان من شعر تضمينا[3]. وهناك ما يسمى **بالتضمين المزدوج**[4]، وهو أن يقع في أثناء قرائن النثر والنظم لفظان مسجعان بعد مراعاة حدود الأسجاع والقوافي الأصلية، كقوله (ﷻ): ﴿ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴾ [النمل:٢٢]، وهذا عند المفسرين جناس مزدوج[5]، وهو من

(١) البيان في روائع القرآن ١٢٢/١، والمعجم الوسيط ٥٦٥/١، ويقارن ببغية الإيضاح ١١٥/٤.

(٢) البيتان من بحر المتقارب وهما لابن الرومي في ديوانه ص ٩٤، والإتقان ٤٥٣/١.

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٥٢٧/١. ويقارن بالإتقان للسيوطي ٤٥٠/١.

(٤) التعريفات للجرجاني ٨٤، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازي ص ١٤٤.

(٥) الجناس المزدوج، ويُسَمَّى «المكرر» و«المردَّد»: أن يلي أحد المتجانسين الآخر، ومنه... قولهم: «مَنْ جَدَّ وَجَد»، «من قرعَ باباً ولَجَّ ولَجَ» (البلاغة العربية: عبد الرحمن حسن ٤٩٦/٢).

علم البديع[١]، وكحديث «المُؤْمِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ»[٢]. وأورد الزركشي (ت ٧٩٤هـ) بعض المعاني للتضمين يمكن ردها إلى التوسع في الدلالة اللغوية[٣].

والتضمين عند **البيانيين**: «تقدير حال يناسبها المعمول بعدها لكونها تتعدى إليه على الوجه الذي وقع عليه ذلك المعمول ولا تناسب العامل قبلها لكونه لا يتعدى إلى ذلك المعمول على الوجه المذكور»[٤]، ويعرفه الدكتور/ تمام حسان بأخصر من ذلك فيقول: «التضمين في البيان أن تعدي الفعل بغير حرفه»[٥].

أما التضمين عند **النحاة** فله صورتان: **الأولى:** دلالة الاسم بالوضع على معنى حقّه أن يدلّ عليه بالحرف، كأسماء الشرط والاستفهام، وهو أحدُ عِلل البناء، فيقولون بنيت (حيث) الشرطية لتضمنها معنى (إن) أي أنها تضمنت مع

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٥٢/١٩، وَفِيهِ أَيْضًا جِنَاسُ الْخَطِّ وَهُوَ أَنْ تَكُونَ صُورَةُ الْكَلِمَتَيْنِ وَاحِدَةً فِي الْخَطِّ وَإِنَّمَا تَخْتَلِفَانِ فِي النُّطْقِ.

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ١٣٠ مرسلا، عَنْ مَكْحُولٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «الْمُؤْمِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ، كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ، الَّذِي إِنْ قِيدَ انْقَادَ، وَإِذَا أُنِيخَ عَلَى صَخْرَةٍ اسْتَنَاخَ»، وقال الألباني: (حسن)، انظر حديث رقم: ٦٦٦٩ في صحيح الجامع.

(٣) البرهان للزركشي ٣٣٢/٣ وما بعدها.

(٤) حاشية الصبان ١٣٨/٢. والتضمين و(نيابة بعض الحروف عن بعض) بحث للأستاذ الشيخ إبراهيم حمروش ص ٢٦٨.

(٥) البيان في روائع القرآن ١٢٢/١.

ـ ويقول ابن كمال باشا (ت ٩٤٠هـ): الحق أن التضمين البياني هو التضمين النحوي (حاشية الصبان ١٣٨/٢)، كما يري الشيخُ أحمدُ الإسكندريُّ أنّ التعريفَ الذي ارتضاهُ مجمع اللغة العربية بالقاهرة «شاملٌ لكلا التضمينين: النحوي والبياني، وبعيدٌ بقدر الإمكان من مثار الاعتراض» (مجلة المجمع عدد ١ ص١٨٢).

معنى الظرفية الموضوعة له، معنى آخر جزئيا، حقه أن يؤدى بحرف، وهو المؤدى بلفظ (إن)[١].

الصورة الثانية: وهي كما يقول الأشموني (ت ٩٢٩هـ): «إشرابُ اللفظِ معنى لفظٍ آخرَ وإعطاؤه حكمه لتصير الكلمة تؤدي كلمتين»[٢]. ويقول الصبان (ت ١٢٠٦هـ): «التضمين: إلحاق مادة بأخرى في التعدي أو اللزوم لتناسب بينها في المعنى أو اتحاد»[٣].

وفي المعجم الوسيط: «التضمين: إيقاع لفظ موقع غيره ومعاملتُه معاملتَه؛ لتضمنه معناه واشتماله عليه»[٤]، واختار مجمع اللغة المصري في تعريف التضمين: «أن يؤدي فعل أو ما في معناه في التعبير مُؤدَّى فعل آخر أو ما في معناه، فيعطى حكمه في التعدية واللزوم»[٥]، ووافقهم على هذا التعريف صاحب النحو الوافي[٦].

وأطلق الأستاذ الدكتور/ عبد الغفار حامد هلال على الصورة الأولى مصطلح **التضمين النحوي**، وعلى الصورة الثانية مصطلح **التضمين اللغوي**[٧].

---

(١) مجلة مجمع اللغة بالقاهرة ١٨٣/١ والتضمين لأحمد الإسكندري ص٢٣٧.

(٢) حاشية الصبان ١٣٨/٢.

(٣) السابق الصفحة نفسها.

(٤) المعجم الوسيط (ض م ن).

(٥) مجلة المجمع ١٨٠/١.

(٦) النحو الوافي ٥٦٤/٢، وينظر في تعريف التضمين عند النحويين: الأشباه والنظائر للسيوطي ٢٥٣/١، والكليات ٢٦٦، ٦٤٠، ومغني اللبيب ٦٤٨، والتضمين وأثره في النحو العربي. دراسة واستشهاد د/ عبد العظيم فتحي خليل. مجلة كلية اللغة العربية ع ٢١ ص ٢٨٠، وحروف الجر وأثرها في الدلالات ص ٢٥٨.

(٧) عبقري اللغويين ٩١٣/٢ والتضمين وأثره في نمو اللغة: د. عبد الغفار هلال، بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة ع ٧ ص ٧٩ وما بعدها، ومجلة الأزهر السنة ٧٩ ج ١ ص ١٠٨، و ج ٢ ص ٢٩٩.

ويُعَدُّ التضمينُ النحويُّ نوعًا مما يُعرَفُ عند المحدَثين بالانزياح[١]أو العدول أو الانحراف.

ومعلوم أن القول بتناوب الحروف هو قول أكثر نحاة الكوفة، والقول بالتضمين قول أكثر نحاة البصرة وعلى رأسهم الخليل وتلميذه سيبويه رحمهم الله[٢].

التضمين والتعليل اللغوي:

لجأ كثير من اللغويين إلى التضمين لتعليل بعض المسائل اللغوية، فيذكرون أنه «إنما أعرب المستقبل الذي هو أوله الزوائد؛ لأنه تضمن معنى الاسم، إذ الهمزة تدل على المتكلم، و التاء على المخاطب، و الياء على الغائب، فلما تضمن بلفظ معنى الاسم ضارع الاسم فأعرب، كما أن الاسم إذا تضمن معنى الحرف بني، وأما الماضي وفعل الأمر فإنهما – وإن تضمنا معنى الحدث، وهو اسم – فما شاركا فيه الحرف من الدلالة على معنى في غيره، وهي حقيقة الحرف، أوجب بناءهما، حتى إذا ضارع الفعل الاسم من وجه آخر غير التضمن للحدث، خرج عن مضارعة الحرف، فكان أقرب شبهاً بالأسماء كما تقدم»[٣].

---

(١) يعدّ مصطلح الانزياح من المصطلحات الشائعة في الدراسة الأسلوبية المعاصرة (ينظر للاستزادة: وظيفة الانزياح في منظور الدراسات الأُسلوبية: أحمد محمد ويس، علامات ج٢١، م ٦، جمادى الأولى ١٤١٧هـ/سبتمبر ١٩٩٦م).

(٢) ينظر: الاقتضاب لابن السيد ٢٦٢/٢ وما بعدها، والمغني ص ١٥٠، ١٥١، وحروف الجر وأثرها في الدلالات ٢٧٦ وما بعدها، والتضمين وأثره في نمو اللغة: د. عبد الغفار هلال ص ٨٣.

(٣) نتائج الفكر في النحو للسهيلي ص٥٥.

و«(اللاتي) يحتمل أن يكون اسما للجمع؛ لأنه ليس على بناء من أبنية الجمع، ويحتمل أن يكون جمعا؛ لأنه متضمن معنى حروف(التي)»[1]. وأما أين وكيف فإنما بنيا على الفتح؛ لأنهما تضمنا معنى حرف الاستفهام؛ لأن (أين) سؤال عن المكان، و(كيف) سؤال عن الحال، فلما تضمنا معنى حرف الاستفهام، وجب أن يبنيا... وأما (أمس) فإنما بنيت؛ لأنها تضمنت معنى لام التعريف؛ لأن الأصل في (أمس) الأمس، فلما تضمنت معنى اللام، تضمنت معنى الحرف؛ فوجب أن تبنى[2].

التضمين في علم الأصوات:

«والمُضَمَّنُ مِنَ الأَصوات: مَا لَا يُسْتَطَاعُ الْوُقُوفُ عَلَيْهِ حَتَّى يُوصَلَ بِآخَرَ، قَالَ الأَزهري (ت٣٧٠هـ): والمُضَمَّنُ مِنَ الأَصوات أَن يَقُولَ الإِنسان: قِفْ فُلَ، بإِشمام اللَّامِ إِلى الْحَرَكَةِ»[3]، «فيقال: هذا صوت مُضَمَّنٌ لا يُستَطاع الوقوفُ عليه حتى يوُصَل بشَمِّه كذا»[4].

ولا أجد أيَّ أثرٍ في كتب اللغويين المحدثين ــ فيما وقفت عليه –عن التضمين من هذه الناحية، وهذا يدل على أن التراث اللغوي العربي القديم به كنوزٌ علمية يجب التنبه إليها والعناية بدراستها.

(١) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ٤٢٧/١.
(٢) أسرار العربية لأبي البركات الأنباري ص٥٢.
(٣) لسان العرب (ض م ن)، وينظر: العين ٥٢/٧، وتاج العروس (ض م ن).
(٤) العين ٥٢/٧.

المطلب الثاني
التضمين اللغوي والدلالة

التضمين موضوع دلالي أكثر مما هو موضوع يتعلق بالقواعد النحوية[١]، فهو – على اختلاف الآراء فيه – له صلة قوية بعلم الدلالة فسواء كان الحرف نائباً عن أخيه في معناه على سبيل الوضع أو المجاز، أو كان الفعل مضمناً معنى آخر فإن ذلك –ولا شك– يرتبط بالدلالة ارتباطاً وثيقاً؛ إذ موضوعها هو البحث في المعنى وتنقله بين الألفاظ[٢]، ولا بد للباحث في علم الدلالة بغية الإفادة منه في العربية، أن يعاني صعوبة البحث إذا ما أراد أن يخلص للمنهج السليم ولا سيما عصورنا الحديثة[٣].

ويُعَدُّ ابنُ جني (ت ٣٩٢هـ) أول من تكلم في التضمين بصورة واضحة، وحكى في خصائصه مذهب الكوفيين الذين لا يقولون بالتضمين، ولم يرتضه وعدّه مغسولاً خالياً من الصنعة وقال ما أبعد الصواب عنه وأوقفه دونه. ومال ابن جني إلى رأي البصريين الذين يقولون بالتضمين، واشترط للقول بالتضمين بين اللفظين أن يكون أحدهما محل الآخر في بعض السياقات[٤].

يقول ابن جني في «باب في استعمال الحروف بعضها مكان بعض»[٥]: «هذا باب يتلقاه الناس مغسولاً[٦] ساذجا من الصنعة وما أبعدَ الصواب عنه

---

(١) التضمين في حروف الجر: د. كاظم إبراهيم ص ٥١٤.

(٢) عبقري اللغويين: د. عبد الغفار هلال ٩١٢/٢.

(٣) فقه اللغة المقارن: د. إبراهيم السامرائي ٢٠٩ ومن وحي القرآن: د. السامرائي ١٠٦.

(٤) فصول في علم الدلالة: د. فريد عوض حيدر ص ١١.

(٥) الخصائص ٣٠٨/٢.

(٦) أي: عارية عن الدقة، كأنه غسل منها.

وأوقفه دونه. وذلك أنهم يقولون: إن (إلى) تكون بمعنى (عن) ويحتجون لذلك بقول الله (ﷻ): ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[آل عمران:٥٢] أي مع الله[١]، ويقولون: إن (في) تكون بمعني (على)، ويحتجون بقوله (ﷻ):﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:٧١] أي عليها[٢].... وغير ذلك مما يوردونه ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا، لكنا نقول: إنه يكون بمعناه في موضع دون موضع، على حسب الأحوال الداعية إليه، والمسوِّغة له، فأما في كل موضع وعلى كل حال فلا، ألا ترى أنك إن أخذت بظاهر هذا القول غُفْلاً هكذا، لا مقيّدا لزمك عليه أن تقول: سرت إلى زيد، وأنت تريد معه، وأن تقول: زيد في الفرس، وأنت تريد: عليه، وزيد في عمرو، وأنت تريد: عليه في العداوة، وأن تقول: رويت الحديث بزيد، وأنت تريد: عنه، ونحو ذلك، مما يطول ويتفاحش. ولكن سنضع في ذلك رسماً يُعَمل عليه، ويؤمن التزام الشناعة لمكانه.

---

(١) قال البقاعي: ولما كان المقصود ثبات الأنصار معه إلى أن يتم أمره عبر عن ذلك بصلة دلت على تضمين هذه الكلمةكلمة توافق الصلة فقال: {إلى} أي سائرين أو واصلين معي بنصرهم إلى {الله} (نظم الدرر ٤/٤١٧).

وقال ابن عاشور: وَوَصَلَ وصف {أَنْصَارِي} بإلى إِمَّا عَلَى تَضْمِينِ صِفَةِ أَنْصَارٍ مَعْنَى الضَّمِّ أَيْ مَنْ ضَامُّونَ نَصْرَهُمْ إِيَّايَ إِلَى نَصْرِ اللَّهِ إِيَّايَ، الَّذِي وَعَدَنِي بِهِ إِذْ لَا بدّ لِحُصُولِ النَّصْرِ مِنْ تَحْصِيلِ سَبَبِهِ كَمَا هِيَ سُنَّةُ اللَّهِ: قَالَ تَعَالَى: {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ} [مُحَمَّد: ٧] عَلَى نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلى أَمْوالِكُمْ }[النِّسَاء: ٢] أَي ضامّيها فَهُوَ ظَرْفُ لَغْوٍ، وَإِمَّا عَلَى جَعْلِهِ حَالًا مِنْ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمَعْنَى فِي حَالِ ذَهَابِي إِلَى اللَّهِ، أَيْ إِلَى تَبْلِيغِ شَرِيعَتِهِ، فَيَكُونُ الْمَجْرُورُ ظَرْفًا مُسْتَقِرًّا(التحرير والتنوير٣/٢٥٥).

(٢) عبر عن الاستعلاء بالظرف إشارة إلى تمكينهم من المصلوب فيه تمكين المظروف في ظرفه فقال: {في جذوع النخل} تبشيعاً لقتلكم ردعاً لأمثالكم(نظم الدرر ١٢/٣١٢)، وقال ابن عاشور: عدلَ عَنْ حَرْفِ الِاسْتِعْلَاءِ إِلَى حَرْفِ الظَّرْفِيَّةِ تَشْبِيهًا لِشِدَّةِ تَمَكُّنِ الْمَصْلُوبِ مِنَ الْجِذْعِ بِتَمَكُّنِ الشَّيْءِ الْوَاقِعِ فِي وِعَائِهِ (التحرير والتنوير ١٦/٢٦٥).

اعلم أن الفعل إذا كان بمعني فعل آخر، وكان أحدهما يتعدى بحرف، والآخر بآخر فإن العرب قد تّتسع فتُوقِع أحدَ الحرفين موقعَ صاحبِه إيذاناً بأن هذا الفعل في معنى آخر فلذلك جيء بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه، وذلك كقول الله (ﷻ): ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[البقرة:١٨٧] وأنت لا تقول: رفثت **إلى** المرأة، وإنما تقول: رفثت **بها**، أو **معها**، لكنه لما كان الرفث هنا في معنى الإفضاء، وكنت تعدُّي أفضيت بـ (إلى) كقولك: أفضيت إلى المرأة، جئت بـ (إلى) مع الرفث، إيذانا وإشعاراً أنه بمعناه[(١)]...

وكذلك قول الله (ﷻ): ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[آل عمران:٥٢] أي مع الله، وأنت لا تقول: سرت إلى زيد أي معه، لكنه إنما جاء ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ لما كان معناه: من ينضاف في نصرتي إلى الله، فجاز لذلك أن تأتي هنا (إلى). وكذلك قوله(ﷻ): ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨][(٢)] وأنت إنما تقول: هل لك في كذا، لكنه لما كان على هذا دعاء منه (ﷺ) صار تقديره: أدعوك وأُرشدك إلى أن تزكى...». ومن هذا النصّ يتضح لنا:

أولا: أن ابن جني يرفضُ إطلاقَ القولِ بنيابة حروفِ الجرِّ بعضِها عن بعضٍ، ويرى أنّ وَضْعَ حرفٍ مكانَ آخر يرتبط بالدواعي والأغراض التي

(١) قَالَ الْأَخْفَشُ: إِنَّمَا عَدَّى الرَّفَثَ بِإِلَى لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى الْإِفْضَاءِ فِي قَوْلِهِ: {وَقَدْ أَفْضى بَعْضُكُمْ إِلى بَعْضٍ} [النِّسَاءِ: ٢١] (مفاتيح الغيب ٢٦٩/٥).

(٢) (هَلْ لَكَ) تَرْكِيبٌ جَرَى مَجْرَى الْمَثَلِ فَلَا يُغَيَّرُ عَنْ هَذَا التَّرْكِيبِ؛ لِأَنَّهُ قُصِدَ بِهِ الْإِيجَازُ يُقَالُ: هَلْ لَكَ إِلَى كَذَا؟ وَهَلْ لَكَ فِي كَذَا؟ وَهُوَ كَلَامٌ يُقْصَدُ مِنْهُ الْعَرْضُ بِقَوْلِ الرَّجُلِ لِضَيْفِهِ: هَلْ لَكَ أَنْ تَنْزِلَ؟...وَلَكَ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: هَلْ لَكَ رَغْبَةٌ فِي كَذَا؟ فَحُذِفَ (رَغْبَةٌ) وَاكْتُفِيَ بِدِلَالَةِ حَرْفِ (فِي) عَلَيْهِ، وَقَالُوا: هَلْ لَكَ إِلَى كَذَا؟ عَلَى تَقْدِيرِ: هَلْ لَكَ مَيْلٌ؟ فَحُذِفَ (مَيْلٌ) لِدِلَالَةِ (إِلَى) عَلَيْهِ (التحرير والتنوير ٧٦/٣٠).

تُوجِب العُدولَ عن الحرفِ الأصليِّ إلى حرفٍ آخرَ يستطيع الوفاءَ بالغرضِ ويُفصِح عن مقاصد الكلام.

ثانيا: أنه فتح المجال واسعا لما سُمي بعد ذلك تضمين الفعل معنى فعل آخر يصح معه تعديته بالحرف الذي يتعدى به ذلك الفعل، ويكون الحرف دليلا على التضمين.

ثالثا: أن التعبير بالاتساع يشير إلى أن إيقاع الفعل موقع غيره للإشعار بأن الفعل في معنى فعل آخر، ضربٌ من التجوّز في الفعل دون الحرف؛ لأن التغير في الدلالة حادث في الفعل، والحرف قرينة دالة عليه(١).

ــ ويذكر أبو هلال العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ) أنّ المحققين من أهل العربية قالوا: «إِن حُرُوف الْجَرّ لَا تتعاقب حَتَّى قَالَ ابْن درسْتوَيْه (ت٣٤٧هـ): فِي جَوَاز تعاقبها إبْطَال حَقِيقَة اللُّغَة وإفساد الْحِكْمَة فِيهَا وَالْقَوْل بِخِلَاف مَا يُوجِبهُ الْعقل وَالْقِيَاس.

قَالَ أَبُو هِلَال (رحمه الله) وَذَلِكَ أَنَّهَا إِذا تعاقبت خرجت عَن حقائقها وَوَقع كل وَاحِد مِنْهُمَا بِمَعْنى الآخر فَأوجب ذَلِك أَن يكون لفظان مُخْتَلِفَان لَهما معنى وَاحِد فَأبى الْمُحَقِّقُونَ أَن يَقُولُوا بذلك، وَقَالَ بِهِ من لَا يتَحَقَّق الْمعَانِي وَلَعَلَّ قَائِلا يَقُول إِن امتناعك من أَن يكون للفظين الْمُخْتَلِفين معنى وَاحِد رد على جَمِيع أهل اللُّغَة؛ لأَنهم إِذا أَرَادوا أَن يفسروا اللب قَالُوا هُوَ الْعقل، أَو الْجرْح قَالُوا هُوَ الْكسْب، أَو السكب قَالُوا هُوَ الصب وَهَذَا يدل على أَن اللب وَالْعقل عِنْدهم سَوَاء وَكَذَلِكَ نقُول إِلَّا أَنا نَذْهَب إِلَى أَن قَوْلنَا اللب وان كَانَ هُوَ الْعقل فَإِنَّهُ يُفِيد خلاف مَا يُفِيد قَوْلنَا الْعقل، وَمثل ذَلِك القَوْل وَإِن كَانَ هُوَ الْكَلَام وَالْكَلَام هُوَ القَوْل فَإِن

(١) من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم: د. محمد الأمين الخضري ص١٥، والبلاغة في القراءات الشاذة عند ابن جني: د. عبد المنعم سيد عبد السلام الأشقر ص٣٠٣.

كل وَاحِد مِنْهُمَا يُفِيد بِخِلَاف مَا يفِيدهُ الآخر، وَكَذَلِكَ الْمُؤمن وَإِن كَانَ هُوَ الْمُسْتَحق للثَّواب فَإِن قَوْلنَا مُسْتَحقّ للثَّواب يُفِيد خلاف مَا يفِيدهُ قَوْلنَا مُؤمن، وَكَذَلِكَ جَمِيع مَا فِي هَذَا الْبَاب، ولِهَذَا الْمَعْنى قَالَ الْمبرد(ت٢٨٦هـ): الْفرق بَين أبصرته وبصرت بِهِ على اجْتِمَاعهمَا فِي الْفَائِدَة؛ أَن بصرت بِهِ مَعْنَاهُ: أَنَّك صرت بَصيرًا بموضعه وَفعلت أَي انْتَقَلت إِلَى هَذَا الْحَال، وَأما أبصرته فقد يجوز أَن يكون مرّة وَيكون لأكْثر من ذَلِك، وَكَذَلِكَ أدخلته وَدخلت بِهِ، فَإِذا قلت أدخلته جَازَ أَن تدخله وأنت مَعَه، وجاز ألا تكون مَعَه، وَدخلت بِهِ إِخْبَار بِأَن الدُّخُول لَك وَهُوَ مَعَك بسببك وحاجتنا إِلَى الِاخْتِصَار تلزمنا الِاقْتِصَار فِي تأييد هَذَا الْمَذْهَب على مَا ذَكرْنَاهُ وَفِيه كِفَايَة»[1].

ويغلط ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) من جعل بعض الحروف تقوم مقام بعض فيقول: «والعرب تضمن الفعل وتعديه تعديته ومن هنا غلط من جعل بعض الحروف تقوم مقام بعض كما يقولون في قوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ [ص: ٢٤] أي مع نعاجه[2]، و﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[آل عمران:٥٢] أي مع الله، ونحو ذلك، والتحقيق ما قاله نحاة البصرة من التضمين فسؤال النعجة يتضمن جمعها وضمها إلى نعاجه، وكذلك قوله: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾[الإسراء: ٧٣] ضمن معني يزيغونك ويصدونك[3]، وكذلك قوله:

(١) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص٢٤.

(٢) قال الزمخشري في الكشاف ٨٦/٤: «السؤال: مصدر مضاف إلى المفعول...وقد ضمن معنى الإضافة فعدّى تعديتها، كأنه قيل بإضافة نَعْجَتِكَ إِلى نِعاجِهِ على وجه السؤال والطلب».

(٣) عدي (لَيَفْتِنُونَكَ) بِحَرْفِ (عَنْ) لِتَضْمِينِهِ مَعْنَى فِعْلٍ كَانَ الْفَتْنُ لِأَجْلِهِ، وَهُوَ مَا فِيهِ مَعْنَى (يَصْرِفُونَكَ) (التحرير والتنوير ١٧١/١٥).

﴿ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾[الأنبياء: ٧٧][1]ضمن معنى نجيناه وخلصناه، وكذلك قوله (ﷻ):﴿ يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾[الإنسان: ٦] ضمن يروي بها، ونظائره كثيرة»[2].

وعلى منواله يسير تلميذه ابن القيم(ت٧٥١هـ) فيذكر أن: «فعل الهداية يتعدى بنفسه تارة، وبحرف (إلى) تارة، وباللام تارة، والثلاثة في القرآن، فمن المعدى بنفسه... قوله(ﷻ):﴿ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾[الفتح: ٢]، ومن المعدى بـ(إلى) قوله(ﷻ): ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[الشورى:٥٢] وقوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[الأنعام:١٦١]، ومن المعدّى باللام قوله في قول أهل الجنة:﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾[الأعراف:٤٣] وقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[الإسراء:٩].

والفرق بين هذه المواضع تدقُّ جدا عن أفهام العلماء، ولكن نذكر قاعدة تشير إلى الفرق، وهي: أن الفعل المعدى بالحروف المتعددة لا بد أن يكون له مع كل حرف معنى زائد على معنى الحرف الآخر، وهذا بحسب اختلاف معاني الحروف، فإن ظهر اختلاف الحرفين ظهر الفرق، نحو: رغبت فيه ورغبت عنه، وعدلت إليه وعدلت عنه، وملت إليه وعنه، وسعيت إليه وسعيت به، وإن تقارب معنى الأدوات عَسُرَ الفرق، نحو: قصدت إليه وقصدت له،

(١) عُدِّيَ نَصَرْنَاهُ بِحَرْفِ (مِنْ) لِتَضْمِينِهِ مَعْنَى الْمَنْعِ وَالْحِمَايَةِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ} [الْمُؤْمِنُونَ: ٦٥]، وَهُوَ أَبْلَغُ مِنْ تَعْدِيَتِهِ بِ (عَلَى) لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى نَصْرٍ قَوِيٍّ تَحْصُلُ بِهِ الْمَنَعَةُ وَالْحِمَايَةُ فَلَا يَنَالُهُ الْعَدُوُّ بِشَيْءٍ. وَأَمَّا نَصْرُهُ عَلَيْهِ فَلَا يَدُلُّ إِلَّا عَلَى الْمُدَافَعَةِ وَالْمَعُونَةِ (التحرير والتنوير ١١٣/١٧).

(٢) دقائق التفسير لابن تيمية ٥٢/١، ٥٣.

وهديته إلى كذا وهديته لكذا، وظاهرية النحاة يجعلون أحد الحرفين بمعنى الآخر، وأما فقهاء أهل العربية فلا يرتضون هذه الطريقة، بل يجعلون للفعل معنى مع الحرف ومعنى مع غيره، فينظرون إلى الحرف وما يستدعي من الأفعال فيُشربون الفعل المتعدي به معناه، وهذه طريقة إمام الصناعة سيبويه، وطريقة حذاق أصحابه؛ يضمنون الفعل معنى الفعل لا يقيمون الحرف مقام الحرف، وهذه قاعدة شريفة جليلة المقدار تستدعي فطنة ولطافة في الذهن وهذا نحو قوله تعالى ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾[الإنسان:٦] فإنهم يضمنون يشرب معنى يروي فيعدونه بالباء التي تطلبها فيكون في ذلك دليل على الفعلين؛ أحدهما: بالتصريح به والثاني: بالتضمن، والإشارة إليه بالحرف الذي يقتضيه مع غاية الاختصار، وهذا من بديع اللغة ومحاسنها وكمالها ومنه قوله(ﷻ): ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الحج:٢٥] وفعل الإرادة لا يتعدى بالباء، ولكن ضمن معنى يَهُم فيه بكذا، وهو أبلغ من الإرادة، فإن الهم مبدأ الإرادة، فكان في ذكر الباء إشارة إلى استحقاق العذاب بمبدأ الإرادة وإن لم تكن جازمة، وهذا باب واسع لو تتبعناه لطال الكلام فيه ويكفي المثالان المذكوران.

فإذا عرفت هذا؛ ففعل الهداية متى عُدي ب (إلى) تضمن الإيصال إلى الغاية المطلوبة، فأتى بحرف الغاية، ومتى عدي باللام تضمن التخصيص بالشيء المطلوب، فأتى باللام الدالة على الاختصاص والتعيين، فإذا قلت: هديتُه لكذا، أفهمَ معنى ذكرتَه له وجعلتَه له وهيأتَه، ونحو هذا، وإذا تَعدّى بنفسه تضمّن المعنى الجامع لذلك كله، وهو التعرف والبيان والإلهام، فالقائل إذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٦] هو طالب من الله أن يعرِّفه إياه ويبيِّنه له ويُلهمه إياه ويقدره عليه، فيجعل في قلبه علمه وإرادته والقدرة عليه، فجرَّد الفعل من الحرف، وأتى به مجردا معدي بنفسه ليتضمن هذه المراتب كلها، ولو

عُدَّي بحرف تعيَّن معناه وتخصَّص بحسب معنى الحرف، فتأمله فإنه من دقائق اللغة وأسرارها»[1].

وإذا كان القول بالتضمين قد راق لحذاق العربية وفقهائها حتى عد من محاسن اللغة وبدائع الإيجاز فيها، فإن بعض المحدثين يخالفون في ذلك، فيقول أحدهم: «ويبدو لي أن مسألة التضمين لا أساس لها؛ لأنه لا دليل عليها، ولا حجة لأصحابها، وأحسب أن ما اندرج تحتها من شواهد يؤول إلى جهة من جهتين: إما أن تكون هذه الشواهد مقحمة في باب التضمين إقحاما، وإما أن تندرج تحت مبحث دلالات الألفاظ»[2]. ويرى آخر «أن التضمين يصرف الاهتمام عن تدبر أسرار الحروف، وهو عاجز عن الوفاء بأغراض النظم ودواعيه، وليس فيه أكثر من محاولة تصحيح التعدي بحرف ليس من شأن الفعل أو الاسم التعدي به، وذلك ما يجب أن لا نقف عنده ونحن نتوخى أسرار الإعجاز في النظم القرآني»[3].

ومن المعطيات الدلالية للتضمين:

١ــ التوسع في المعنى، حيث تؤدي الكلمة مؤدى كلمتين، وتعطي مجموع المعنيين، وقد عبر عن ذلك الزمخشري(ت٥٣٨هـ) في توجيهه لقوله (ﷻ): ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾[الكهف:٢٨] بعد أن ذكر العلة في تعدية الفعل في الآية بحرف الجر (عن)، وهي تضمين (عدا) معنى نبا وعلا في قولك: نبت عنه عينه، وعلت عنه عينه: إذا اقتحمته ولم تعلق به، فقال:

(١) بدائع الفوائد ٤٢٣/٢ ــ ٤٢٥.

(٢) تناوب حروف الجر في لغة القرآن: د. محمد حسن عواد ص٥٨.

(٣) من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم: د. محمد الأمين الخضري ص٥٢.

«فإن قلت: أي غرض في هذا التضمين؟ وهلا قيل: ولا تعدهم عيناك، أو ولا تعل عيناك عنهم؟ **قلت:** الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذّ، ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك: ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم؟ ونحوه قوله: (ﷻ) ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾[النساء:٢] أي: ولا تضموها إليها آكلين لها»[(١)] وقد ذكر هذه الفائدة النسفي(ت٧١٠هـ)[(٢)] وابن هشام(ت٧٦١هـ)[(٣)]، والأشموني (ت٩٠٠هـ)[(٤)]، والألوسي(ت١٢٧٠هـ)[(٥)]، وغيرهم[(٦)].

وقال أبو حيان (ت٧٤٥هـ) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[يوسف:٥]: «عُدِّيَ ﴿فَيَكِيدُواْ﴾بِاللَّامِ، وَفِي ﴿فَكِيدُونِ﴾[هود:٥٥] بِنَفْسِهِ، فَاحْتُمِلَ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ شَكَرْتُ زَيْدًا وَشَكَرْتُ لِزَيْدٍ، وَاحْتَمَلَ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ التَّضْمِينِ، ضُمِّنَ ﴿فَيَكِيدُواْ﴾مَعْنَى مَا يَتَعَدَّى بِاللَّامِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: فَيَحْتَالُوا لَكَ بِالْكَيْدِ، وَالتَّضْمِينُ أَبْلَغُ لِدَلَالَتِهِ عَلَى مَعْنَى الْفِعْلَيْنِ»[(٧)].

---

(١) الكشاف ٦٧٠/٢، ٦٧١.

(٢) مدارك التنزيل ١٢/٣.

(٣) معني اللبيب ٦٤٨.

(٤) حاشية الصبان ١٣٨/٢.

(٥) روح المعاني ٢٦٣/١٥.

(٦) التضمين. حسين والي ص ٢١١، وحروف الجر وأثرها في الدلالات ٢٦٤.

(٧) البحر المحيط ٢٣٩/٦.

٢ــ **الإيجاز والاختصار** في اللفظ والزيادة في المعنى، وهذا أصل من أصول اللغة العربية، يقول الشيخ محمد الخضر حسين: «للتضمين غرض هو الإيجاز»(١).

٣ــ **تنمية اللغة وتوسيع مجال التعبير بها**، وهذا واضح في التضمين الواقع في الأفعال، فإن منها ما يكون في أصل استعماله لازماً فيتعدى بالتضمين، ومنها ما يكون في أصل استعماله متعدياً فيصير بالتضمين لازماً، ومنها ما يتعدى إلى المفعول بحرف مخصوص فيتعدى بالتضمين إلى المفعول بحرف آخر، وهكذا تتسع مجالات التعبير بالتضمين(٢).

٤ــ **تفسير المعنى**: للتضمين أثر مهم في تفسير بعض التراكيب اللغوية التي ظاهرها لا يتواءم مع أساليب اللغة، وذلك نحو قَوْله تَعَالَى ﴿ **فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ** ﴾[البقرة:٢٥٩]فَإِن الْمُتَبَادر انتصاب ﴿ **مِاْئَةَ** ﴾ بـ ﴿ **فَأَمَاتَهُ** ﴾ وَذَلِكَ مُمْتَنع مَعَ بَقَائِهِ على مَعْنَاهُ الوضعي؛ لِأَن الإماتة سلب الْحَيَاة وَهِي لَا تمتد، وَالصَّوَاب أَن يضمن ﴿ **فَأَمَاتَهُ** ﴾ ألبثه، فَكَأَنَّهُ قيل: فألبثه الله بِالْمَوْتِ مئة عَام، وحينئذ يتَعَلَّق بِهِ الظّرْف بِمَا فِيهِ من الْمَعْنى الْعَارِض لَهُ بالتضمين، أَي معنى اللّبْث لَا معنى الإلباث، لِأَنَّهُ كالإماتة فِي عدم الامتداد (٣).

قال الآلوسي(ت١٢٧٠هـ): «﴿ **فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ** ﴾ أي: فألبثه ميتا مائة عام، ولا بد من اعتبار هذا التضمين، لأن الإماتة بمعنى إخراج الروح وسلب الحياة مما لا تمتد»(٤).

---

(١) التضمين للشيخ محمد الخضر حسين ص٢٢٧.

(٢) التضمين وأثره في النحو العربي ٢٨٦.

(٣) مغني اللبيب ص٦٨٧.

(٤) روح المعاني ٢٢/٢.

٥ــ **يعصم من الخطأ**؛ فقوله تَعَالَى ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ﴾[البقــرة:٢٢٦] أَي يمتنعون من وَطْء نِسَائِهِم بِالْحلف فَلهَذَا عدي بِمن، وَلما خَفِي التَّضْمِين على بَعضهم فِي الْآيَة وَرَأى أَنه لَا يُقَال: حلف من كَذَا بل حلف عَلَيْهِ، قَــالَ: (مــن) مُتَعَلقَة بِمَعْنى﴿ لِّلَّذِينَ ﴾كَمَا تَقول: لي مِنْك مبرة، قَالَ: وَأما قَول الْفُقَهَاء: آلى من امْرَأَته فغلط أوقعهم فِيهِ عدم فهم الْمُتَعَلّق فِي الْآيَة[١].

قال البقاعي (ت٨٨٥هــ): «{لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ} أي يحلفون حلفاً مبتدئاً {مِن نِّسَآئِهِمْ} في صلب النكاح أو علقة الرجعة بما أفادته الإضافة بأن لا يجامعوهن أبــداً أو فوق أربعة أشهر فالتعدية بمن تدل على أخذ في البعد عنهن»[٢].

وقال ابن عاشور(ت١٣٩٣هــ): «وَعُدِّيَ فِعْلُ الْإِيلَاءِ بِمِنْ، مَعَ أَنَّ حَقَّــهُ أَنْ يُعَدَّى بِعَلَى؛ لِأَنَّهُ ضُمِّنَ هُنَا مَعْنَى الْبُعْدِ، فَعُدِّيَ بِالْحَرْفِ الْمُنَاسِبِ لِفِعْــلِ الْبُعْــدِ، كَأَنَّهُ قَالَ: لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مُتَبَاعِدِينَ مِنْ نِسَائِهِمْ، فَمِنْ لِلِابْتِدَاءِ الْمَجَازِيِّ»[٣].

٦ــ وسيلة من وسائل اللغة المحفزة لشحذ الذهن للوصول إلى أفق فكــري ولغوي جديد في إضافة معنى آخر لتحليل النصوص والتراكيب بتقوية المعنــى بما يسهم في إضفاء صورة ورؤية جديدتين باتجاه قراءة أخــرى فــي ضــوء المعاني النحوية المستقاة من التضمين. من هنا فالتضمين يكسب الجملــة دلالــة إضافية ليس لمجرد تفسير تلك النصوص، بل تأويل لما يمكن أن يحمــل مــن دلالات لا على ظاهر اللفظ، بل على وجه يحتمل المجاز والحقيقة معــا، ممــا يعني إمكانية نقل الكلام من صورة إلى أخرى من دون تغيير في التركيب[٤].

---

(١) مغني اللبيب ص٨٩٨.

(٢) نظم الدرر ٢٨٨/٣.

(٣) التحرير والتنوير ٣٨٥/٢، وينظر: روح المعاني ٥٢٢/١.

(٤) التعدية بالتضمين إلى مفعولين في أفعال القرآن الكريم: د. ناظم علي عبادي ص١٦.

والتضمين بهذا المفهوم وسيلة من وسائل الدلالة اللغوية؛ لأنه مورد من موارد التأنق في الأسلوب لكون «طاقة اللفظ تتسع لما هو أكثر من مجرد المعنى العرفي الاجتماعي بأن تشمل تسخير هذا اللفظ لتوليد معان أخرى فنية أسلوبية، ولكونها أسلوبية يمكن وصفها بأنها فردية أو شخصية»(١).

٧ــ «وفيه أيضًا موضع يشهد على من أنكر أن يكون في اللغة لفظان بمعنى واحد حتى تكلَّف لذلك أن يوجد فرقًا بين قعد وجلس، وبين ذراع وساعد، ألا ترى أنه لما كان رفث بالمرأة في معنى أفضى إليها جاز أن يتبع الرفث الحرف الذي بابه الإفضاء وهو (إلى)، وكذلك لما كان (هل لك في كذا) بمعنى أدعوك إليه، جاز أن يقال: هل لك إلى أن تزكّى كما يقال أدعوك إلى أن تزكّى»(٢).

٨ــ أحد أبرز الأساليب التي خرجت عليها كثير من الاستعمالات في القرآن الكريم، وفي كلام العرب(٣)دون تكلف، وقد خرج عليه كثير من المفسرين كثيراً من الآيات القرآنية الكريمة، ومن الأمثلة التي تؤيد ذلك وتبين الأثر الدلالي للتضمين:

ــ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ﴾[النساء:٢]

قال البقاعي (ت٨٨٥هـ): «{وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ} أي تنتفعوا بها أيّ انتفاع كان، مجموعة { إِلَىٰٓ چ} شرهاً وحرصاً وحباً في الزيادة من الدنيا التي علمتم شؤمها وما أثرت من الخذلان في آل عمران، وعبر بإلى إشارة إلى تضمين الأكل

(١) البيان في روائع القرآن ٨٢/٢.
(٢) الخصائص ٣١٢/٢.
(٣) أسلوب التضمين وأثره في التفسير ٧٧.

معنى الضم تنبيهاً على أنها متى ضمت إلى مال الولي أكل منها فوقع في النهي، فحض بذلك على تركها محفوظة على حيالها»[1].

ـ قَالَ تَعَالَى:﴿ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [التَّوْبَة:١٠٤].

يقول ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ): «(عَنْ عِبَادِهِ) مُتَعَلِّقَةٌ بِـ (يَقْبَلُ) لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى يَتَجَاوَزُ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّ قَبُولَ التَّوْبَةِ هُوَ التَّجَاوُزُ عَنِ الْمَعَاصِي الْمَتُوبِ مِنْهَا، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: يَقْبَلُ التَّوْبَةَ وَيَتَجَاوَزُ عَنْ عِبَادِهِ، وَكَانَ حَقُّ تَعْدِيَةِ فِعْلِ (يَقْبَلُ) أَنْ يَكُونَ بِحَرْفِ (مِنْ). وَنَقَلَ الْفَخْرُ(ت٦٠٤هـ) عَنِ الْقَاضِي عَبْدِ الْجَبَّارِ(ت٤١٥هـ) أَنَّهُ قَالَ: لَعَلَّ (عَنْ) أبلغ لِأَنَّهُ ينبئ عَنِ الْقَبُولِ مَعَ تَسْهِيلِ سَبِيلِهِ إِلَى التَّوْبَةِ الَّتِي قُبِلَتْ، وَلَمْ يُبَيِّنْ وَجْهَ ذَلِكَ، وَأَحْسَبُ أَنَّهُ يُرِيدُ مَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ مِنْ تَضْمِينِ مَعْنَى التَّجَاوُزِ»[2].

ـ **قال تعالى:**﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾[الأنبياء:٧١]

قال البقاعي(ت٨٨٥هـ): {**ونجيناه**} أي بعظمتنا {**ولوطاً**} أي ابن أخيه وصديقه لكونه آمن به وصدقه، من بلادهما كوثى بلاد العراق، منتهين إلى الأرض المقدسة، ولعله عبر بإلى الدالة على تضمين «انتهى» للدلالة على أن هناك غاية طويلة، فإنهما خرجا من كوثى من أرض العراق إلى حران ثم من حران[3] ثم من حران {**إِلَى ٱلْأَرْضِ**} المقدسة {**ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا**

---

(١) نظم الدرر ١٧٨/٥.

(٢) التحرير والتنوير ٢٧/١١.

(٣) حرَّانُ: تشديد الراء، وآخره نون، يجوز أن يكون فعّالا من حرن الفرس إذا لم ينقد، ويجوز أن يكون فعلان من الحرّ، يقال: رجل حرّان أي عطشان، وأصله من الحر، وامرأة حرّى، وهو حرّان يرّان، والنسبة إليها حرناني، بعد الراء الساكنة نون على غير قياس، . . وهي على طريق الموصل والشام والروم، قيل: سميت بهاران أخي إبراهيم=

فِيهَا }»[1]. وفي قوله تعالى:﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[الأنبياء:٧٦-٧٧] عُدِّيَ﴿ وَنَصَرْنَٰهُ ﴾ بِحَرْفِ (مِنْ) لِتَضْمِينِهِ مَعْنَى الْمَنْعِ وَالْحِمَايَةِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴾[الْمُؤْمِنُونَ:٦٥]، وَهُوَ أَبْلَغُ مِنْ تَعْدِيَتِهِ بِ (عَلَى) لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى نَصْرٍ قَوِيٍّ تَحْصُلُ بِهِ الْمَنَعَةُ وَالْحِمَايَةُ فَلَا يَنَالُهُ الْعَدُوُّ بِشَيْءٍ، وَأَمَّا نَصْرُهُ عَلَيْهِ فَلَا يَدُلُّ إِلَّا عَلَى الْمُدَافَعَةِ وَالْمَعُونَةِ[2].

ـــــ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾ [الأحزاب: ٥٣]

قال الآلوسي(ت١٢٧٠هـ): «قوله سبحانه: (إِلَىٰ طَعَامٍ) متعلق بـ (يُؤْذَنَ) وعدي بإلى مع أنه يتعدى بفي فيقال أذن له في كذا؛ لتضمينه معنى الدعاء؛ للإشعار بأنه لا ينبغي أن يدخلوا على طعام بغير دعوة وإن تحقق الإذن الصريح في دخول البيت فإن كل إذن ليس بدعوة»[3].

ـــ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ [الشورى:٤٩]

=(عليه السلام)؛ لأنه أول من بناها فعرّبت فقيل حرّان، وذكر قوم أنها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفان، وكانت منازل الصابئة وهم الحرانيّون الذين يذكرهم أصحاب كتب الملل والنحل، وقال المفسرون في قوله تعالى: {إِنِّي مُهاجِرٌ إِلى رَبِّي}[٢٩:٢٦]، إنه أراد حرّان، وقالوا في قوله تعالى: {وَنَجَّيْناهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها لِلْعالَمِينَ}[٢١:٧١]، هي حرّان، (معجم البلدان ٢/٢٣٥).

(١) نظم الدرر ١٢/٤٤٧.

(٢) التحرير والتنوير ١٧/١١٣.

(٣) روح المعاني ١١/٢٤٤.

قال البقاعي(ت٨٨٥هـ): «ولأجل تضمين الهبة معنى الخلق عداها باللام مع أن فعلها متعد بنفسه إلى مفعولين لئلا يتوهم أن الولد كان لغير الوالد ووهبه الله له»[١].

قال ابن القيم(ت٧٥١هـ): «الفعل إذا ضمن معنى فعل آخر لم يلزم إعطاءه حكمه من جميع الوجوه، بل من جلالة هذه اللغة العظيمة الشأن وجزالتها أن يذكر المتكلم فعلاً، وما يضمنه معنى فعل آخر، ويجري على المضمن أحكامه لفظاً، وأحكام الفعل الآخر معنى، فيكون في قوة ذكر الفعلين، مع غاية الاختصار، ومن تدبر هذا وجده كثيراً في كلام الله تعالى»[٢].

ـ والتضمين جزء من ظاهرة عامة يطلق عليها في الدرس اللغوي ظاهرة «**الحمل على المعنى**»[٣]وهي باب واسع من أبواب العربية، يقول ابن جني(ت٣٩٢هـ): «باب الحمل على المعنى بحر لا يُنْكَش[٤]، ولا يُفْتج[٥]ولا

---

(١) نظم الدرر ٣٥٤/١٧.

(٢) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص١٥١.

(٣) قال الثعالبي: من سنن العرب ترك حكم ظاهر اللفظ وحمله على معناه (فقه اللغة وسر العربية ص٢٣٠)، وينظر: الحمل على المعنى في العربية: د. علي عبد الله حسين العنبكي، ديوان الوقف السني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، جمهورية العراق، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة ١٥٨، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

(٤) النَّكْشُ: شِبْهُ الأَتْيِ عَلَى الشَّيْءِ وَالْفَرَاغِ مِنْهُ، ونَكَشَ الشيءَ يَنْكِشُه ويَنْكُشُه نَكْشاً: أَتى عَلَيْهِ وَفَرَغَ مِنْهُ. يَقُولُ: انتَهَوْا إِلى عُشْبٍ فنَكَشُوه، يَقُولُ: أَتَوْا عَلَيْهِ وأَفْنَوْه. وبَحر لَا يُنْكَشُ: لَا يُنْزَف، وَكَذَلِكَ الْبِئْرُ. ونَكَشْتُ الْبِئْرَ أَنْكِشُها، بِالْكَسْرِ، أَي نَزفْتها؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: فُلَانٌ بَحْرٌ لَا يُنْكَشُ، وَعِنْدَهُ شَجَاعَةٌ مَا تُنْكَشُ(اللسان: ن ك ش).

(٥) مَاءٌ لَا يُفْتَجُ أَي لَا يُبْلَغ غَوْره، وَقَوْلُهُمْ: بِئْرٌ لَا تُفْتَجُ، وَفُلَانٌ بَحْرٌ لَا يُفْتَجُ. وأَفْتَجَ الرَّجُلُ: أَعْيا وانْبَهَر، وَحَكَاهُ ابْنُ الأَعرابي: أُفْتِج، عَلَى صِيغَةِ فِعْلِ الْمَفْعُولِ (لسان العرب: ف ث ج).

يؤبى[١] ولا يُغَرَّض[٢] ولا يُغضغض[٣]، وقد أرينا وجهه، ووكلنا الحال إلى قوة النظر وملاطفة التأوّل. ومنه باب من هذه اللغة واسع لطيف طريف، وهو اتصال الفعل بحرف ليس مما يتعدّى به؛ لأنه في معنى فعل يتعدى به»[٤]. وقد وجد ابن جني(ت٣٩٢هـ): «في اللغة من هذا الفن شيئاً كثيراً لا يكاد يُحاط به، ولعله لو جمع أكثره لا جميعه لجاء كتاباً ضخماً، وقد عرفتَ طريقه، فإذا مرَّبك شيء منه فتقبله وأنس به، فإنه فصل من العربية لطيف، حسن يدعو إلى الأنس بها والفقاهة[٥]فيها»[٦].

والتضمين في هذا البحث يدور في فلك الصناعة الإعرابية الذي يعتمد على ركنين هما: اللفظ والمعنى، وتغليب ركن على آخر مخل بتلك الصناعة؛ لذلك يحذر ابن هشام(ت٧٦١هـ) من «أَن يُرَاعِي مَا يَقْتَضِيهِ ظَاهر الصِّنَاعَة وَلَا يُرَاعِي الْمَعْنى، وَكَثِيرًا مَا تزل الأقدام بِسَبَب ذَلِك، وَأول وَاجِب عَن المعرب أَن يفهم معنى مَا يعربه مُفردا أَو مركبا»[٧]. وصفوة القول أن التضمين الدلالي تحمل فيه الأداة على معنى وظيفي لأداة أخرى بقرائن السياق، وبمعنى آخر تؤدي وظيفة ثانوية إلى جانب وظيفتها الأساسية[٨].

---

(١) يُقَالُ فلانٌ بَحْر لَا يُؤْبَى، وَكَذَلِكَ كَلأٌ لَا يُؤْبَى أَي لَا ينْقَطع مِنْ كَثْرَتِهِ (لسان العرب: أ ب ي).

(٢) فُلَانٌ بَحْرٌ لَا يُغَرَّضُ أَي لَا يُنْزَحُ (لسان العرب: غ ر ض).

(٣) بَحْرٌ لَا يُغَضْغَضُ وَلَا يُغَضْغِضُ أَي لَا يُنْزَحُ. يُقَالُ: فُلَانٌ بَحْرٌ لَا يُغَضْغَضُ... (لسان العرب: غ ض غ ض).

(٤) الخصائص ٤٣٧/٢.

(٥) يُقَالُ: رَجُلٌ فَقِيهٌ، وَقَدْ فَقُهَ يَفْقُه فَقَاهةً إِذَا صارَ فَقيهاً وسادَ الفُقَهاءَ (لسان العرب: ف ق هـ).

(٦) الخصائص ٣١٢/٢.

(٧) مغني اللبيب ص٦٨٤.

(٨) الفكر اللغوي عند العرب: د. رضوان منيسي ص ٤٣١.

المطلب الثالث

القرائن الدالة على التضمين

هناك قرائن تدل على التضمين، منها:

١ــ أن **يجعل المتعدي لازما**، نَحْو (**سمع الله لمن حَمده**) أَي: اسْتَجَابَ فعدي بِاللَّامِ[١]، «وَضَعَ السمع موضع القبول والإجابة للاشتراك بين القبول والسمع، والغرض من الدعاء القبول والإجابة»[٢].

وقال السهيلي(ت٥٨١هـ): «وأما قولهم: (**سمع الله لمن حمده**)، فمفعول **(سمع)** محذوف؛ لأن السمع متعلق بالأقوال والأصوات دون ما عداها، فاللام على بابها، إلا أنها تؤذن بمعنى زائد وهو الاستجابة المقارنة للسمع، فاجتمع في الكلمة الإيجاز والدلالة على المعنى الزائد وهو الاستجابة لمن حمده»[٣].

٢ــ **أن يُعَدَّى بالحرفِ وهو يتعدّى بنفسه**، نحو ﴿**وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي**﴾ [الْأَحْقَافِ:١٥]

فمَعْنَى ظَرْفِيَّةِ (**فِي ذُرِّيَّتِي**) أَنَّ ذُرِّيَّتَهُ نَزَلَتْ مَنْزِلَةَ الظَّرْفِ يَسْتَقِرُّ فِيهِ مَا هُوَ بِهِ الْإِصْلَاحُ وَيَحْتَوِي عَلَيْهِ، وَهُوَ يُفِيدُ تَمَكُّنَ الْإِصْلَاحِ مِنَ الذُّرِّيَّةِ وَتَغَلْغُلَهُ فِيهِمْ، وَنَظِيرُهُ فِي الظَّرْفِيَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾[الزخرف:٢٨][٤]،وقيل: عدي بفي لتضمنه معنى اللطف، أي الطف بي في ذريتي[٥].

---

(١) الكليات للكفوي ص٢٦٧.

(٢) شرح أبي داود للعيني ٣٦٤/٣.

(٣) نتائج الفكر في النحو للسهيلي ص٢٧٢.

(٤) التحرير والتنوير ٣٤/٢٦.

(٥) روح المعاني ١٧٧/١٣.

٣ــ **أن يعدى بنفسه وهو يتعدى بالحرف**، نحو قولــه تعــالى ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾[هود:٥٩-٦٠]، عُدِّيَ {كَفَرُوا رَبَّهُمْ} بِدُونِ حَرْفِ الْجَرِّ لِتَضْمِينِهِ مَعْنَى عَصَوْا فِي مُقَابَلَةِ {وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ}، أَوْ لِأَنَّ الْمُرَادَ تَقْدِيرُ مُضَافٍ، أَيْ نِعْمَةُ رَبِّهِمْ لِأَنَّ مَادَّةَ الْكُفْرِ لَا تَتَعَدَّى إِلَى الذَّاتِ وَإِنَّمَا تَتَعَدَّى إِلَى أَمْرٍ مَعْنَوِيٍّ[١]. وفي قوله تعالى: ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴾[هود:٦٨] يقــول البقــاعي(ت٨٨٥هـــ): «{كَفَرُوا رَبَّهُمْ} أي أوقعوا التغطية والستر على المُحْسِن إليهم بالخلق والــرزق والإرسال وهو الظاهر وبصفاته وأفعاله، فلا يخفى على أحد أصــلاً، فإيصــال الفعل دون قصره كما في أكثر أضرابه بيان لغلظة كفرهم»[٢].

٤ــ **أن يعدى بحرف غير الحرف الذي يعدى به**، نحو قولــه (ﷻ): ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَـٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾[مــــــريم:٦٥]. الِاصْطِبَارِ: شِدَّةُ الصَّبْرِ عَلَى الْأَمْرِ الشَّاقِّ، لِأَنَّ صِيغَةَ الِافْتِعَالِ تَرِدُ لِإِفَــادَةِ قُــوَّةِ الْفِعْلِ، وَكَانَ الشَّأْنُ أَنْ يُعَدَّى الِاصْطِبَارُ بِحَرْفِ (عَلَى) كَمَا قَالَ تَعَــالَى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[طه:١٣٢] وَلَكنه عُدِّيَ هُنَا بِاللَّامِ لِتَضْمِينِهِ مَعْنَى الثَّبَاتِ، أَيِ اثْبُتْ لِلْعِبَادَةِ؛ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ مَرَاتِب كَثِيرَةٌ مِنْ مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ، وَقَدْ يَغْلِبُ بَعْضُهَا بَعْضَ النُّفُوسِ فَتَسْتَطِيعَ الصَّبْرَ عَلَى بَعْضِ الْعِبَادَاتِ دُونَ بَعْضٍ كَمَا قَالَ النَّبِي (ﷺ) فِي صَلَاةِ الْعِشَاءِ: «هِيَ أَثْقَلُ صَلَاةٍ عَلَى

(١) التحرير والتنوير ١٠٧/١٢.
(٢) نظم الدرر ٣٢٦/٩.

الْمُنَافِقِينَ»[1]، فَلِذَلِكَ لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِالصَّبْرِ عَلَى الْعِبَادَةِ كُلِّهَا وَفِيهَا أَصْنَافٌ جَمَّةٌ تَحْتَاجُ إِلَى ثَبَاتِ الْعَزِيمَةِ، نُزِّلَ الْقَائِمُ بِالْعِبَادَةِ مَنْزِلَةَ الْمُغَالِبِ لِنَفْسِهِ، فَعُدِّيَ الْفِعْلُ بِاللَّامِ كَمَا يُقَالُ: اثْبُتْ لِعُدَاتِكَ[2].

قال الرازي(ت٦٠٦هـ): «فَإِنْ قِيلَ: لِمَ لَمْ يَقُلْ (وَاصْطَبِرْ عَلَى عِبَادَتِهِ) بَلْ قَالَ {وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ}؟

قُلْنَا: لِأَنَّ الْعِبَادَةَ جُعِلَتْ بِمَنْزِلَةِ الْقِرْنِ فِي قَوْلِكَ لِلْمُحَارِبِ اصْطَبِرْ لِقِرْنِكَ أَيِ اثْبُتْ لَهُ فِيمَا يُورِدُ عَلَيْكَ مِنْ شَدَّاتِهِ، وَالْمَعْنَى أَنَّ الْعِبَادَةَ تُورِدُ عَلَيْكَ شَدَائِدَ وَمَشَاقَّ فَاثْبُتْ لَهَا وَلَا تَهِنْ وَلَا يَضِقْ صَدْرُكَ مِنْ إِلْقَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَيْكَ الْأَغَالِيطَ عَنِ احْتِبَاسِ الْوَحْيِ عَنْكَ مُدَّةً وَشَمَاتَةِ الْمُشْرِكِينَ بِكَ»[3].

وقال البقاعي (ت٨٨٥هـ): «{فَٱعْبُدْهُ} بالمراقبة الدائمة على ما ينبغي له من مثلك {وَٱصْطَبِرْ} أي اصبر صبراً عظيماً بغاية جهدك على كل ما ينبغي الاصطبار عليه كذلك {لِعِبَٰدَتِهِۦ} أي لأجلها فإنها لا تكون إلا عن مجاهدة شديدة»[4].

---

(١) من حديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَابُ فَضْلِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ، وَبَيَانِ التَّشْدِيدِ فِي التَّخَلُّفِ عَنْهَا ٦٥١/٤٥١/١ وتمامه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ، فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ».

(٢) التحرير والتنوير ١٤٢/١٦.

(٣) مفاتيح الغيب ٥٥٥/٢١.

(٤) نظم الدرر ٢٣٢/١٢.

٥ــ **أن يعدى إلى مفعول واحد وهو يعدى إلى مفعولين**، فـــ «الْجَعْلُ يُطْلَقُ بِمَعْنَى الْإِيجَادِ، فَيَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ** ﴾[الأنعام:١]، وَيُطْلَقُ بِمَعْنَى التصيير فتعدّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ»(١).

٦ــ **أن يعدى إلى مفعولين وهو يعدى إلى مفعول**، نحو قوله تعالى ﴿ **وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ** ﴾[آل عمران:١١٥] عدّي **(يكفرُوه)** هُنَا إِلَى مَفْعُولَيْنِ: أَحَدُهُمَا نَائِبُ الْفَاعِلِ، لِأَنَّ الْفِعْلَ ضُمِّنَ مَعْنَى الْحِرْمَانِ(٢). قال الرازي(ت٦٠٤هـ): «فَإِنْ قِيلَ: لِمَ قَالَ **(فلن تكفروه)** فَعَدَّاهُ إِلَى مَفْعُولَيْنِ مَعَ أَنَّ شَكَرَ وَكَفَرَ لَا يَتَعَدَّيَانِ إِلَّا إِلَى وَاحِدٍ، يُقَالُ شَكَرَ النِّعْمَةَ وَكَفَرَهَا. قُلْنَا: لِأَنَّا بَيَّنَّا أَنَّ مَعْنَى الْكُفْرِ هَاهُنَا هُوَ الْمَنْعُ وَالْحِرْمَانُ، فَكَانَ كَأَنَّهُ قَالَ: فَلَنْ تُحْرَمُوهُ، وَلَنْ تُمْنَعُوا جَزَاءَهُ»(٣).

٧ ــ **أن يعدى إلى اثنين لا ثلاث**، كما جاء في الحديث: «قَالَ: **يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ**»(٤).

أَخْبِرْنِي أَيْ: أَعْلِمْنِي(٥)، ضمن (أخبر) الذي يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل معنى(أعلم) الذي يتعدى إلى مفعولين فقط.

٨ــ **جعل الفعل لازما ومتعديا مرة أخرى**، نحو قوله تعالى ﴿ **سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى** ﴾[الأعلى:١]، وقوله تعالى: ﴿ **فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ** ﴾[الحاقة:٥٢] قال الرازي(ت٦٠٦هـ): «اسْتَعْمَلَ اللَّه التَّسْبِيحَ تَارَةً مَعَ اللَّامِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

---

(١) التحرير والتنوير ٥٤/٧.

(٢) التحرير والتنوير ٥٩/٤.

(٣) مفاتيح الغيب ٣٣٥/٨.

(٤) من حديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان ٨/٣٦/١.

(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٥٣/١.

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ ﴾ [الجمعة:١] ﴿ يُسَبِّحُونَ لَهُ ﴾[فُصِّلَتْ:٣٨] وَأُخْرَى مَعَ الْبَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾[الْوَاقِعَةِ:٧٤] ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾[طه: ١٣٠] وَثَالِثَةً مِنْ غَيْرِ حَرْفٍ فِي قَوْلِهِ ﴿ وَسَبِّحْهُ ﴾[الْإِنْسَانِ:٢٦] وَقَوْلُهُ ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً ﴾[الْأَحْزَابِ: ٤٢] وَقَوْلُهُ ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾[الأعلى:١] فما الفرق بينها؟

نَقُولُ: أَمَّا الْبَاءُ فَهِيَ الْأَهَمُّ وَبِالتَّقْدِيمِ أَوْلَى.... أَمَّا عَلَى قَوْلِنَا الْمُرَادُ مِنْ (سَبِّحْ) قُلْ سُبْحَانَ اللَّه، فَالْبَاءُ لِلْمُصَاحَبَةِ أَيْ مُقْتَرِنًا بِحَمْدِ اللَّه، فَيَكُونُ كَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ قُلْ سُبْحَانَ اللَّه وَالْحَمْدُ لِلَّه، وَعَلَى قَوْلِنَا الْمُرَادِ التَّنْزِيهُ لِذَلِكَ أَيْ نَزِّهْهُ وَأَقْرِنْهُ بِحَمْدِهِ أَيْ سَبِّحْهُ وَاشْكُرْهُ حَيْثُ وَفَّقَكَ اللَّه لِتَسْبِيحِهِ فَإِنَّ السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ لِمَنْ سَبَّحَهُ، وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ الْمَفْعُولُ غَيْرَ مَذْكُورٍ لِحُصُولِ الْعِلْمِ بِهِ مِنْ غَيْرِ ذِكْرٍ تَقْدِيرُهُ: سَبِّحِ اللَّه بِحَمْدِ رَبِّكَ، أَيْ مُلْتَبِسًا وَمُقْتَرِنًا بِحَمْدِ رَبِّكَ،... مَّا التَّعْدِيَةُ مِنْ غَيْرِ حَرْفٍ فَنَقُولُ هُوَ الْأَصْلُ؛ لِأَنَّ التَّسْبِيحَ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ لِأَنَّ مَعْنَاهُ تَبْعِيدٌ مِنَ السُّوءِ.

وَأَمَّا اللَّامُ فَيَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ كَمَا فِي قَوْلِ الْقَائِلِ نَصَحْتُهُ وَنَصَحْتُ لَهُ، وَشَكَرْتُهُ وَشَكَرْتُ لَهُ.

وَثَانِيهِمَا: أَنْ يَكُونَ لِبَيَانِ الْأَظْهَرِ أَيْ يُسَبِّحُونَ اللَّه وَقُلُوبُهُمْ لِوَجْهِ اللَّه خالصة»[1].

التضمين والتطور اللغوي:

قال ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾ [آل عمران:١١٨]: «مَعْنَى (**لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا**) لَا يقصّرون فِي حبالكم، وَالْأَلْوُ التَّقْصِيرُ وَالتَّرْكُ، وَفِعْلُهُ أَلَا يَأْلُو، وَقَدْ يَتَوَسَّعُونَ فِي هَذَا الْفِعْلِ فَيُعَدِّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ؛ لِأَنَّهُمْ ضَمَّنُوهُ مَعْنَى الْمَنْعِ فِيمَا

(١) مفاتيح الغيب ١٥٣/٢٨.

يَرْغَبُ فِيهِ الْمَفْعُولُ، فَقَالُوا لَا آلُوكَ جَهْدًا، كَمَا قَالُوا لَا أَدَّخِرُكَ نُصْحًا، فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ شَاعَ ذَلِكَ الِاسْتِعْمَالُ حَتَّى صَارَ التَّضْمِينُ مَنْسِيًّا، فَلِذَلِكَ تَعَدَّى إِلَى مَا يَدُلُّ عَلَى الشَّرِّ كَمَا يُعَدَّى إِلَى مَا يَدُلُّ عَلَى الْخَيْرِ، فَقَالَ هُنَا: لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا أَيْ لَا يُقَصِّرُونَ فِي خَبَالِكُمْ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ لَا يَمْنَعُونَكُمْ، لِأَنَّ الْخَبَالَ لَا يُرْغَبُ فِيهِ وَلَا يُسْأَلُ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ اسْتُعْمِلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى سَبِيلِ التَّهَكُّمِ بِالْبِطَانَةِ، لِأَنَّ شَأْنَ الْبِطَانَةِ أَنْ يَسْعَوْا إِلَى مَا فِيهِ خَيْرُ مَنِ اسْتَبْطَنَهُمْ، فَلَمَّا كَانَ هَؤُلَاءِ بِضِدِّ ذَلِكَ عَبَّرَ عَنْ سَعْيِهِمْ بِالضُّرِّ، بِالْفِعْلِ الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي السَّعْيِ بِالْخَيرِ»[1].

المطلب الرابع
أنواع التضمين ومجالات استعماله

الصواب أن التضمين كما يكون في الفعل يكون في الاسم والحرف[2]، وقد أقر ذلك أبو البقاء الكفوي(ت١٠٩٤هـ) بقوله: «وَلَا اخْتِصَاص للتضمين بِالْفِعْلِ، بل يجْرِي فِي الِاسْم أَيْضا... وجريانه فِي الْحَرْف ظَاهر»[3].

فَأَمَّا فِي الْأَسْمَاءِ فَهُوَ أَنْ تُضَمِّنَ اسْمًا مَعْنَى اسْمٍ لِإِفَادَةِ مَعْنَى الِاسْمَيْنِ جَمِيعًا (ﷻ): ﴿حَقِيقٌ عَلَىَّ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾[الأعراف:١٠٥]ضُمِّنَ حَقِيقٌ مَعْنَى حَرِيصٍ لِيُفِيدَ أَنَّهُ مَحْقُوقٌ بِقَوْلِ الْحَقِّ وَحَرِيصٌ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا الْأَفْعَالُ فَأَنْ تُضَمِّنَ فِعْلًا مَعْنَى فِعْلٍ آخَرَ وَيَكُونَ فِيهِ مَعْنَى الْفِعْلَيْنِ جَمِيعًا وَذَلِكَ بِأَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ يَتَعَدَّى بِحَرْفٍ فَيَأْتِي مُتَعَدِّيًا بِحَرْفٍ آخَرَ لَيْسَ مِنْ عَادَتِهِ التَّعَدِّي بِهِ فَيُحْتَاجُ إِمَّا إِلَى تَأْوِيلِهِ أَوْ تَأْوِيلِ الْفِعْلِ لِيَصِحَّ تَعَدِّيهِ بِهِ.

---

(١) التحرير والتنوير ٦٤/٤.

(٢) أوضح المسالك لتحقيق منهج السالك ٢٤٤/٢.

(٣) الكليات للكفوي ص٢٦٦.

وَاخْتَلَفُوا أَيُّهُمَا أَوْلَى فَذَهَبَ أَهْلُ اللُّغَةِ وَجَمَاعَةٌ مِنَ النَّحْوِيِّينَ إِلَى أَنَّ التَّوَسُّعَ فِي الْحَرْفِ وَأَنَّهُ وَاقِعٌ مَوْقِعَ غَيْرِهِ مِنَ الْحُرُوفِ أَوْلَى.

وَذَهَبَ الْمُحَقِّقُونَ إِلَى أَنَّ التَّوَسُّعَ فِي الْفِعْلِ وَتَعْدِيَتَهُ بِمَا لَا يَتَعَدَّى لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى مَا يَتَعَدَّى بِذَلِكَ الْحَرْفِ أَوْلَى لِأَنَّ التَّوَسُّعَ فِي الْأَفْعَالِ أَكْثَرُ. مِثَالُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾[الإنسان:٦] فَضَمَّنَ (يَشْرَبُ) مَعْنَى (يَرْوِي)؛ لِأَنَّهُ لَا يَتَعَدَّى بِالْبَاءِ فَلِذَلِكَ دَخَلَتِ الْبَاءُ وَإِلَّا فَـ(يَشْرَبُ) يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ فَأُرِيدَ بِاللَّفْظِ الشُّرْبُ وَالرَّيُّ مَعًا فَجَمَعَ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ»(١).

وأما التضمين في الحروف ففيه خلاف فبعضهم قال به وهم الذين يرون أن حروف الجر تتناوب فيقولون في مثل الآية التي معنا من سورة الإنسان: إن الباء بمعني «من»، ويري آخرون أن التجوز في مثل ذلك إنما هو في الفعل لا في الحرف بأن يكون الفعل «يشرب» قد ضمن معني «يروي»(٢).

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣٣٨/٣.

(٢) التضمين: الشيخ حسين والي ٢٠٩، والتضمين في حروف الجر دراسة في معاني القرآن للفراء: د. كاظم إبراهيم كاظم، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ص ٥١٤.

المطلب الخامس
التضمين اللغوي بين القياس والسماع

يرى مجمع اللغة العربية أن التضمين قياس لا سماعي[١]بشروط ثلاثة: **الأول:** تحقق المناسبة بين الفعلين[٢]. **الثاني:** وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر، ويؤمن معها اللبس. **الثالث:** ملائمة التضمين للذوق العربي[٣].

والملاحظ أن الشرط الأول يؤكد على الصلة الدلالية المعنوية بين اللفظين لتجنب التراكيب الخاطئة لأنه لا يمكن أن نقول: أكلت إلى الفاكهة، وإن كان فعل «أكل» قد يفيد «مال»[٤]، أما الشرط الثاني فهو الركن الأقوى في التضمين، إذ لولا القرينة ما عرف أن اللفظ توسع في معناه[٥].

(١) ينظر مسألة التضمين بين القياس والسماع: حروف الجر وأثرها في الدلالات ص ٢٧٠، وعبقري اللغويين: د. عبد الغفار هلال ٩٢٣/٢، والتضمين وأثره في النحو العربي ص ٣٠١ وأسلوب التضمين وأثره في التفسير ص ٣٧.

(٢) أفضل أن يعبر بعبارة «بين اللفظين»؛ لأن التضمين لا يقتصر على ما بين الأفعال.

(٣) محاضر الجلسات ٢٣٦/١ ومجلة المجمع ١٨٠/١ ومجموعة القرارات ص ٥.

(٤) مجلة المجمع ١٩٦/١، وأعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة: أ.د. محمد رشاد الحمزاوي ص ٣٦١.

(٥) مجلة المجمع ١٩٧/١.

المطلب السادس

التضمين بين الحقيقة والمجاز

في تخريج التضمين بين الحقيقة والمجاز أقوال مختلفة جمعها ياسين في حاشيته[١] وذكرها أحمد الإسكندري ملخصة في مجلة مجمع اللغة بالقاهرة[٢]، وهو ما أنقله بتصرف طلبا للاختصار ذاكراً ما وقفت عليه من آراء في بعض الأقوال:

الأول: أنه مجاز مرسل لأن اللفظ استعمل في غير معناه لعلاقة وقرينة، وهو المفهوم من كلام ابن جني (ت٣٩٢هـ)[٣] ومن كلام ابن هشام(ت٧٦١هـ)[٤].

الثاني: أن فيه جمعا بين الحقيقة والمجاز، ولكن بتأويل أن الفعل المذكور في التركيب دل على معناه الحقيقي، وعلى المعنى الملحوظ بطريق اللزوم وذكر القرينة، وهو قول العز بن عبد السلام(ت٦٦٠هـ)[٥] وأبي البقاء الكفوي(ت١٠٩٤هـ)[٦] ورجحه الصبان(ت١٢٠٦هـ)[٧]. **الثالث:** أن الفعل المذكور في التركيب مستعمل في حقيقته، لم يشرب معنى غيره (كما جري

---

(١) حاشية ياسين ٤/٢-٧.

(٢) من مجلة المجمع الملكي العدد الأول بتصرف ١٨٧-١٨٩، وينظر التضمين للشيخ حسين والي ٢٢١، وعبقري اللغويين د. هلال ٩٢٢/٢، وحروف الجر وأثرها في الدلالات ٢٦٧ وما بعدها.

(٣) الخصائص ٣٠٨/٢.

(٤) المغني ١٥١، ٨٩٧، ٨٩٨.

(٥) مجاز القرآن له ٢٦١، ٢٦٢.

(٦) الكليات ٢٤/٥.

(٧) حاشية الصبان ٩٥/٢.

عليه صاحب الكشاف) ولكن مع حذف حال مأخوذة من الفعل الآخر المناسب، بمعونة القرينة اللفظية.

الرابع: أن اللفظ المذكور مستعمل في معناه الحقيقي، ولكنه مستتبع معنى آخر يناسبه من غير أن يستعمل هو فيه، ومن غير أن يستعمل له لفظ آخر، فيكون الكلام من باب الحقيقة التي قصد منها معنى آخر يناسبها، ويتبعها في الإرادة.

الخامس: أن المعنيين مرادان على طريق الكتابة، فيراد المعنى الأصلي، توصلا إلى المعنى المقصود، ولا حاجة إلى التقدير إلا لتصوير المعنى وضعف هذا القول بأن الكناية يصح معها إرادة المعنى الحقيقي وصرف النظر عن المعنى اللازم.

السادس: أن المعنيين مرادان على طريق عموم المجاز، وهو غير متسق التخريج كسابقه.

السابع: أنه مجاز عقلي في النسبة غير التامة، أي في النسبة بين الفعل ومتعلقاته.

الثامن: أنه نوع مستقل من أركان الكلام العربي، وقسم رابع للحقيقة والمجاز، وهذا ما اختاره ابن كمال باشا(ت٩٤٠هـ).

والذي يظهر لي من هذه الأقوال هو ما ذهب إليه ابن كمال باشا من أنه ركن مستقل من أركان البيان وذلك لأن التضمين يفارق الحقيقة في أنه يراد به المعنيان الحقيقة أصلاً والمجازي تبعا، ويقارن المجاز لأن المجاز استعمال اللفظ على غير معناه الحقيقي وأنه يشترط فيه وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي كما أنه يفارق الكناية.

المبحث الثاني
الدراسة التطبيقية

وفيه دراسة القراءات المتواترة والشاذة الوارد فيها ظاهرة التضمين مرتبة حسب سور القرآن الكريم

الموضع الأول: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ** ﴾[البقرة:٩]

• قَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو **(وما يُخَادِعون)** بِضَمِّ الْيَاءِ وَأَلِفٍ بَعْدَ الْخَاءِ وَكَسْرِ الدَّالِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَسُكُونِ الْخَاءِ وَفَتْحِ الدَّالِ مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ(١). وَقَرَأَ أَبُو طَالُوتَ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ شَدَّادٍ(ت٨٤هـ)(٢)، والْجَارُودُ بْنُ أَبِي سَبْرَةَ البصري(ت١٢٠هـ)(٣)(**وَمَا يُخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ**)ـ بِضَمِّ الْيَاءِ وَإِسْكَانِ الْخَاءِ وَفَتْحِ الدَّالِ ـ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ، ولا خلاف في نصب (**إِلَّآ أَنفُسَهُمْ**)(٤).

وأصل الخداع في اللغة السترُ، يقال للبيت الذي يخزن فيه المال: مخدع، والعرب تقول: انخدعت الضب في جحرها، فكان المنافقون يظهرون الإيمان ويسترون نفاقهم وكفرهم(٥)، وقال بعضهم: أصل الخداع في اللغة: الفساد، قال الشاعر:

---

(١) قراءتان متواترتان في النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢٠٧/٢.

(٢) عبد السلام بن شداد أبو طالوت، روى القراءة عن أبيه، روى القراءة عنه الحسن بن دينار، سئل عنه أحمد بن حنبل فقال لا أعلمه إلا ثقة (غاية النهاية لابن الجزري ٣٨٥/١).

(٣) سالم بْن سلمة الهذلي، أَبُو نوفل البَصْرِيّ، ويُقال فيه: الجارود بْن سبرة... روى عن: أبي بْن كعب، وأنس بْن مالك، وطلحة بْن عُبَيد اللَّه، ومعاوية بْن أَبي سفيان... قال أَبُو حاتم: صالح الحديث، وذكره خليفة بْن خياط فِي الطبقة الثانية من قراء أهل البصرة (تهذيب الكمال في أسماء الرجال: أبو الحجاج المزي ٤٧٥/٤ تح: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ–١٩٨٠م).

(٤) قراءة شاذة في المحتسب لابن جني ٥١/١، وشواذ القراءات لابن أبي نصر الكرماني ٦٠/١ والمحرر الوجيز ٩٠/١.

(٥) بحر العلوم للسمرقندي ٢٦/١.

أَبْيَضُ اللَّوْنِ لَذِيذٌ طَعْمُهُ * طَيِّبُ الرِّيقِ إِذَا الرِّيقُ خَدَعْ[1]

أي فسد. فيكون معناه: ليفسدون بما أضمروا بأنفسهم وبما أضمروا في قلوبهم[2]. والفعل **(خدع)** يتعدى بنفسه إلى مفعول واحد، «خَدَعَه، كمنَعه، خَدْعاً، ويُكْسَرُ: خَتَلَه، وأراد به المكروه من حيثُ لا يَعْلَمُ، ... والاسم: الخَديعَةُ»[3]، وخادَعَه مُخادَعة وخِداعاً وخَدَّعَه واخْتَدَعه: خَدَعه[4].

وهذا ظاهر في القراءتين المتواترتين، حيث تعدى الفعل إلى مفعول واحد هو قوله (**أَنفُسَهُمْ**)، «فَمن قَرَأَ (**يُخَادِعون**) فَهُوَ على المشاكلة؛ لِأَنَّهُ ذكر الأول بِلَفْظ المخادعة، وَهَذَا شكله فَذكره بِلَفْظِهِ.

وَمن قَرَأَ (**يَخْدَعُونَ**) فَهُوَ على الأَصْل، وعَلى أَن لفظ المخادعة لَا يَقْتَضِي الْمُشَارَكَة، بَين اثْنَتَيْنِ، وَمثله: طرقت النَّعْل، وطارقت النَّعْل، وَمثله كثير فِي أَلْفَاظ المفاعلة»[5].

أو أن «من قرأ بألف فعلى معنى المفاعلة؛ لأنه جعل خداعه لنفسه بمنزلة خداعه لغيره... فأما من أسقط الألف فإنه جعله من: خَدَعَ يَخْدَع.

---

(١) البيت من الرمل لسويد بن أبي كاهل اليشكري يصف ثغر امرأة في ديوانه ص ٢٤، وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ١٧٣٨/٣، والمفضليات ص ١٩١، وفيها الألفاظ: «أبيض» و «لذيذ» و «طيب» منصوبة.

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ١٥٢/١.

(٣) القاموس المحيط ٧١٢/١.

(٤) لسان العرب (خ د ع).

(٥) تفسير السمعاني ٤٨/١، وينظر: التفسير الوسيط للواحدي ٨٦/١، ومفاتيح الغيب ٣٠٤/٢.

والفرق بين خادع زيد عمرا، وبين خَدَعه؛ أنك إذا قلت: خادع زيد عمرا، فجائز أن يكون قد خدعه فانخدع له، وجائز ألا يكون انخدع له، فأما إسقاط الألف فمعناه أنه قد انخدع له.

ومعنى قوله: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ أي أن عاقبة فعلهم ذلك راجع عليهم بالوبال والعذاب»[1].

وأما في القراءة الشاذة فالفعل بني لما لم يسم فاعله، ونائب الفاعل ضمير الجمع، ويبقى سؤال: علام نصب قوله (أَنفُسَهُمْ)؟

وللإجابة على هذا السؤال ذكر العلماء **ثلاثة أوجه:**

أن يكون «انْتِصَابُ مَا بَعْدَ إِلَّا عَلَى مَا انْتُصِبَ عَلَيْهِ **(زَيْدٌ غُبِنَ رَأْيَهُ)**، إِمَّا عَلَى التَّمْيِيزِ عَلَى مَذْهَبِ الْكُوفِيِّينَ، وَإِمَّا عَلَى التَّشْبِيهِ بِالْمَفْعُولِ بِهِ عَلَى مَا زَعَمَ بَعْضُهُمْ. وَإِمَّا عَلَى إِسْقَاطِ حَرْفِ الْجَرِّ، أَيْ: فِي أَنْفُسِهِمْ، أَوْ عَنْ أَنْفُسِهِمْ. أَوْ ضَمَّنَ الْفِعْلَ مَعْنَى يَنْتَقِصونَ وَيَسْتَلِبُونَ، فَيَنْتَصِبُ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ»[2].

ولم يذكر ابن جني(ت٣٩٢هـ) القول الأول، واقتصر على القولين الآخرين إلا أنه أطال النفس في القول بالتضمين مما يدل دلالة واضحة على ترجيحه واصطفائه، فقال: «هذا على قولك: خدعتُ زيدًا نفسَه؛ ومعناه عن نفسه، فإن شئت قلت على هذا: حُذف حرف الجر، فوصل الفعل؛كقوله (ﷻ): ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾[الأعراف:١٥٥] أي: من قومه، وقوله:

أمرتُك الخَيرَ..... .....[3]

---

(١) المختار في معاني قراءات أهل الأمصار ١٣/١.

(٢) البحر المحيط ٩٤/١.

(٣) جزء من صدر بيت من البسيط لعمرو بن معدي كرب في ديوانه ص٦٣، وخزانة الأدب ١٢٤/٩، والكتاب ٧٢/١، ومغني اللبيب ص٣١٥، ولخفاف بن ندبة في ديوانه ص١٢٦، وللعباس بن مرداس في ديوانه ص ١٣١. =

أي: بالخير.

وإن شئت قلت: حمله على المعنى فأضمر له ما ينصبه، وذلك أن قولك: خدعتُ زيدًا عن نفسه، يدخله معنى: انتقصتُه نفسَه، وملكتُ عليه نفسَه، **وهذا من أَسَدِّ وأَدمث مذاهب العربية**، وذلك أنه موضع يملك فيه المعنى عِنَان الكلام فيأخذه إليه، ويصرِّفه بحسب ما يؤثره عليه.

وجملته: أنه متى كان فعل من الأفعال في معنى فعل آخر، فكثيرًا ما يُجْرَى أحدهما مجرى صاحبه، فيُعْدَلُ في الاستعمال به إليه، ويُحتذى في تصرفه حذو صاحبه، وإن كان طريق الاستعمال والعرف ضد مأخذه، ألا ترى إلى قوله الله (ﷻ) ﴿ **هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ** ﴾[النازعات:١٨] وأنت إنما تقول: هل لك في كذا؟ لكنه لما دخله معنى: أَجْذِبك إلى كذا وأدعوك إليه، قال: ﴿ **هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ** ﴾؟ وعليه قول الفرزدق:

كيف تراني قاليا مِجَنِّي... قد قتل الله زياداً عني(١)

فاستعمل «عن» هاهنا لما دخله من معنى قد صرفه الله عني؛ لأنه إذا قتله فقد صُرف عنه.

=وتمامه: **أَمَرْتُكَ الخَيرَ فافعلْ ما أُمِرْتَ به * فقد تَرَكْتُكَ ذا مال وذا نَشَبِ.**

وروي: أمرتك الرشد.. والنشب: المال الثابت كالضياع وغيرها، وهو من نشب الشيء إذا ثبت في موضع ولزمه، وكأنه أراد بالمال هنا الإبل خاصة، فلذلك عطف عليه النشب وقيل: النشب: جميع المال، فيكون على هذا التقدير عطفه على الأول مبالغة وتوكيدا، وسوغ ذلك اختلاف اللفظين: وتركتك: إذا كانت بمعنى: صيرتك، كان «ذا مال» مفعولا ثانيا، وإذا كانت بمعنى: خلفتك كان حالا، وقد للتحقيق.

(١) البيت من الرجز للفرزدق في ديوانه ٨٨١/٢.

وعليه قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾[البقرة:١٨٧]، وأنت لا تقول: رفثتُ إلى المرأة، وإنما تقول: رفثت بها ومعها، لما كان الرفث بمعنى الإفضاء عُدي بإلى كما يُعدَّى أفضيت بإلى، نحو قولك: أفضيت إلى المرأة، **وهو باب واسع ومنقاد...**

فكذلك قوله (ﷻ): (**وَمَا يُخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ**) جاء على خَدعْتُه نفسَه، لما كان معناه معنى: انتقصتُه نفسَه، أو تخوَّنتُه نفسَه.

ورأيتُ أبا علي(ت٣٧٧هـ) (رحمه الله) يذهب إلى استحسان مذهب الكسائي(ت١٧٩هـ) في قوله:

إِذَا رَضِيَتْ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ * لَعَمْرُ اللهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا[١]

لأنه قال: عدي رضيت بعلى، كما يُعدى نقيضها وهي سخطت به، وكان قياسه: رضيت عني، وإذا جاز أن يجري الشيء مجرى نقيضه فإجراؤه مجرى نظيره أسوغ.

فهذا مذهب الكسائي(ت١٧٩هـ) وما أحسنه! وفيه غيره على سمت ما كنا بصدده، وذلك أنه إذا رضي عنه فقد أقبل عليه، فكأنه قال: إذا أقبلَتْ عليَّ بنو قشير، وهو غور[٢] من أنحاء العربية طريف ولطيف ومصون وبَطين[٣]»[٤].

---

(١) البيت من الوافر للقحيف بن سليم العقيلي في: نوادر أبي زيد ١٧٦، والمقتضب ٣٢٠/٢، وأمالي ابن الشّجريّ ٦١٠/٢، ورصف المباني ٤٣٤، والخزانة ١٣٢/١٠، ١٣٣، وجامع البيان للطبري ١٩٩/١.

و(بنو قُشَير): قبيلة تُنسب إلى كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. و (لعمر الله): المراد الحلف بإقراره لله تعالى بالخلود والبقاء بعد فناء الخلق. والشّاهد فيه: (رضيتْ عليَّ) حيث جاءت (على) بمعنى (عن).

(٢) غَوْرُ كُلِّ شَيْءٍ: عُمْقه وبُعْده (لسان العرب غ و ر).

(٣) البَطينُ: البعيدُ (القاموس المحيط ١١٨١).

(٤) المحتسب ٥١/١ ــ ٥٣.

وتابعه ابن عطية (ت٥٤٢هـ) فيما ذكر، ثم قال «وهو باب سني[١] من فصاحة الكلام»[٢].

فواضح من نص ابن جني أنه وجه القراءة الشاذة بأحد وجهين:

أحدهما: أنها من قبيل حذف حرف جر مناسب للمعنى، والتقدير: وما يُخدعون إلا عن أنفسهم.

والآخر: أنها من باب التضمين، وقد رأيته قد ذكر معنى التضمين مثلما ذكره في الخصائص، ووصفه هنا بأنه من أسد مذاهب العربية وأدمثها، وأنه جار في كلامهم حملا على المعنى ــ وأنه موضع يملك فيه المعنى عنان الكلام فيأخذه إليه....

لكنك قد يتبادر إلى ذهنك من قوله: «إن شئت قلت: حمله على المعنى، فأضمر ما ينصبه»، أنه يريد أن القراءة المذكورة من قبيل إضمار الفعل الناصب، ولكن سرعان ما يزول هذا الفهم عندما تمضي في متابعة النص، فتجده يقرر أن مراده بذلك أن الفعل المذكور قد ضمن معنى هذا الفعل المضمر فأجري مجراه، واستعمل استعماله، لكن قوله بعد هذا: «وإن كان طريق الاستعمال والعرف ضد مأخذه» يفيد أن هذا التصرف العربي جار على خلاف الاستعمال والعرف العربي[٣].

فإن قلت: ما المراد بقوله: (**وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ**)؟ قلت: يجوز أن يراد:

---

(١) ذو رفعة (القاموس المحيط ١٢٩٦).

(٢) المحرر الوجيز ٩٠/١.

(٣) ينظر: من أسرار حروف الجر: د. الخضري ص٥٣ والبلاغة في القراءات الشاذة عند ابن جني ص٣٠٧.

وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين إلا أنفسهم لأن ضررها يلحقهم، ومكرها يحيق بهم، كما تقول: فلان يضارّ فلانا وما يضارّ إلا نفسه، أي: دائرة الضرار راجعة إليه وغير متخطية إياه.

وأن يراد حقيقة المخادعة أي: وهم في ذلك يخدعون أنفسهم حيث يمنونها الأباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به، وأنفسهم كذلك تمنيهم وتحدّثهم بالأماني. وأن يراد: وما يخدعون فجيء به على لفظ «يفاعلون» للمبالغة[1].

وهكذا تتكامل القراءات في بيان المعنى، حيث أشارت القراءتان المتواترتان إلى أن هؤلاء المنافقين خدعوا أنفسهم بسترهم الكفر وإظهارهم الإيمان مما أدى إلى فساد هذه الأنفس لمخالفتها الإيمان الحقيقي.

فبعد أن نبهت الآيات «على قلة عقولهم وخفة حلومهم من حيث إن محط حالهم أنهم يخادعون من لا يجوز عليه الخداع، وأن الذي حملهم على ذلك أنهم ليس لهم نوع شعور ولا شيء من إدراك بقوله تعالى –جواباً لسؤال من كأنه قال: فما قصدهم بإظهار الإيمان والإخبار عن أنفسهم بغير ما هي متصفة به مع معرفتهم بقبح الكذب وشناعته وفظاعته وبشاعته؟

{يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ} أي يبالغون في معاملته هذه المعاملة بإبطان غير ما يظهرون مع ما له من الإحاطة بكل شيء، والخداع أصله الإخفاء، والمفاعلة في أصلها للمبالغة؛ لأن الفعل متى غولب فيه فاعله جاء أبلغ وأحكم منه إذا زاوله وحده {وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ} أي يعاملونهم تلك المعاملة، وأمره تعالى بإجراء أحكام الإسلام عليهم في الدنيا صورته صورة الخدع وكذا امتثال المؤمنين أمره تعالى فيهم.

(١) الكشاف للزمخشري ٥٩/١.

قال الحَرَالِّيُّ(ت٦٣٧هـ)[١]: وجاء بصيغة المفاعلة لمكان إحاطة علم الله بخداعهم ولم يقرأ غيره ولا ينبغي، والخداع إظهار خير يتوسل به إلى إبطان شر يؤول إليه أمر ذلك الخير المظهر. انتهى.

{وَمَا يَخْدَعُونَ} أي بما يغرون به المؤمنين {إِلَّآ أَنفُسَهُمْ} يعني أن عقولهم لخباثتها إنما تسمى نفوساً،... وقراءة الحذف هذه لا تنافي قراءة {يخادعون}؛ لأن المطلق لا يخالف المقيد بالمبالغة، وعبر هنا بصيغة المفاعلة لشعورهم كما قال الحرالي بفساد أحوالهم في بعض الأوقات ومن بعض الأشخاص وبصيغة المجرد لعمههم عن فساد أحوالهم في أكثر أوقاتهم وعمه عامتهم ولا يكون من الله سبحانه إلا بلفظ الخدع؛ لأنهم لا يعلمون ما يخفى عنهم من أمره، ولذلك جاء في آية النساء ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[النساء:١٤٢]»[٢].

قال ابن الجزري(ت٨٣٣هـ): «وَاتَّفَقُوا عَلَى: قِرَاءَةِ الْحَرْفِ الْأَوَّلِ هُنَا ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ وَفِي النِّسَاءِ كَذَلِكَ؛ كَرَاهِيَةَ التَّصْرِيحِ بِهَذَا الْفِعْلِ الْقَبِيحِ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَأَخْرَجَ الْمُفَاعَلَةَ لِذَلِكَ»[٣].

والمعنى: {يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ} أي يفعلون بإظهار ما يسر وإبطان ما يضر فعل المخادع مع من له الإحاطة الكاملة بكل شيء؛ لأنه سبحانه وتعالى يستدرجهم

---

(١) الحَرَالِّيُّ... العَلاَّمَةُ المُتَفَنِّن، أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ بنِ حَسَنٍ التُّجِيْبِيُّ، الأَنْدَلُسِيُّ، وَحرَالَّة: قَرْيَةٌ مِنْ عَمل مُرْسِيَةَ.

وُلِدَ بِمَرَّاكُشَ، وَأَخَذَ النَّحْوَ عَنِ ابْنِ خروفٍ، ولَقِي العُلَمَاءَ، وَجَالَ فِي البِلاَدِ، ولَهِجَ بِالعَقْلِيَّاتِ، وَسَكَنَ حَمَاةَ، وَعَمِلَ تَفْسِيْراً عَجِيْباً..مَاتَ: سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلاَثِيْنَ وَسِتِّ مائَةٍ (سير أعلام النبلاء ٤٧/٢٣).

(٢) نظم الدرر ١٠٦/١.

(٣) النشر في القراءات العشر ٢٠٧/٢.

من حيث لا يشعرون، وهم يخدعون المؤمنين بإظهار الإيمان وإبطان الكفر {وَهُوَ} الذي أمر المؤمنين بما أمرهم فكأنهم يفعلون ذلك معه وهو {خَادِعُهُمْ} باستدراجهم من حيث لا يعلمون، لأنه قادر على أخذهم من مأمنهم وهم ليسوا قادرين على خدعه بوجه[1].

وأشارت القراءة الشاذة بما تحمله من تضمين الخداع معنى الانتقاص إلى مظهر آخر من مظاهر هذا الفساد والخداع، وهو انتقاص النفس حقها الذي جبلت عليه، ففي الحديث الصحيح، يقول الله (ﷻ): «**وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ**»[2].

****

الموضع الثاني: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام:٥٧]

قَرَأَ الْمَدَنِيَّانِ وَابْنُ كَثِيرٍ وَعَاصِمٌ (**يَقُصُّ**) بِالصَّادِّ مُهْمَلَةً مُشَدَّدَةً مِنَ الْقَصَصِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِإِسْكَانِ الْقَافِ وَكَسْرِ الضَّادِ مُعْجَمَةً مِنَ الْقَضَاءِ[3]. فالقراءة الأولى من الجذر اللغوي(ق ص ص)، و «الْقَافُ وَالصَّادُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَتَبُّعِ الشَّيْءِ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمُ: اقْتَصَصْتُ الْأَثَرَ، إِذَا تَتَبَّعْتُهُ، وَمِنْ ذَلِكَ اشْتِقَاقُ الْقِصَاصِ فِي الْجِرَاحِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يُفْعَلُ بِهِ مِثْلُ فِعْلِهِ بِالْأَوَّلِ، فَكَأَنَّهُ اقْتَصَّ أَثَرَهُ، وَمِنَ الْبَابِ الْقِصَّةُ وَالْقَصَصُ، كُلُّ ذَلِكَ يُتَتَبَّعُ فَيُذْكَرُ»[4].

---

(١) نظم الدرر ٤٤١/٥.

(٢) من حديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابُ الصِّفَاتِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ ٢٨٦٥/٢١٧٩/٤.

(٣) النشر ٢٥٨/٢.

(٤) مقاييس اللغة (ق ص ص) ١١/٥.

والفعل (قصَّ) يتعدى إلى المفعول بنفسه كما في القراءة الأولى؛ يقال: «قَصَّ أَثَرَه قَصّاً وقَصيصاً: تَتَبَّعَه، و الخَبَرَ: أعْلَمَهُ»[1]، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىچ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾ [القصص:١١][2].

والمعنى: «أن جميع ما أنبأ به وأمر به فهو من أقاصيص الحق»[3]، كَقَوْلِهِ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾[يُوسُفَ:٣]، وَبهذه الآية احْتج ابْن عَبَّاس(ت٦٨هـ)على هَذِه الْقِرَاءَة، وبقوله﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [النمل:٧٦] وقوله ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ﴾[الأنعام:١٣٠][4]، فقوله «(يَقُصُّ) -بِضَمِّ الْقَافِ وَبِالصَّادِّ الْمُهْمَلَةِ- مِنَ الِاقْتِصَاصِ، وَهُوَ اتِّبَاعُ الْأَثَرِ، أَيْ يُجْرِي قَدَرَهُ عَلَى أَثَرِ الْحَقِّ، أَيْ عَلَى وَفْقِهِ، أَوْ هُوَ مِنَ الْقَصَصِ، وَهُوَ الْحِكَايَةُ أَيْ يَحْكِي بِالْحَقِّ، أَيْ أَنَّ وَعْدَهُ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ فَهُوَ لَا يُخْبِرُ إِلَّا بِالْحَقِّ، و(ٱلْحَقَّ) مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ بِهِ عَلَى الِاحْتِمَالَيْنِ»[5].

أما القراءة الثانية فمن الجذر اللغوي (ق ض ي)، و«الْقَافُ وَالضَّادُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِحْكَامِ أَمْرٍ وَإِتْقَانِهِ وَإِنْفَاذِهِ لِجِهَتِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾[فصلت:١٢] أَيْ أَحْكَمَ خَلْقَهُنَّ.....وَالْقَضَاءُ: الْحُكْمُ؛ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي ذِكْرِ مَنْ قَالَ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾[طه:٧٢] أَيِ اصْنَعْ وَاحْكُمْ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ الْقَاضِي قَاضِيًا؛ لِأَنَّهُ يُحْكِمُ

(١) القاموس المحيط ٦٢٧/١.
(٢) لسان العرب (ق ص ص).
(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٥٦/٢.
(٤) حجة القراءات ص٢٥٤.
(٥) التحرير والتنوير ٢٦٨/٧.

الْأَحْكَامَ وَيُنْفِذُهَا، وَسُمِّيَتِ الْمَنِيَّةُ قَضَاءً لِأَنَّهُ أَمْرٌ يُنْفَذُ فِي ابْنِ آدَمَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْخَلْقِ»(١).

قَالَ الزُّهْرِيُّ(ت١٢٤هـ): القَضَاء فِي اللُّغَةِ عَلَى وُجُوهٍ مَرْجِعُهَا إِلى انْقِطَاعِ الشَّيْءِ وَتَمَامِهِ، وكلُّ مَا أُحْكِم عَمَلُهُ، أَو أُتِمَّ، أَو خُتِمَ، أَو أُدِّيَ أَداء، أَو أُوجِبَ، أَو أُعْلِمَ، أَو أُنْفِذَ، أَو أُمْضِيَ، فَقَدْ قُضِيَ(٢).

والفعل (قضى) يتعدى إلى المفعول بنفسه وبحرف الجر؛ «يُقَال قضى بَين الْخَصْمَيْنِ، وَقضى عَلَيْهِ، وَقضى لَهُ، وَقضى بِكَذَا، فَهُوَ قَاض»(٣)، إلا أنه إذا كان بمعنى الحكم والفصل فإنه يتعدى بحرف الجر، قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [النمل:٧٨]، وقال تعالى:﴿ وَٱللَّهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[غافر:٢٠] وقال البقاعي(ت٨٨٥هـ) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[النساء:٦٥]: «{ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيۤ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا } أي نوعاً من الضيق { مِّمَّا قَضَيْتَ } أي عليهم به»(٤).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الجاثية:١٧] يقول «{يَقْضِي بَيْنَهُمْ } بإحصاء الأعمال والجزاء عليها؛ لأن هذا مقتضى الحكمة والعزة»(٥).

---

(١) مقاييس اللغة (ق ض ى) ٥/٩٩.

(٢) لسان العرب (ق ض ى).

(٣) المعجم الوسيط (ق ض ى) ٢/٧٤٢.

(٤) نظم الدرر ٥/٣١٧.

(٥) نظم الدرر ١٨/٨٦.

ومعنى«{إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ} أَيْ: يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ وَيَفْصِلُ»[١]،فيميز بين المحق والمبطل بالإثابة والعقوبة[٢]، و(بَين) ظَرْفُ مَكَانٍ لِلْقَضَاءِ الْمَأْخُوذِ مِنْ فِعْلِ (يَقْضِي) فَفِعْلُ الْقَضَاءِ كَأَنَّهُ مُتَخَلِّلٌ بَيْنَهُمْ؛ لِأَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِتَبْيِينِ الْمُحِقِّ وَالْمُبْطِلِ[٣].

ولما كان الفعل **(يقضي)** يتعدى في لغة القرآن بحرف الجر ظاهرا أو مقدرا، فقد عول بعض العلماء على هذا الأمر في الاحتجاج لقراءة **(يقص)** وتفضيلها.

قَالَ مُجَاهِد(ت١٠٣هـ) لَو كَانَ (يَقْضِي)لكَانَتْ يقْضِي بِالْحَقِّ، وَالْعرب تَقول قضيت بِالْحَقِّ، قَالَ الله (ﷻ):{وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ} بِإِثْبَات الْيَاء وَالْبَاء مَعَ الْقَضَاء[٤].

يقول مكي بن أبي طالب(ت٤٣٧هـ): «وَالقِرَاءَةُ بالصَّادِ ــ غير معجمة ــ أَحَبُّ إِلَيَّ؛ لِاتِّفَاقِ الْحَرَمِيِّينَ وَعَاصِمٍ عَلَى ذَلِكَ، وَلِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مِنَ الْقَضَاءِ لَلَزِمَتِ الْبَاءُ فِيهِ[٥]، كَمَا أَتَتْ فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ[٦]»[٧]، يَعْنِي أَنْ يُقَالَ: يَقْضِي بِالْحَقِّ.

---

(١) روح المعاني ١٧٨/٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣٨١/٨.

(٣) التحرير والتنوير ٢٨٣/١١.

(٤) حجة القراءات ص٢٥٤.

(٥) قَالَ النَّحَّاسُ(ت٣٣٨هـ): وَهَذَا الِاحْتِجَاجُ لَا يَلْزَمُ؛ لِأَنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْبَاءِ تحذف كثيرا (الجامع لأحكام القرآن ٤٣٩/٦).

(٦) قراءة شاذة نسبت لابن مسعود والأعمش في شواذ القرآن واختلاف المصاحف ٢٥٠/١ ولابن مسعود وأبي بن كعب ويحيى بن وثاب وإبراهيم النخعي وطلحة والأعمش في المحرر الوجيز ٢٢٠/٥ والبحر المحيط ١٤٣/٤ وينظر: معجم قراءات الصحابة ٢٥١/١.

(٧) الكشف ٤٣٤/١ والكشف والبيان للثعلبي١٥٣/٤ ومعالم التنزيل للبغوي ١٢٨/٢.

ويعضد هذا أيضا الرسمُ؛ لأن الياء ذاهبة فيه[1]، يقول ابن خالويه(ت٣٧٠هـ): «والحجة لمن قرأه بالصاد أنه قال: لو كان ذلك من القضاء لثبت في الفعل الياء علامة للرفع[2]»[3].

وأبان الآخرون عن حذف حرف الجر في قراءة (يقض)، فأولها الزجاج(ت٣١١هـ) على وجهين، فقال: «فيه وجهان: جائز أن يكون الحق صفة للمصدر، المعنى: يَقْضِي القَضَاءَ الحق.

ويجوز أن يكون يقضي الحق: يَصنَع الحق؛ أي كل ما صنَعَه (ﷻ) فهو حق وحِكمة، إلا أن ﴿**وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ**﴾ يدل على معنى القضاءِ الذي هو الحكم، فأما قضى في معنى صنع فمثله قول الهُذَلي.

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا * دَاوُدُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَّعُ[4]

---

(١) الدرة الفريدة في شرح القصيدة لابن النجيبين ٤١٥/٣ وينظر: المقنع في رسم مصاحف الأمصار للداني ص٣٨.

(٢) فأما احتجاجه بحذف الياء فلا وجه له؛ لأنه قد حذف من السّواد ياءات وواوات هنّ علامات الرفع لالتقاء الساكنين لأنهن لما ذهبن لفظا سقطن خطّا (الحجة لابن خالويه ص١٤٠).

(٣) الحجة لابن خالويه ص١٤١.

(٤) البيت من الكامل لأبي ذؤيب الهذلي في ديوانه: ١٩وتأويل مشكل القرآن: ٣٤٢، من قصيدته التي فاقت كل شعر، يرثي أولاده حين ماتوا بالطاعون. والضمير في قوله: «وعليهما» إلى بطلين وصفهما في شعره قبل، كل قد أعد عدته، و«مسرودتان»، يعني درعين، من السرد، وهو الخرز أو النسج، قد نسجت حلقهما نسجا محكما. وداود: هو نبي الله (عليه السلام) وتبع: اسم لكل ملك من ملوك حمير، والصنع: الحاذق بعمله.

أي صنعهما داود»[١]، وعلى هذا فـ(الحق) مفعول به من قولهم: قضى فلان الذرع، إذا صنعها، أي: يصنع الحق ويُتَبِّرُهُ[٢]، فهو متعدي بنفسه من غير تضمين.

ونقل أبو حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ) أن بعض العلماء قد ضمن (قضى) معنى (ينفذ) إذ يقول: «وَضَمَّنَ بَعْضُهُمْ (يَقْضِي) مَعْنَى (يُنْفِذُ) فَعَدَّاهُ إِلَى مَفْعُولٍ بِهِ»[٣].

وأضاف السمين الحلبي وجها رابعا لنصب الحق وهو: أنه على إسقاط حرف الجر أي: يقضي بالحق، فلما حذف انتصب مجروره... ويؤيد ذلك القراءةُ بهذا الأصل[٤]، وَتَأْوِيلُهُ بِأَنَّهُ نَصْبٌ عَلَى نَزْعِ الْخَافِضِ نَادِرٌ[٥].

وينصر هذه القراءة ويعضدها:

١ـ السياق اللغوي السابق المتمثل في قوله ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، والقضاء هو الحكم.

٢ـ السياق اللغوي اللاحق المتمثل في قوله ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾، ولا يكون الفصل إلا في القضاء لا في القصص.

٣ـ قراءة ابن مسعود (رضي الله عنه) (يقضي بالحق) بدخول الباء على لفظة(الحق)، فَدُخُولُ الْبَاءِ يُؤَكِّدُ مَعْنَى الْقَضَاءِ.[١].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٥٦/٢، وينظر: الكشاف ٣٠/٢.

(٢) الدرة الفريدة ٤١٥/٣.

(٣) البحر المحيط ٥٣١/٤.

(٤) الدر المصون ٦٥٨/٤.

(٥) التحرير والتنوير ٢٦٨/٧.

(١) الدرة الفريدة ٤١٥/٣، والجامع لأحكام القرآن ٤٣٩/٦، وفتح القدير للشوكاني ١٤٩/٣.

وإذا كان الوجه الثاني قد رده الزجاج بالسياق اللاحق، والوجه الرابع رده ابن عاشور بالندرة، فالأقوى أن تخرج القراءة على الوجهين الأول والثالث.

أما عن الوجه الأول وهو حذف المصدر وإنابة الصفة عنه، فقد قرر النحاة أنه «يجوز حَذْفُ المصدر إذا قَامَ مقامُه صِفَتهُ، كقولك: قُلْتُ لك جميلاً وضربته وجيعًا، أي: قُلْتُ لك قولاً جميلاً؛ فحذف المصدر الموصوفَ، وأُقيمت الصّفة مقامه»[1].

ومن أهم أغراض النيابة التوسع في المعنى، فالإتيان بنائب المصدر قد يوسع المعنى توسيعا لا يؤديه ذكر المصدر، وذلك كالمجيء بصفة المصدر بدلا منه، فإنك إذا حذفت المصدر وجئت بصفته فربما احتمل معنى جديدا لم يكن ذكر المصدر يفيده ولا يحتمله وذلك نحو قوله تعالى﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾[آل عمران:٤١]، فهنا تحتمل كلمة(كثيرا) أن يراد بها الدلالة على المصدر، أي ذكرا كثيرا، ويحتمل بها الدلالة على الوقت، أي زمنا كثيرا، فهذا تعبير يحتمل معنيين في آن واحد بخلاف ما لو ذكرت الموصوف، فإنه لا يدل إلا على معنى واحد، وقد يكون المعنيان مطلوبين، أي ذكرا كثيرا زمنا كثيرا فتكسبهما بالحذف، فيكون الحذف قد أدى معنيين في آن واحد، وهذا توسع في التعبير وزيادة في المعنى[2]. وهو ما يمكن قوله في الآية التي معنا، فحذف المصدر يحتمل الدلالة على المصدر، أي القضاء الحق، ويحتمل الدلالة على الإطلاق أي يقضي دائما الحق، فهو سبحانه «يقضي القضاء الحق في كل ما يقضي من التأخير والتعجيل»[1].

---

(١) اللمحة في شرح الملحة ٣٥٠/١.

(٢) معاني النحو: د. فاضل السامرائي ١٣٨/٢.

(١) الدرة الفريدة ٤١٥/٣.

دلالة التضمين:

• مما سبق يتبين أنه لا تضمين في قراءة ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ سواء كانت بمعنى: يتلو، وهو من القصص على حد قوله تعالى ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [يوسف:٣]، أو بمعنى يتبع على حد قوله تعالى ﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [الكهف:٦٤]، فـ «كل معدّى بنفسه إلى واحد هو ﴿ٱلْحَقَّ﴾»[(١)]، والمعنى: إن جَمِيع مَا أنبأ بِهِ أَو أَمر بِهِ فَهُوَ من أقاصيص الْحق[(٢)].

• أما على قراءة (يَقْضِي ٱلْحَقَّ) فالفعل «يتعدى بالباء كقوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾[غافر:٢٠] فنصب ﴿ٱلْحَقَّ﴾ لما حذفت، أو ضمن معنى صنع»[(٣)]، أو معنى يُنفذ. فقد دلت هذه القراءة بما تضمنه الفعل من معنى آخر على:

١ــ دلالة الفعل الوضعية، و«معنى الكلام إذًا: ما الحكم فيما تستعجلون به، أيها المشركون، من عذاب الله وفيما بيني وبينكم، إلا الله الذي لا يجور في حكمه، وبيده الخلق والأمر، يقضي الحق بيني وبينكم، وهو خير الفاصلين بيننا بقضائه وحكمه»[(٤)].

٢ــ دلالة الفعل بالتضمين: أن هذا القضاء نافذ لا يرد، فالله ﴿يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ﴾[الرعد:٤١]، هو الذي يحكم فينْفُذُ حكمُه، ويَقْضي فيَمْضِي قضاؤه، لا راد لحكمه، ولا مغير له.

---

(١) شرح الجعبري على متن الشاطبية ١٥٠٨/٣.

(٢) حجة القراءات ص٢٥٤.

(٣) شرح الجعبري على متن الشاطبية ١٥٠٨/٣.

(٤) جامع البيان للطبري ٣٩٩/١١.

٣ــ أزال القول بالتضمين إشكال تعدي الفعل (يقضي) إلى المفعول دون حرف الجر، وأجاب عن أسلة من رجح قراءة (يقص) بأمر التعدية.

وكل هذه المعاني نزلت في سياق الرد استهزاء المشركين بالنبي (ﷺ) حيث «كَانَ (ﷺ) يُخَوِّفُهُمْ بِنُزُولِ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ بِسَبَبِ هَذَا الشِّرْكِ، وَالْقَوْمُ لِإِصْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ كَانُوا يَسْتَعْجِلُونَ نُزُولَ ذَلِكَ الْعَذَابِ. فَقَالَ تَعَالَى قُلْ يَا مُحَمَّدُ: ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ يَعْنِي قَوْلَهُمْ ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الْأَنْفَالِ: ٣٢] وَالْمُرَادُ: أَنَّ ذَلِكَ الْعَذَابَ يُنْزِلُهُ اللَّه فِي الْوَقْتِ الَّذِي أَرَادَ إنْزَالَهُ فِيهِ، وَلَا قُدْرَةَ لِي عَلَى تَقْدِيمِهِ أَوْ تَأْخِيرِهِ»(١).

فالحكم لله وحده، يقص الحق، ويخبر به، ويفصل فيه، ويُنفذه، فهو من شأن الألوهية وحدها، ومن خصائصها أما الرسول (ﷺ) فبشر، يوحى إليه، فيبلِّغ ويُنذِر.

• وبعد ذكر دلالة التضمين في قراءة (يقض الحق) تبقى بعض المسائل التي تتعلق بالقراءتين، ومن أهمها:

المسألة الأولى: القراءتان والرسم العثماني:

• وأما عن موقف القراءتين من الرسم العثماني فقراءة﴿يَقُصُّ﴾موافقة للرسم العثماني تحقيقا، أما القراءة الأخرى فتوافق الرسم العثماني تقديرا، وتتمثل دلالة حذف الياء في ثلاثة أمور:

الأول: حذفت الياء رسما تبعا لحذفها لفظا؛ لأنها ساقطة في الوصل لالتقاء الساكنين.

---

(١) مفاتيح الغيب ٩/١٣.

«قال الزمخشري(ت٥٣٨هـ): فإن قلت: لم أسقطت الياء في الخط؟ قلت: اتباعا للخط اللفظ، وسقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين»[١]. وقال ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ): «(يَقْضِ)- بِسُكُونِ الْقَافِ وَبِضَادٍ مُعْجَمَةٍ مَكْسُورَةٍ-... فِي الْمُصْحَفِ بِغَيْرِ يَاءٍ، فَاعْتُذِرَ عَنْ ذَلِكَ بِأَنَّ الْيَاءَ حُذِفَتْ فِي الْخَطِّ تَبَعًا لِحَذْفِهَا فِي اللَّفْظِ فِي حَالِ الْوَصْلِ، إِذْ هُوَ غَيْرُ مَحَلِّ وَقْفٍ، وَذَلِكَ مِمَّا أُجْرِيَ فِيهِ الرَّسْمُ عَلَى اعْتِبَارِ الْوَصْلِ عَلَى النَّادِرِ كَمَا كُتِبَ ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾[العلق:١٨]"... وَعَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ يَنْبَغِي أَنْ لَا يُوقَفُ عَلَيْهِ لِئَلَّا يُضْطَرَّ الْوَاقِفُ إِلَى إِظْهَارِ الْيَاءِ فَيُخَالِفُ الرَّسْمَ الْمُصْحَفِيَّ»[٢].

الثاني: أن حذفها وفقا لإحدى لهجات العربي، وهي لغة هذيل.

قال الجعبري(ت٧٣٢هـ) في وجه حذف الياء: «حذف من اللفظ اجتزاء بالكسرة المشار إليه في الأصل، وهي هذلية،... يقولون...: لا أدرِ... وعليه قوله:

لَيْسَ تخْفى يَسارَتِي قَدْرَ يَوْمٍ * وَلَقَدْ تُخْفِ شِيمَتِي إعْسَارِي»[١][٢]

وذكر الطبري(ت٣١٠هـ) أن «العرب ربما أسقطت الياء في موضع الرفع مثل هذا، اكتفاء بكسرة ما قبلها منها»[٣].

---

(١) الكشاف ٣٠/٢، وينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٥٦/٢، وفتح القدير للشوكاني ١٤٩/٣.

(٢) التحرير والتنوير ٢٦٨/٧، والكتاب المختار في معاني قراءات أهل الأمصار ٢٦١/١.

(١) من الخفيف دون نسبة في معاني القرآن للفراء ١١٨/٢، وجامع البيان للطبري ٤٠١/٢٤، وإبراز المعاني ص٣٠٦.

(٢) جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب القصائد للجعبري ص٥٣٥.

(٣) جامع البيان للطبري ٤٠١/٢٤.

الثالث: انطلاقا مما أصله الزركشي(ت٧٩٧هـ) والبقاعي(ت٨٨٥هـ) من دلالات للرسم العثماني، فيما ذكره الأول في قوله: «وقَدْ سَقَطَتْ الواو مِنْ أَرْبَعَةِ أَفْعَالٍ تَنْبِيهًا عَلَى سُرْعَةِ وُقُوعِ الْفِعْلِ وَسُهُولَتِهِ عَلَى الْفَاعِلِ وَشِدَّةِ قَبُولِ الْمُنْفَعِلِ الْمُتَأَثِّرِ بِهِ فِي الْوُجُودِ:

أولها: ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾[العلق:١٨] فِيهِ سُرْعَةُ الْفِعْلِ وَإِجَابَةُ الزَّبَانِيَةِ وَقُوَّةُ الْبَطْشِ وَهُوَ وَعِيدٌ عَظِيمٌ، ذُكِرَ مَبْدَؤُهُ وَحُذِفَ آخِرُهُ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ ﷻ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾[القمر:٥٠]

وثانيها: ﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ ﴾[الشورى:٢٤] حُذِفَتْ مِنْهُ الْوَاوُ عَلَامَةً عَلَى سُرْعَةِ الْحَقِّ وَقَبُولِ الْبَاطِلِ لَهُ بِسُرْعَةٍ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء:٨١]، وَلَيْسَ {وَيَمْحُ} مَعْطُوفًا عَلَى ﴿ يَخْتِمْ ﴾ الَّذِي قَبْلَهُ؛ لِأَنَّهُ ظَهَرَ مَعَ {وَيَمْحُ } الْفَاعِلُ وَعُطِفَ عَلَى الفعل ما بعده وهو ﴿ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ ﴾[الشورى:٢٤]...

وَثَالِثُهَا: ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ ﴾ [الإسراء:١١] حَذْفُ الْوَاوِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ سَهْلٌ عَلَيْهِ وَيُسَارِعُ فِيهِ كَمَا يَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ وَإِتْيَانُ الشَّرِّ إِلَيْهِ مِنْ جِهَةِ ذَاتِهِ أَقْرَبُ إِلَيْهِ من الخير.

ورابعها: ﴿ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ ﴾ [القمر:٦] حذف الواو لسرعة الدعاء وسرعة الإجابة»[1].

وما ذكره الثاني عند تفسيره لقوله تعالى﴿ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ ﴾ [القمر:٦]

«وحذف واو «يدعو» للرسم بإجماع المصاحف من غير موجب؛ لأن المقام لبيان اقترابها، فكأنه إشارة إلى كونها بأدنى دعاء، وأيضاً ففي حذفه تشبيه للخبر بالأمر إشارة إلى أن هذا الدعاء لا بد على أن يكون على أعظم

(١) البرهان في علوم القرآن ٣٩٧/١.

وجه وأتقنه وأهوله وأمكنه كما يكون كل مأمور من الأمر المطاع، والوقف على هذا وأمثاله بغير واو لجميع القراء موافقة للرسم لأن القاعدة أن ما كان فيها رواية أتبعت وإن خالفت الرسم أو الأصل، وما لم يرد فيه عن أحد منهم رواية اتبع فيه الرسم وإن خولف الأصل، لأن التخفيف معهود في كلام العرب كالوال والمتعال من أسمائه الحسنى»[1].

انطلاقا مما أصله هذا العلمان يمكننا القول: إن حذف الياء من قوله (يقضي الحق) للدلالة على سرعة وقوع هذا القضاء وتنفيذه وسهولته على فاعله، وهو وعيد عظيم.

المسألة الثانية: دلالة البنية المقطعية والصرفية للقراءتين:

• **البنية المقطعية** للقراءتين تقول: إن عدد المقاطع في(يَقُصُّ) أكثر منها في(يقضِ)؛ إذ إن الأولى تشتمل على ثلاثة مقاطع: مقطعين قصيرين مفتوحين يتوسطهما مقطع متوسط مغلق، بينما الثانية تتكون من مقطعين، الأول منهما: متوسط مغلق، والثاني: مفتوح قصير.

والبنية المقطعية بهذا الوصف أثرت في الزمن النطقي لكل لفظة من اللفظتين الكريمتين، فنطق (يقص) يستغرق زمنا أكثر من نطق(يقض) والفرق الزمني هذا يتناسب مع الدلالة المعجمية لكل لفظة، فالتتبع يحتاج لوقت، بينما الفصل يكون في وقت قصير[1]، وقد أشارت البنية الصرفية إلى هذا التفاوت الزمني؛ فقراءة (يَقُصُّ) على وزن(يفعل) بينما قراءة (يقضِ) على وزن (يفع) لحذف لام الكلمة للتخلص من التقاء الساكنين.

---

(١) نظم الدرر ٩٩/١٩.

(١) أثر السياق في فقه معاني القراءات: د. حمدي صلاح الهدهد ص ١٩٥٥.

المسألة الثالثة: ترتيب نزول القراءتين:

انطلاقا مما أصله ابن خالويه(ت٣٧٠هـ) لمسألة ترتيب نزول القراءات، وذلك في ضوء احتجاجه للقراءتين المتواترتين في قوله تعالى﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا **وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى** ﴾[البقرة:١٢٥]، حيث «قَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ(**وَاتَّخِذُوا**) بِفَتْحِ الْخَاءِ عَلَى الْخَبَرِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِكَسْرِهَا عَلَى الْأَمْرِ»[(١)][البقرة:١٢٥] يقول ابن خالويه محتجا للقراءتين: «قوله تعالى:﴿ **وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى** ﴾يقرأ بكسر الخاء وفتحها.

فالحجة لمن كسر: أنهم أمروا بذلك، ودليله قول عمر (ﷺ): «أفلا نتخذه مصلى؟»[(٢)]، فأنزل الله ذلك موافقا به قوله.

والحجة لمن فتح: أن الله تعالى، أخبر عنهم بذلك بعد أن فعلوه.

فإن قيل: فإن الأمر ضد الماضي، وكيف جاء القرآن، بالشيء وضده؟ فقل: إن الله تعالى أمرهم بذلك مبتدئا، ففعلوا ما أمروا به، فأثنى بذلك عليهم وأخبر به، وأنزله في العرضة الثانية»[(٣)].

انطلاقا من ذلك وفي ضوء معطيات ما سبق يمكننا القول: إن قراءة (يَقُصُّ) أسبق؛ إذ حكاية الأمر وتلاوته واتباعه يسبق القضاء والحكم والنفاذ، فلا يكون قضاء إلا بعد تتبع واستيفاء الحجج والبراهين.

---

(١) النشر في القراءات العشر ٢/٢٢٢.

(٢) أخرج البخاري في صحيحه: كتاب الصلاة، بَابُ مَا جَاءَ فِي القِبْلَةِ، وَمَنْ لَمْ يَرَ الإِعَادَةَ عَلَى مَنْ سَهَا، فَصَلَّى إِلَى غَيْرِ القِبْلَةِ ١/٨٩/٤٠٢ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ: «وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلاَثٍ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، فَنَزَلَتْ: {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} [البقرة:١٢٥]....

(٣) الحجة للقراء السبعة ص٨٧.

فالله (ﷻ) حكى لهؤلاء المشركين ما وقع من عذاب على الأمم السابقة وأن هذا العذاب لم يقع إلا بعدل منه سبحانه، ثم إن قضاءه تعالى نافذ في هؤلاء المشركين إن لم يجيبوا رسوله (ﷺ).

المسألة الرابعة: القراءتان بين الرواية والقياس:

حكي أنه قد سئل أبو عَمْرِو بْنَ الْعَلَاء(ت١٥٤هـ): أَهْوَ (يَقُصُّ الْحَقَّ) أَوْ (يَقْضِي الْحَقَّ)؟

فَقَالَ: لَوْ كَانَ (يَقُصُّ) لَقَالَ (وَهُوَ خَيْرُ الْقَاصِّينَ) أَقَرَأَ أَحَدٌ بِهَذَا؟! وَحَيْثُ قَالَ و﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴾ فَإِنَّمَا يَكُونُ الْفَصْلُ فِي الْقَضَاءِ.

وَلَمْ يَبْلُغْ أَبَا عَمْرٍو أَنَّهُ قُرِئَ بِهَا، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ: أَقَرَأَ بِهَا أَحَدٌ؟[1].وقال الأصمعي(ت٢١٦هـ): سمعت نافعا(ت١٦٩هـ) يقرأ﴿ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ﴾،فقلت لنافع: إن أبا عمرو(ت١٥٤هـ) يقرأ (يقض)، وقال: القضاء مع الفصل، فقال: وي يا أهل العراق! تقيسون في القرآن[2].

قلت: معنى قول أبي عمرو: القضاء مع الفصل: أي أني اخترت هذه القراءة لهذا، ولم يرد ردَّ القراءة الأخرى، ومعنى قول نافع: تقيسون في القرآن، لم يرد به أن قراءتهم أخذوها بالقياس، وإنما يريد أنهم اختاروا ذلك كذلك، والقراءتان ثابتتان عندهما.

---

(١) البحر المحيط٥٣١/٤، ومفاتيح الغيب للرازي٩/١٣، وفيهما: وَلَا يَلْزَمُ مَا قَالَ، فَقَدْ جَاءَ الْفَصْلُ فِي القول قال تَعَالَى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴾ [الطَّارِق: ١٣]، وَقَالَ: ﴿ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ ﴾ [هُودٍ: ١]، وَقَالَ: ﴿ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ ﴾ [الأعراف:٣٢] فَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذِكْرِ الْفَاصِلِينَ أَنْ يَكُونَ مُعَيِّنًا ليقضي.

(٢) جامع البيان في القراءات السبع ١٤٨/١.

قال ابن أبي هاشم(ت٣٤٩هـ)[١]: قال: يريد إياكم أن تأخذوا القراءة على قياس العربية، إنا أخذناها بالرواية[٢].

المسألة الخامسة: القراءة الشاذة وأثرها في اعتبار القراءة المتواترة:

• قال صاحب حجة القراءات: «وَكَانَ الْكسَائي(ت١٨٩هـ) يَعْتَبِرهَا بِقِرَاءَة ابْن مَسْعُود(ت٣٢هـ)، قَالَ: وَفِي قِرَاءَته {**يقْضِي بِالْحَق**}»[٣].

ومراده: أن الكسائي أحد القراء العشرة اختار قراءة (يقض الحق) بالضاد المعجمة اعتبارا بقراءة ابن مسعود (يقضي بالحق)، حيث إنها دليل على القضاء والفصل لا على التتبع والقص.

المسألة السادسة: القراءتان في ضوء الاختيار:

كل قراءة من القراءتين كانت محل اختيار من بعض العلماء، فحينما يختار الهذلي(ت٤٦٥هـ) قراءة (يقض) اعتمادا على السياق اللاحق، حيث يقول:

---

(١) عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم أبو طاهر البغدادي البزاز، الأستاذ الكبير الإمام النحوي العلم الثقة مؤلف كتاب البيان والفصل، أخذ القراءة عرضًا عن أحمد بن سهل الإشناني وأبي عثمان سعيد بن عبد الرحيم الضرير وأبي بكر بن مجاهد، وسمع الحروف من جماعة شاركه شيخه ابن مجاهد في أكثرهم... قال الحافظ أبو عمرو: ولم يكن بعد ابن مجاهد مثل أبي طاهر في علمه وفهمه مع صدق لهجته واستقامة طريقته، وكان ينتحل في النحو مذهب الكوفيين وكان حسن الهيئة ضيق الخلق.... ولما توفي ابن مجاهد (رحمه الله) أجمعوا على أن يقدموه فتصدر للإقراء في مجلسه وقصده الأكابر فتحلقوا عنده... وقال الخطيب: كان ثقة أمينا، مات في شوال سنة تسع وأربعين وثلاثمائة وقد جاوز السبعين، وهو والد محمد أبي عمر الزاهد غلام ثعلب (غاية النهاية ٤٧٥/١).

(٢) جمال القراء وكمال الإقراء ٣٢٩/١.

(٣) حجة القراءات ص٢٥٤.

«(يَقْضِ الْحَقَّ) ــ بالضاد من غير ياء ــ هو الاختيار لقوله:﴿ٱلْفَٰصِلِينَ﴾»[1]، نجد الجعبري (ت٧٣٢هـ) يختار القراءة الأخرى، فيقول: «واختياري التشديد لسلامته من الحذف والتأويل، وقراءة ابن مسعود بالباء محجوجة بالرسم، ولم يرجح الإعجام بالفاصلة لاتحاد المعنى وتكثيره أولى»[2]. وما ينبغي أن يفهم من هذا تفضيل قراءة على أخرى من حيث الثبوت والتواتر، فكلاهما متواتر ثابت متعبد بتلاوته، أما الاختيار من حيثُ أيُّ القراءتين أكثر توافقا مع اللغة والسياقات المتعددة فهو أمر مقبول دارجٌ عند قرائنا ولغوييننا القدامى.

المسألة السابعة: القراءتان وأثرهما في الاستعمال اللغوي وإثراء المعنى.

ــ ذهب أبو بكر بن إدريس (ق٤هـ) إلى أنه «لا فرق بين(يقضي بالحق) و(يقضي الحق)؛ لأنه من الأفعال التي المتكلم فيها بالخيار إن شاء وصلها بحرف جر، وإن شاء وصلها بغير حرف جر، كقولك: مسحت رأسي، ومسحت برأسي، وخشَّنت[3]صدر زيد، وخشّنت بصدره، ومثله كثير»[4]. قال الزجاجي(ت٣٣٧هـ): «وإنما هذا في أفعال مسموعة، تحفظ ولا يقاس عليها»[5].

• كما ذهب أبو السعود العمادي(ت٩٨٢هـ) إلى أن(يقص) هنا قد جاءت لمعنى خاص استنادا إلى السياق اللغوي الداخلي، فيقول: «﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله، مشيرٌ إلى أن قص الحق ههنا بطريق

---

(١) الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها ص٥٤١.

(٢) شرح الجعبري على متن الشاطبية ١٥٠٩/٣.

(٣) خَشَّنْت صدرَه تَخْشيناً: أَوْغَرْتُ (لسان العرب: خ ش ن).

(٤) الكتاب المختار في معاني قراءات أهل الأمصار ٢٦١/١.

(٥) المقرب ص١٢٦ وشرح جمل الزجاجي ٣٠٠/١.

خاصَ هو الفصلُ بين الحقِّ والباطلِ، هذا هُو الذي تستدعيهِ جزالة التنزيلِ. وقد قيل: إن المعنى: إني من معرفة ربي، وأنه لا معبود سواه على حجةٍ واضحةٍ، وشاهدِ صدقٍ، وكذبتم به أنتم حيث أشركتم به تعالى غيرَه. وأنت خبيرٌ بأن مساق النظم الكريم فيما سبقَ وما لحقَ على وصفهم بتكذيب آياتِ الله تعالى بسبب عدمِ مجيءِ العذاب الموعودِ فيها، فتكذيبُهم به سبحانه في أمر التوحيد مما لا تعلُّقَ له بالمقامِ أصلاً»[1].

****

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ﴾[الأنعام:١٥٧]

قرأ الجمهور ﴿ كَذَّبَ ﴾ بتشديد الذال، وقرأ يحيى بن وثاب(ت١٠٣هـ) وابن أبي عبلة(ت١٥١هـ) «**كَذَبَ**» بتخفيف الذال[2].

كذَبَ فعل لازم، وكذَّبَ متعدي، يقال: «كَذَبَ الرجلُ: أَخْبَر بالكَذِب... وكَذَّبَ الرجلَ تَكْذيباً وكِذَّاباً: جَعَلَهُ كاذِباً، وقَالَ لَهُ: كَذَبْتَ؛ وكَذَلِكَ كَذَّب بالأَمر تَكْذيباً وكِذَّاباً»[3]. وإذا كان الفعل «**كَذَبَ**» بتخفيف الذال لازما، فما توجيه قراءة التخفيف وقد تعدى فيها الفعل بحرف الجر الباء؟

---

(١) إرشاد العقل السليم ١٤٢/٣.

(٢) قراءة شاذة في مختصر ابن خالويه ص٤٧، والمحتسب لابن جني ٢٣٥/١، وشواذ القرآن واختلاف المصاحف لابن أبي نصر ٢٧٠/١، والمحرر الوجيز ٣٦٦/٢، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٢٣١/٥.

(٣) لسان العرب (ك ذ ب).

يجيب أبو الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ) عن ذلك، فيقول: «ينبغي أن يكون دخول الباء هنا حملًا على المعنى؛ وذلك لأنه في معنى مَكَرَ بها، وكفر بها، وما أكثر هذا النحو في هذه اللغة... ومنه قوله:

أَلَمْ يَأْتِيكَ والأَنْباءُ تَنْمي ** بِمَا لاقَتْ لَبُونُ بَنِي زِيادِ؟[١]

زاد الباء في «بما لاقت» لما كان معناه ألم تسمع بما لاقت لبونهم.

وفيه ما أنشدَناه أبو علي(ت٣٧٧هـ):

أَم كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطي العَلُوقُ بِهِ ** رئْمانُ أَنْفٍ إِذا مَا ضُنَّ بِاللَّبَنِ؟[٢]

ألحق الباء في «به» لما كان «تعطى» في معنى تسمح به، ألا تراه قال في آخر البيت: إذا ما ضُنَّ باللبن؟ فالضن نقيضُ السماحة والبذل»[٣].

---

(١) البيت من الوافر لقيس بن زهير العبسي يقوله في شحناء وقعت بينه وبين بني زياد بسبب درع له أخذها الربيع فطرد قيس إبلهم وباعها لعبد الله بن جدعان القرشي بمكة بأسياف وأدراع، وتنمي: من نمى الحديث –بالتخفيف – إذا بلغه على وجه الإصلاح – وبالتشديد– إذا كان على وجه الفساد، وبنو زياد: الربيع بن زياد وإخوته: أنس وعمارة وقيس أبناء فاطمة بنت الخرشب. ينظر: النوادر لأبي زيد الأنصاري، ص ٢٠٣، وخزانة الأدب ٨/ ٣٥٩، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٣٤٠، وشرح شواهد الشافية ٤٠٨، وشرح شواهد المغني ٣٢٨، والمقاصد النحوية ١/ ٢٣٠، ولسان العرب (أ ت ى) ولم تحذف الياء في قوله (يأتيك) للجازم، للضرورة.

(٢) البيت من البسيط لأُفنون التغلبي، وينظر: العين ١٦٢/١، والبيان والتبيين ٣٣/١، وأمالي وأمالي ابن الشجري ١: ٣٧، وغريب الحديث للحربي١٢٢١/٣، ومقاييس اللغة٤ /١٣٠. و«الْعلُوق» بِفَتْح الْعين الْمُهْملَة النَّاقة الَّتِي علق قَلبهَا بِولَدِهَا وَذَلِكَ أَنه ينْحَر ثمَّ يحشى جلده تبنا وَيجْعَل بَين يَديهَا لتشمه فتدر عَلَيْهِ فَهِيَ تسكن إِلَيْهِ مرّة وتنفر عَنهُ أُخْرَى، وَهَذَا الْبَيْت ينشد لمن يعد بالجميل وَلَا يَفْعَله لانطواء قلبه على ضِدّه (مغني اللبيب ص٦٧).

(٣) المحتسب ٢٣٥/١.

وهذا واضح في أن «كَذَبَ» قد ضمن معنى كفر أو مكر، فلذلك عدي بالباء التي يتعديان بها، فكانت القراءة **(كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ)** على هذا التضمين.

وقد أورد ابن جني نظيرين من شعر العرب لهذه القراءة، فقوله «**ألم يأتيك**» قد ضمن معنى: ألم تسمع، فعدي بما من شأن الثاني أن يتعدى به، فقيل: ألم يأتيك بما لاقت.. وكذلك: **أَم كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطي العَلُوقُ بِهِ**، ضمن «تعطي» معنى تسمح، فعدي بالباء، مع أنه يتعدى إلى المفعولين بنفسه، حملا على المعنى.

يقول جل ثناؤه: فمن أخطأُ فعلا وأشدّ عدوانًا منكم، أيها المشركون، المكذبون بحجج الله وأدلته وهي آياته... وأعرض عنها بعد ما أتته، فلم يؤمن بها، ولم يصدِّق بحقيقتها[1]، بعد ما عرف صحتها وصدقها، أو تمكن من معرفة ذلك وَصَدَفَ عَنْها الناس فضلّ وأضلّ[2]. وأفاد التضمين الذي ورد في القراءة الشاذة أنهم بتكذيبهم آيات الله (ﷻ) قد مكروا بها وكفروا فضلوا وأضلوا غيرهم.

****

الموضع الرابع: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ** ﴾[الأعراف:١٠٠]

• قرأ الجمهور (أَوَلَمْ يَهْدِ) بالياء، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي(ت٧٤هـ) وقتادة(ت١١٧هـ)، وروي عن مجاهد(ت١٠٣هـ) ويعقوب(ت٢٠٥هـ): **(نَهْدِ)** بالنون[3].

(١) جامع البيان ٢٤٣/١٢.

(٢) الكشاف للزمخشري ٨١/٢.

(٣) قراءة شاذة في شواذ القرآن واختلاف المصاحف ١/ ٢٨٦.

و «الْهَاءُ وَالدَّالُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ: أَصْلَان؛ **أَحَدُهُمَا** التَّقَدُّمُ لِلْإِرْشَادِ، وَ**الْآخَرُ** بَعْثَةُ لَطَفٍ.

فَالْأَوَّلُ قَوْلُهُمْ: هَدَيْتُهُ الطَّرِيقَ هِدَايَةً، أَيْ تَقَدَّمْتُهُ لِأُرْشِدَهُ، وَكُلُّ مُتَقَدِّمٍ لِذَلِكَ هَادٍ، قَالَ:

إِذَا كَانَ هَادِي الْفَتَى فِي الْبِلَا ** دِ صَدْرَ الْقَنَاةِ أَطَاعَ الْأَمِيرَا[1]

وَيُنْشَعَبُ هَذَا فَيُقَالُ: الْهُدَى خِلَافُ الضَّلَالَةِ، تَقُولُ: هَدَيْتُهُ هُدًى.... وَالْبَابُ فِي هَذَا الْقِيَاسِ كُلِّهِ وَاحِدٌ.

وَالْأَصْلُ الْآخَرُ الْهَدِيَّةُ: مَا أَهْدَيْتَ مِنْ لَطَفٍ إِلَى ذِي مَوَدَّةٍ، يُقَالُ: أَهْدَيْتُ أُهْدِي إِهْدَاءً»[2].

و«هَدَى: لازِمٌ متعد، واهْتَدَى؛ ومِنْه قولهُ تَعَالَى: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى ﴾[مريم:٧٦]، أَي يَزِيدُهم فِي يَقِينِهم هُدًى كَمَا أَضلَّ الفاسِقَ بفسْقِه ووضَعَ الهُدَى مَوْضِعَ الاهْتِداءِ؛ وَقَولــه تَعَــالَى: ﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ** ﴾[طه:٨٢] ؛ قَالَ الزجَّاج(ت٣١١هـ): أَي أَقامَ على الإِيمانِ، وهَدَى واهْتَدَى بمعْنًى واحِدٍ، وهَداهُ الله الطَّرِيقَ هِدايَةً: أَي عَرَّفَهُ... فيُعدَّى إِلَى مَفْعولَيْن.

وهَداهُ لَهُ هِدايَةً: دَلَّه عَلَيْهِ وبَيَّنَه لَهُ... وهَداهُ إِلَيْهِ.... أَي أَرْشَدَهُ إِلَيْهِ... فيُعَدَّى بحرْفِ الجرِّ كأَرْشَدَ»[3].

وقد أوضح ابن القيم(ت٧٥١هـ) دلالة هذا التنوع، فقال: «فعل الهداية يتعدى بنفسه تارة، وبحرف (إلى) تارة، وباللام تارة، والثلاثة في القرآن، فمن

(١) البيت من المتقارب لأعشى قيس في ديوانه ص٨٧ ط بيروت.
(٢) مقاييس اللغة (هـ د ي) ٤٣/٦.
(٣) تاج العروس (هـ د ي).

المعدى بنفسه... قوله: ﴿ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾[الفتح:٢]، ومن المعدى بـ (إلى) قوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[الشورى:٥٢] وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[الأنعام:١٦١]، ومن المعدى باللام قوله في قول أهل الجنة: ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾[الأعراف:٤٣]وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء:٩] والفرق بين هذه المواضع تدقُّ جدا عن أفهام العلماء، ولكن نذكر قاعدة تشير إلى الفرق، وهي: أن الفعل المعدى بالحروف المتعددة لا بد أن يكون له مع كل حرف معنى زائد على معنى الحرف الفعل المعدى بالحروف المتعددة لا بد أن يكون له مع كل حرف معنى زائد على معنى الحرف الآخر، وهذا بحسب اختلاف معاني الحروف، فإن ظهر اختلاف الحرفين ظهر الفرق، نحو: رغبت فيه ورغبت عنه، وعدلت إليه وعدلت عنه، وملت إليه وعنه، وسعيت إليه وسعيت به، وإن تقارب معنى الأدوات عَسُرَ الفرق، نحو: قصدت إليه وقصدت له، وهديته إلى كذا وهديته لكذا، وظاهرية النحاة يجعلون أحد الحرفين بمعنى الآخر، وأما فقهاء أهل العربية فلا يرتضون هذه الطريقة، بل يجعلون للفعل معنى مع الحرف ومعنى مع غيره، فينظرون إلى الحرف وما يستدعي من الأفعال فيُشربون الفعل المتعدي به معناه، وهذه طريقة إمام الصناعة سيبويه، وطريقة حذاق أصحابه؛ يضمنون الفعل معنى الفعل لا يقيمون الحرف مقام الحرف، وهذه قاعدة شريفة جليلة المقدار تستدعي فطنة ولطافة في الذهن... فإذا عرفت هذا؛ ففعل الهداية متى عُدي ب (إلى) تضمن الإيصال إلى الغاية المطلوبة، فأتى بحرف الغاية، ومتى عدي باللام تضمن التخصيص بالشيء المطلوب، فأتى باللام الدالة على الاختصاص والتعيين، فإذا قلت: هديته لكذا، أفهم معنى ذكرته له وجعلته له

وهيأته، ونحو هذا، وإذا تعدى بنفسه تضمن المعنى الجامع لذلك كله، وهو التعرف والبيان والإلهام... فتأمله فإنه من دقائق اللغة وأسرارها»(١).

والحاصل أَنَّ فِعْلَ الهداية يَتَعَدَّى إِلَى **مَفْعُولَيْنِ**، وَأَنَّهُ يَتَعَدَّى إِلَى **الْأَوَّلِ** مِنْهُمَا بِنَفْسِهِ وَإِلَى **الثَّانِي**:

- تَارَةً بِنَفْسِهِ، نحو قوله تعالى: ﴿ **وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا** ﴾[الفتح:٢]،
- وَأُخْرَى بِالْحَرْفِ: اللَّامِ، نحو قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا** ﴾ [الأعراف:٤٣].
- أَوْ (إِلَى)، نحو قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [الأنعام:١٦١].

وقد تعددت رؤى اللغويين تجاه هذا التنوع الأسلوبي:

١ــ فيرى الزَّجَّاجُ(ت٣١١هـ) أن قولنا: هَدَيْتُ إِلَى الْحَقِّ، وَهَدَيْتُ لِلْحَقِّ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، واللَّه ــ تَعَالَى ــ ذَكَرَ هَاتَيْنِ اللُّغَتَيْنِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ **قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ** ﴾[يونس:٣٥](٢).

٢ــ وينقل غيره أن هذا التنوع الأسلوبي راجع إلى التعدد اللهجي، ففي تاج العروس: «هَداهُ اللهُ الطَّرِيقَ هِدايَةً: أَي عَرَّفَهُ، قَالَ الجَوْهرِي(ت٣٩٣هـ): هَذِه لُغَةُ الحِجازِ.... فيُعدَّى إِلَى مَفْعولَيْن.

---

(١) بدائع الفوائد ٤٢٣/٢ ــ ٤٢٥.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٩/٣، ومفاتيح الغيب ٢٥٠/١٧، ولسان العرب (هـ د ي).

وهَداهُ لَهُ هِدايَةً: دلَّه عَلَيْهِ وبَيَّنَه لَهُ؛ ومِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾[السجدة:٢٦]؛ قَالَ أَبو عَمْرو بنُ العَلاء(ت١٥٤هـ): أَي أَوَ لم يُبَيِّن لَهُم، نقلَهُ الجَوْهري وَهِي لُغَة أَهْل الغَوْر.

وغَيْر أَهْل الحجاز يقولونَ: هَداهُ إِلَيْهِ؛ حَكَاها الأَخْفَش(ت٢١٥هـ)، أَي أَرْشَدَهُ إِلَيْهِ.... فيُعَدَّى بحرْفِ الجرِّ كأَرْشَدَ»[١].

٣ـ وَفَرَّقَ كَثِيرٌ مِنَ اللُّغويين بَيْنَ مَعْنَى الْمُتَعَدِّي بِنَفسِهِ وَغَيْرِ الْمُتَعَدِّي، فَقَالُوا: معنى الأوّل الدلالة، والثاني الْإِيصَالُ[٢].

٤ـ بل فرق كثير منهم أيضا بين المتعدي باللام والمتعدي بإلى «ففعل الهداية متى عُدي بـ (إلى) تضمن الإيصال إلى الغاية المطلوبة، فأتى بحرف الغاية.

ومتى عدي باللام تضمن التخصيص بالشيء المطلوب، فأتى باللام الدالة على الاختصاص والتعيين، فإذا قلت: هديته لكذا، أفهم معنى ذكرته له وجعلته له وهيأته، ونحو هذا، وإذا تعدى بنفسه تضمن المعنى الجامع لذلك كله، وهو التعرف والبيان والإلهام...»[٣].

ففي الآية التي ذكرها الزجاج(ت٣١١هـ) يمكن أن يقال: «عدى الهداية المنسوبة إلى الشركاء بإلى، والهداية المنسوبة إلى ذاته العلية باللام؛ لأنه لا يملك توجيه القلوب وتهيئتها للحق سواه»[٤].

---

(١) تاج العروس (هـ د ي).

(٢) فتح القدير ١/٢٧.

(٣) بدائع الفوائد ٢/ ٤٢٥.

(٤) من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم ص٢٢٤.

قال الآلوسي(ت١٢٧٠هـ): «وفعل الهداية يتعدى إلى اثنين ثانيهما بواسطة وهي إلى أو اللام، وقد يتعدى لهما بنفسه وهو لغة على ما قيل كاستعماله قاصرا بمعنى اهتدى، والمبرد(ت٢٨٥هـ) أنكر هذا حيث قال: إنَ هدى بمعنى اهتدى لا يعرف لكن لم يتابعه على ذلك الحفاظ كالفراء(ت٢٠٧هـ) وغيره، وقد جمع هنا بين صلتيه إلى واللام تفننا، وإشارة بـ(إلى) إلى معنى الانتهاء، وباللام للدلالة على أن المنتهى غاية للهداية، وأنها لم تتوجه إليه على سبيل الاتفاق بل على قصد من الفعل وجعله ثمرة له ولذلك عدي بها ما أسند إليه سبحانه ـ كما ترى ـ، وأما قوله (ﷻ): ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ فالمقصود به التعميم، وإن كان الفاعل في الواقع هو الله ـ جل شأنه ـ وقيل: اللام هنا للاختصاص والجمهور على الأول، والمفعول محذوف في المواضع الثلاثة، وجواز اللزوم في الأول مما لا يلتفت إليه»(١).

وجعل البقاعي(ت٨٨٥هـ) التنوع الأسلوبي في الآية من قبيل الاحتباك، فقال: «{مَّن يَهْدِىٓ} أي بالبيان أو التوفيق ولو بعد حين {إِلَى ٱلْحَقِّ} فضلاً عن أن يهدي للحق على أقرب ما يكون من الوجود إعلاماً. ولما كانوا جاهلين بالجواب الحق في ذلك أو معاندين، أمره أن يجيبهم معرضاً عن انتظار جوابهم آتياً بجزئي الاستفهام أيضاً فقال: {قُلِ ٱللَّهُ} أي الذي له الإحاطة الكاملة {يَهْدِىٓ} ولما كان قادراً على غاية الإسراع، عبر باللام فقال: {لِلْحَقِّ} إن أراد، ويهدي إلى الحق من يشاء، لا أحد ممن زعموهم شركاء، فالاشتغال بشيء منها بعبادة أو غيرها جهل محض واختلال في المزاج كبير، فالآية من الاحتباك: ذكر {إِلَى ٱلْحَقِّ} أولاً دليلاً على حذفه ثانياً، و {لِلْحَقِّ} ثانياً دليلاً على حذفه أولاً»(٢).

---

(١) روح المعاني ١٠٧/٦.

(٢) نظم الدرر ١١٧/٩.

والسياق القرآني في عمومه يفرق دلاليا بين اللام وإلى، ففي قوله ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[لقمان:٢٢]

يقول الزمخشري(ت٥٣٨هـ): «فإن قلت: ماله عدّى بإلى، وقد عدّى باللام في قوله ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ [البقرة:١١٢]؟ قلت: معناه مع اللام: أنه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله، أي خالصا له. ومعناه – مع إلى–:أنه سلم إليه نفسه كما يسلم المتاع إلى الرجل إذا دفع إليه، والمراد: التوكل عليه والتفويض إليه»(١).

ويسايره في بيان دلالات الحروف الفخر الرازي(ت٦٠٤هـ) فيقول في تفسيره لقول الله (ﷻ): ﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[الأنعام:٧٩]

«وَأَمَّا قَوْلُهُ:﴿ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾فَفِيهِ دَقِيقَةٌ دَقِيقَةٌ، وَهِيَ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ: وَجَّهَتْ وجهي إلى الذي فطر السموات وَالْأَرْضَ، بَلْ تَرَكَ هَذَا اللَّفْظَ وَذَكَرَ قَوْلَهُ:﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى ﴾وَالْمَعْنَى: أَنَّ تَوْجِيهَ وَجْهِ الْقَلْبِ لَيْسَ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ مُتَعَالٍ عَنِ الْحَيِّزِ وَالْجِهَةِ، بَلْ تَوْجِيهُ وَجْهِ الْقَلْبِ إِلَى خِدْمَتِهِ وَطَاعَتِهِ لِأَجْلِ عُبُودِيَّتِهِ، فَتَرْكُ كَلِمَةِ «إِلَى» هُنَا وَالِاكْتِفَاءُ بِحَرْفِ اللَّامِ دَلِيلٌ ظَاهِرٌ عَلَى كَوْنِ الْمَعْبُودِ مُتَعَالِيًا عَنِ الْحَيِّزِ وَالْجِهَةِ»(٢).

(١) الكشاف ٤٩٩/٣.

(٢) مفاتيح الغيب ٤٧/١٣.

والهداية طبقا لورودها في القرآن الكريم ذكر لها الشوكاني(ت١٢٥٠هـ) أربعة معان «هِيَ الْإِرْشَادُ أَوِ التَّوْفِيقُ أَوِ الْإِلْهَامُ أَوِ الدَّلَالَةُ»[١]. ويلاحظ اختلاف **البنية التركيبية للقراءتين**؛ فإذا قرئ {**أَوَلَمْ يَهْدِ**} بالياء كان {**أَنْ لَوْ نَشَاءُ**} مرفوعاً بأنه فاعله، بمعنى: أو لم يهد للذين يخلفون مَن خلا قبلهم في ديارهم ويرثون أرضهم هذا الشأن، وهو أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم، كما أصبنا من قبلهم، وأهلكنا الوارثين كما أهلكنا المورّثين. وإذا قرئ بالنون، فهو منصوب كأنه قيل: أو لم يهد الله للوارثين هذا الشأن، بمعنى: أولم نبين لهم أنا {**لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ**} كما أصبنا من قبلهم[٢].

وقد كان للعلماء مذهبان في مسألة التضمين في هذه الآية:

المذهب الأول: اعتبار التضمين في القراءة الشاذة، واعتبار التنزيل منزلة اللازم في القراءة المتواترة.

جاء في عناية القاضي وكفاية الراضي: «الظاهر أنّ اعتبار تضمين معنى (نبين) إنما هو على قراءة النون؛ حيث ذكر المفعول الثاني، وأما على قراءة الياء فهو من قبيل التنزيل منزلة اللازم ولا حاجة إلى تقدير المفعول الثاني أي: أو لم يبين لهم هذا الشأن الطريق المستقيم، أو مآلهم وعاقبة أمرهم»[٣].

وإنما يُنَزَّلُ المتعدِّي منزلة اللازمِ لعَدَم تعلُّقِ غرضٍ بالمفعول بهِ، فلا يُذكرُ له مفعولٌ ولا يُقدَّرُ.

المذهب الثاني: اعتبار التضمين في القراءتين، قال الآلوسي(ت١٢٧٠هـ): «{**أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا**} أي:

---

(١) فتح القدير ٢٧/١.

(٢) الكشاف للزمخشري ١٣٤/٢، ومفاتيح الغيب ٣٢٣/١٤.

(٣) عناية القاضي وكفاية الراضي ١٩٦/٤.

يخلفون مَن خلا قبلهم من الأمم، والمراد بهم... المشركون، وفُسِّروا بأهل مكة ومَن حولها،... وتعدية فعل الهداية باللام؛ لأنها ــ كما روي عن ابن عباس ومجاهد ــ بمعنى التبيين، وهو ــ على ما قيل ــ إما بطريق المجاز أو التضمين، أو لتنزيله منزلة اللازم، كأنه قيل: أَغفِلوا ولم يَفْعَل الهداية لهم {**أَنْ لَوْ نَشاءُ أَصَبْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ**} أي: بجزاء ذنوبهم كما أصبنا من قبلهم؟!.... والمصدر المؤول فاعل {**يَهْدِ**}، ومفعوله على احتمال التضمين محذوف، أي: أو لم يتبين لهم مآل أمرهم، أو نحو ذلك، وجُوِّز أن يكون الفاعلُ ضميرَ الله تعالى، وأن يكون ضميرا عائدا على ما يُفهم مما قبل، أي أو لم يهد لهم ما جرى على الأمم السابقة. وقرأ عبد الرحمن السلمي.... {نهد} بالنون، فالمصدر حينئذ مفعول، ومن الناس من خص اعتبار التضمين أو المجاز بهذه القراءة، واعتبار التنزيل منزلة اللازم بقراءة الياء، وفيه بحث»[1].

واعترض على المذهب الأول بأنّ التنزيل منزلة اللازم يكون بالنسبة إلى أحد المفعولين مع ذكر المفعول الآخر، كما يكون بالنسبة إلى المفعولين، والصريح كغير الصريح، فالقراءتان متساويتان في اعتبار التضمين....والحق أنّ التضمين أولى من التنزيل؛ لأنّ لام (للذين) إن حمل على التعدية فلا تنزيل، وان حمل على التعليل ففيه نوع تعسف كما لا يخفى[2].

وقد فسر أبو جعفر الطبري(ت٣١٠هـ) الهداية بالتبيين دون إشارة إلى التضمين أو التعدي، فقال: «يقول: أوَلَم يَبن للّذين يُسْتخلفون في الأرض بعد هلاك آخرين قبلهم كانُوا أهلها، فساروا سيرتهم، وعملوا أعمالهم، وعتوا عن أمر ربهم {أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم}، يقول: أن لو نشاء فعلنا بهم كما فعلنا

(١) روح المعاني ٢٦٥/٩، وينظر: الدر المصون ٣٩٣/٥.

(٢) عناية القاضي وكفاية الراضي ١٩٦/٤.

بمن قبلهم، فأخذناهم بذنوبهم، وعجّلنا لهم بأسَنا كما عجلناه لمن كان قبلهم ممن ورثوا عنه الأرض، فأهلكناهم بذنوبهم»[١].

أما الزمخشري(ت٥٣٨هـ) فاستعان بدلالة التعدي لإيضاح المعنى، فقال: «وإنما عدّى فعل الهداية باللام؛ لأنه بمعنى التبيين»[٢].

وقال ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ): «وَمَعْنَى {لَمْ يَهْدِ}: لَمْ يُرْشِدْ وَيُبَيِّنْ لَهُمْ، فَالْهِدَايَةُ أَصْلُهَا تَبْيِينُ الطَّرِيقِ لِلسَّائِرِ، وَاشْتُهِرَ اسْتِعْمَالُهُمْ فِي مُطْلَقِ الْإِرْشَادِ: مَجَازًا أَوِ اسْتِعَارَةً كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[الْفَاتِحَة:٦]... وتَعْدِيَتُهُ إِلَى الْمَفْعُولِ الْأَوَّلِ بِاللَّامِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِمَّا لِتَضْمِينِهِ مَعْنَى يُبَيِّنُ، وَإِمَّا لِتَقْوِيَةِ تَعَلُّقِ مَعْنَى الْفِعْلِ بِالْمَفْعُولِ كَمَا فِي قَوْلِهِمْ: شَكَرْتُ لَهُ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾[مَرْيَم:٥]»[٣].

فالتضمين أفاد معنيين:

الأول: البيان، أي: أو لم يبين أخذنا الأمم الماضية بالبأساء والضراء ثم إهلاكهم إذا لم يتعظوا {**للذين يرثون الأرض**}، وسياق السابق يبين ذلك، وذلك «أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا بَيَّنَ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْآيَاتِ حَالَ الْكُفَّارِ الَّذِينَ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِالِاسْتِئْصَالِ مُجْمَلًا وَمُفَصَّلًا أَتْبَعَهُ بِبَيَانِ أَنَّ الْغَرَضَ مِنْ ذِكْرِ هَذِهِ الْقَصَصِ حُصُولُ الْعِبْرَةِ لِجَمِيعِ الْمُكَلَّفِينَ فِي مَصَالِحِ أَدْيَانِهِمْ وَطَاعَاتِهِمْ»[٤]، وقد بين لهم مآل من سبقهم.

الثاني: ولا يخفى على ذي لب أن هذا البيان مؤداه الهداية إلى الحق، وكأنه خصص هذا البيان لهدايتهم، وجعله منتهى الغاية لهم.

---

(١) جامع البيان للطبري ٥٧٨/١٢.

(٢) الكشاف للزمخشري ١٣٤/٢، ومفاتيح الغيب ٣٢٣/١٤.

(٣) التحرير والتنوير ٢٧/٩.

(٤) مفاتيح الغيب للرازي ٣٢٣/١٤.

الموضع الخامس: قَالَ تَعَالَى:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الأعراف:١٨٧]

قرأ الجمهور﴿ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ﴾، وقرأ ابن مسعود(ت٣٢هـ) وابن عباس(ت٦٨هـ)﴿ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ بِهَا ﴾ بالباء[١].

الْحَاءُ وَالْفَاءُ وَمَا بَعْدَهُمَا مُعْتَلٌّ ثَلَاثَةُ أُصُولٍ: الْمَنْعُ، وَاسْتِقْصَاءُ السُّؤَالِ، وَالْحَفَاءِ خِلَافُ الِانْتِعَالِ. فَالْأَوَّلُ: قَوْلُهُمْ حَفَوْتُ الرَّجُلَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، إِذَا مَنَعْتَهُ. وَأَمَّا الْأَصْلُ الثَّانِي: فَقَوْلُهُمْ.. تَحَفَّيْتُ بِهِ: بَالَغْتُ فِي إِكْرَامِهِ، وَأَحْفَيْتُ، وَالْحَفِيُّ: الْمُسْتَقْصِي فِي السُّؤَالِ. قَالَ الْأَعْشَى:

فَإِنْ تَسْأَلِي عَنِّي فَيَا رُبَّ سَائِلٍ ** حَفِيٍّ عَنِ الْأَعْشَى بِهِ حَيْثُ أَصْعَدَا[٢].

وَقَالَ قَوْمٌ، وَهُوَ مِنَ الْبَابِ حَفِيتُ بِفُلَانٍ وَتَحَفَّيْتُ، إِذَا عُنِيتَ بِهِ، وَالْحَفِيُّ: الْعَالِمُ بِالشَّيْءِ[٣].

وحَفِيَ بِهِ كرَضِيَ، حَفاوَةً... وتَحَفَّى بِهِ... واحْتَفَى بِهِ: بالَغَ فِي إِكْرامِه وأَظْهَرَ السُّرورَ والفَرَحَ... ويقالُ: حَفِيَ فلانٌ بفلانٍ حِفْوةً، إِذا بَرَّه وأَلْطَفَه... وقالَ الأصْمعيُّ(ت٢١٦هـ): حَفِيَ بِهِ يَحْفَى حَفاوَةً: قامَ فِي حاجَتِه وأَحْسَنَ مَثْواهُ، و أَيضاً: أَكْثَرَ السُّؤَالَ عَن حَاله فَهُوَ حافٍ، وحَفِي، كغَنِيَ؛ وَبِه فُسِّرَتِ الآيَةُ: ﴿كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ﴾، أَي كأَنَّك أَكْثَرْتَ الْمَسْأَلَة عَنْهَا[٤]. قال أبو

(١) قراءة شاذة في المحتسب ١/ ٢٦٩، ومختصر ابن خالويه ص٤٧، والمحرر الوجيز ١٦٨/٦، وشواذ القرآن واختلاف المصاحف ٣٠٢/١.

(٢) ديوان الأعشى ١٧١، وانظر التهذيب ١٦٩/٥، واللسان (ح ف ا).

(٣) مقاييس اللغة (ح ف ي) ٨٣/٢.

(٤) تاج العروس (ح ف و)، وينظر: المفردات في غريب القرآن ص٢٤٥.

حيان(ت٧٤٥هـ): «(حَفِيٌّ) لَا يَتَعَدَّى بِعَنَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾[مريم:٤٧]فَعَدَّاهُ بِالْبَاءِ»(١).

• فمعنى القراءة الشاذة: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ بِهَا ﴾، أَيْ: عَالِمٌ بِهَا بَلِيغٌ فِي الْعِلْمِ بِهَا(٢).

• وأما القراءة المتواترة فذكر علماؤنا فيها ثلاثة أوجه:

الأول: أن يتعلق قوله: ﴿عَنْهَا ﴾ بِـ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ ﴾أَيْ: يَسْأَلُونَكَ عَنْهَا، وَتَكُونُ صِلَةُ ﴿حَفِيٌّ ﴾ مَحْذُوفَةً، وَالتَّقْدِيرُ: كَأَنَّكَ حَفِيٌّ بِهَا، أَيْ: مُعْتَنٍ بِشَأْنِهَا حَتَّى عَلِمْتَ حَقِيقَتَهَا وَوَقْتَ مَجِيئِها، أَوْ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ بِهِمْ أو معتن بِأَمْرِهِمْ فَتُجِيبُهُمْ عَنْهَا لِزَعْمِهِمْ أَنَّ عِلْمَهَا عِنْدَكَ(٣).

قال أبو الفتح(ت٣٩٢هـ): ذهب أبو الحسن(ت٢١٥هـ) في قوله: {**يَسْأَلونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا**} إلى أن تقديره: يسألونك عنها كأنك حفي بها، فأخر {عن} وحذف الجار والمجرور للدلالة عليهما، فهذا الذي قدره أبو الحسن(ت٢١٥هـ) قد أظهره ابن عباس(ت٦٨هـ)، وحذف {عنها} لدلالة الحال عليها، ألا ترى أنه إذا كان حفيًّا بها فمن العرف وجاري عادة الاستعمال أن يُسْأَل عنها، كما أنه إذا سئل عنها فليس ذلك إلا لحفاوته بها؟ وإذا لم يكن بها حفيًّا لم يكن عنها مسئولًا، وكل واحد من حرفي الجر دل عليه ما صحبه فساغ حذفه، وهذا واضح(٤).

• وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ عَنْ بِمَعْنَى الْبَاءِ كَمَا تَكُونُ الْبَاءُ بِمَعْنَى عَنْ فِي قَوْلِهِ:

---

(١) الدر المصون ٥٣١/٥.

(٢) الكشاف ١٨٤/٢، والبحر المحيط ٢٣٩/٥.

(٣) البحر المحيط ٢٣٩/٥.

(٤) المحتسب لابن جني ٢٦٩/١.

فَإِنَّ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فإِنَّنِي ** بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسِاءِ طَبِيبُ[1]

أَيْ: عَنِ النِّسَاءِ[2].

• وإما أن يتعلق ﴿عَنْهَا﴾ بـ ﴿حَفِيٌّ﴾ عَلَى جِهَةِ التَّضْمِينِ؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَ حَفِيًّا بِشَيْءٍ أَدْرَكَهُ وَكَشَفَ عَنْهُ، فَالتَّقْدِيرُ: كَأَنَّكَ كَاشِفٌ بِحَفَاوَتِكَ عَنْهَا[3].

قال الآلوسي(ت١٢٥٠هـ): «وعدي الوصف بعن اعتبارا لأصل معناه وهو السؤال والبحث، وقيل: لأنه ضمن معنى الكشف، ولولا ذلك لعدي بالباء، ... وقيل: هو من حفي بالشيء إذا فرح به... والمعنى كأنك فرح بالسؤال عنها تحبه، وعَنِ على هذا متعلقة-بحفي-كما قيل: لتضمنه معنى السؤال»[4].

وهذا ما أبان عنه المفسرون، فيقول الطبري(ت٣١٠هـ): «وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: كأنك حفي بالمسألة عنها فتعلمها.

فإن قال قائل: وكيف قيل: (حفي عنها)، ولم يُقَل: «حفي بها»، إن كان ذلك تأويل الكلام؟

قيل: إن ذلك قيل كذلك؛ لأن الحفاوة إنما تكون في المسألة، وهي البشاشة للمسئول عند المسألة، والإكثار من السؤال عنه، والسؤال يوصل ب «عن» مرة، وبـ «الباء» مرة، فيقال: «سألت عنه»، و«سألت به»، فلما وضع قوله: «حفي» موضع السؤال، وصل بأغلب الحرفين اللذين يوصل بهما «السؤال»، وهو «عن»، كما قال الشاعر:

---

(١) البيت من الطويل لعلقمة بن عبدة الْمُلَقَّبُ بِالْفَحْلِ في مقاييس اللغة (ط ب ب) ٤٠٧/٣.

(٢) البحر المحيط ٢٣٩/٥.

(٣) البحر المحيط ٢٣٩/٥.

(٤) روح المعاني ١٢٤/٥.

سُؤَالَ حَفِيٍّ عَنْ أَخِيهِ كَأَنَّهُ ** بِذِكْرَتِهِ وَسْنَانُ أَوْ مُتَوَاسِنُ[1]»[2].

وقال الزمخشري(ت٥٣٨هـ): «﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ كأنك عالم بها، وحقيقته: كأنك بليغ في السؤال عنها؛ لأن من بالغ في المسألة عن الشيء والتنقير عنه، استحكم علمه فيه ورصن، وهذا التركيب معناه المبالغة، ومنه: إحفاء الشارب، واحتفاء البقل: استئصاله، وأحفى في المسألة، إذا ألحف، وحفي بفلان وتحفى به: بالغ في البرّ به، وعن مجاهد(ت١٠٣هـ): استحفيت عنها السؤال حتى علمت»[3]. وقال البقاعي(ت٨٨٥هـ): «{كَأَنَّكَ حَفِيٌّ} أي عالم بأمرها مستقص مبالغ في السؤال {عَنْهَا}»[4].

وذكر أبو السعود العمادي(ت٩٨٢هـ) معاني هذه الجملة، فقال: «{يسألونك كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا} استئنافٌ مَسوقٌ لبيان خطئِهم في توجيه السؤالِ إلى رسول الله (ﷺ) بناءً على زعمهم أنه (ﷺ) عالم بالمسئول عنه، أو أن العلمَ بذلك من مواجب الرسالةِ إثرَ بيانِ خطئِهم في أصل السؤال بإعلام شأنِ المسئول عنه....

وقيل: هو من الحَفاوة بمعنى البِرِّ والشفقة، فإن قريشاً قالوا له (ﷺ) إن بيننا وبينك قرابةً، فقل لنا متى الساعة، والمعنى: يسألونك كأنك تتحفّى بهم

---

(١) البيت من الطويل للمعطل الهذلي في ديوان الهذليين ٣/ ٤٥ من قصيدة له طويلة، وروايته في ديوانه:

سؤال الغني عن أخيه، كأنه... بذكرته وسنان أو متواسن.

(٢) جامع البيان ١٣/٣٠٠.

(٣) الكشاف ٢/١٨٤.

(٤) نظم الدرر ٨/١٨٧.

فتخصّهم بتعليم وقتِها؛ لأجل القرابة وتَزْوي أمرَها عن غيرهم، ففيه تخطئةٌ لهم من جهتين.

وقيل: هو من حفِيَ بالشيء، بمعنى فرح به، والمعنى: كأنك فرِحٌ بالسؤال عنها تحبّه مع أنك كارِهٌ له لِما أنه تعرُّضٌ لحُرَم الغيبِ الذي استأثر الله (ﷻ) بعلمه[1].

فالوجوه **ثلاثة؛ الأوّل:** إنه بمعنى عالم، **والثاني:** بمعنى الشفقة، **والثالث:** بمعنى المحبة[2].

وحَفِيٌّ فَعِيلٌ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى فَاعِلٍ مُشْتَقًّا مِنْ حَفِيٍّ بِهِ، مِثْلِ غَنِيٍّ فَهُوَ غَنِيٌّ إِذَا أَكْثَرَ السُّؤَالَ عَنْ حَالِهِ تَلَطُّفًا، وَيَكُونُ الْمَعْنَى كَأَنَّكَ أَكْثَرْتَ السُّؤَالَ عَنْ وَقْتِهَا حَتَّى عَلِمْتَهُ، فَيَكُونُ وَصْفُ حَفِيٌّ كِنَايَةً عَنِ الْعَالِمِ بِالشَّيْءِ؛ لِأَنَّ كَثْرَةَ السُّؤَالِ تَقْتَضِي حُصُولَ الْعِلْمِ بِالْمَسْئُولِ عَنْهُ...

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُشْتَقًّا مَنْ أَحْفَاهُ إِذَا أَلَحَّ عَلَيْهِ فِي فِعْلٍ، فَيَكُونُ فَعِيلًا بِمَعْنَى مُفْعِلٍ مِثْلِ حَكِيمٍ، أَيْ كَأَنَّكَ مُلِحٌّ فِي السُّؤَالِ عَنْهَا، أَيْ مُلِحٌّ عَلَى اللَّهِ فِي سُؤَالِ تَعْيِينِ وَقْتِ السَّاعَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكْكُمْ تَبْخَلُوا۟ ﴾ [مُحَمَّد:٣٧].

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَفِيٌّ مُشْتَقًّا مِنْ حَفِيٍّ بِهِ، كَرَضِيٍّ بِمَعْنَى بَالَغَ فِي الْإِكْرَامِ، فَيَكُونُ مُسْتَعْمَلًا فِي صَرِيحِ مَعْنَاهُ، وَالتَّقْدِيرُ: كَأَنَّكَ حَفِيٌّ بِهِمْ أَيْ مُكْرِمٌ لَهُمْ وَمُلَاطِفٌ فَيَكُونُ تَهَكُّمًا بِالْمُشْرِكِينَ، أَيْ يُظْهِرُونَ لَكَ أَنَّكَ كَذَلِكَ لِيَسْتَنْزِلُوكَ لِلْخَوْضِ مَعَهُمْ فِي تَعْيِينِ وَقْتِ السَّاعَةِ.

وَفِي الْآيَةِ إِشَارَةٌ إِلَى أَن الرَّسُول (ﷺ) لَا تَتَعَلَّقُ هِمَّتُهُ بِتَعْيِينِ وَقْتِ السَّاعَةِ، إِذْ لَا فَائِدَةَ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَلِأَنَّهُ لَو اهْتَمَّ بِذَلِكَ لَكَانَ فِي اهْتِمَامِهِ تَطَلُّبًا لِإِبْطَالِ الْحِكْمَةِ

(١) إرشاد العقل السليم ٣/٣٠١.

(٢) حاشية الشهاب ٤/٢٤٢.

فِي إِخْفَائِهَا، وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ انْتِفَاءَ عِلْمِهِ بِوَقْتِهَا لَا يُنَافِي كَرَامَتَهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِأَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ كَمَالًا نَفْسِيًّا يَصْرِفُهُ عَنْ تَطَلُّبِ ذَلِكَ، وَلَوْ تَطَلَّبَهُ لَأَعْلَمَهُ اللَّهُ بِهِ[1].

****

الموضع السادس: ـــــ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ** ﴾ [هود: ٧]

• قرأ الجمهور(إِنَّكُم) بكسر الهمزة، وقرأ الأعمش(ت١٤٨هـ) «أنكم» بفتحها[2].

فقراءة الجمهور ظاهرة؛ «لِأَنَّهَا بَعْدَ الْقَوْلِ مُبْتَدَأٌ»[3]، قال ابن الصائغ(ت٧٢٠هـ): «المواضع الّتي يجب فيها كسر (إنّ)... أن يحكى بها القول؛ وهو مجرّدًا من معنى الظّنّ، كقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾ [مريم:٣٠] ؛واحترزت بتجريده من معنى الظّنّ، من نحو: (أتقولُ أنّك فاضل)»[4].

والمعنى: يقول ــ تعالى ذكره ــ لنبيه محمد (ﷺ): ولئن قلت لهؤلاء المشركين من قومك: إنكم مبعوثون أحياء من بعد مماتكم! فتلوت عليهم بذلك

(١) التحرير والتنوير ٢٠٤/٩.

(٢) قراءة شاذة نسبت إلى الأعمش، وقال القرطبي في جامعه «وَحَكَى سِيبَوَيْهِ الْفَتْحَ ».

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٩/٩.

(٤) اللمحة في شرح الملحة ٥٤٨/٢، وينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٣٢٠/١، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع ٤٩٨/١.

تنزيلي ووحيي ليقولن ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، أي: ما هذا الذي تتلوه علينا مما تقول، إلا سحر لسامعه، مبينٌ لسامعه عن حقيقته أنه سحر(١).

وأما قراءة الفتح ففيها وجهان:

الأول: أنها فتحت على اعتبار أن (أنكم) بمعنى لعلكم، قال الزمخشري(ت٥٣٨هـ): «ووجهه أن يكون من قولهم: ائت السوق عنك تشتري لنا لحماً، وأنك تشتري بمعنى علك، أي: ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون، بمعنى: توقعوا بعثكم وظنوه، ولا تبتوا القول بإنكاره، لقالوا (إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ) باتين القول ببطلانه»(٢)، ولعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في إنكاره(٣).

الثاني: أَنْ يُضَمَّنَ(قُلْتَ) مَعْنَى ذَكَرْتَ، وتكون (أن) وما بعدها في تأويل مصدر مفعولا لذكرت(٤).

واستظهر بعضهم كون القول بمعنى الذكر مجازا، وتعقب بأن الذكر والقول مترادفان فلا معنى للتجوز حينئذ، ولما كان القول باقيا في التضمين جاء الخطاب على مقتضاه(٥).

---

(١) جامع البيان للطبري ٢٥١/١٥.

(٢) الكشاف للزمخشري ٣٨٠/٢ــ ٣٨١.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ١٢٨/٣.

(٤) الكشاف للزمخشري ٣٨٠/٢ــ ٣٨١، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ١٢٨/٣، والبحر المحيط ١٢٦/٦، واللباب في علوم الكتاب ٤٤١/١٠، وفتح القدير للشوكاني٥٤٨/٢، وروح المعاني ٢١٤/٦.

(٥) روح المعاني ٢١٤/٦.

ولعل الأرجح القول بالتضمين؛ لأن القراءة المشهورة صريحة في القطع والبت، وهذه صريحة في خلافه فيتنافيان(١).

دلالة التضمين:

لبيان دلالة التضمين ينبغي ذكر أمرين:

الأول: اختلاف الدلالة التركيبية في القراءتين؛ فـ«(إنّ) الْمَكْسُورَة لَا تغير معنى الْجُمْلَة بل تؤكدها، والمفتوحة تغير معنى الْجُمْلَة؛ لِأَنَّهَا مَعَ الْجُمْلَة الَّتِي بعْدهَا فِي حكم الْمُفْرد؛ ولِهَذَا وَجب الْكسر فِي كل مَوضِع تبقى الْجُمْلَة بِحَالِهَا، وَوَجَب الْفَتْح فِي كل مَوضِع يكون مَا بعْدهَا فِي حكم الْمُفْرد»(٢).

الثاني: بين القول والذكر ملمح دلالي فارق، فـ «الْقَافُ وَالْوَاوُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَقِلُّ كَلِمُهُ، وَهُوَ الْقَوْلُ مِنَ النُّطْقِ، يُقَالُ: قَالَ يَقُولُ قَوْلًا...»(٣)، و«معنى (ق ول) أين وجدت وكيف وقعت، من تقدم بعض حروفها على بعض وتأخره عنه، إنما هو للخفوف والحركة، وجهات تراكيبها الست مستعملة كلها لم يهمل شيء منها...

الأصل الأول: (ق ول) وهو القول، وذلك أن الفم واللسان يخفان له ويقلقان ويمذلان(٤)به، وهو بضد السكوت الذي هو داعية إلى السكون ألا ترى أن الابتداء لما كان أخذًا في القول لم يكن الحرف المبدوء به إلا متحركًا، ولما كان الانتهاء أخذًا في السكوت لم يكن الحرف الموقوف عليه إلا ساكنًا»(٥).

---

(١) ينظر: روح المعاني ٦/٢١٤، وحاشية الشهاب الخفاجي ٥/٧٥.

(٢) الكليات ص١٩٠.

(٣) مقاييس اللغة (ق و ل) ٥/٤٢.

(٤) المَذَل: الضجَر والقَلَق (لسان العرب: م ذ ل).

(٥) الخصائص ١/٥.

و«الذَّالُ وَالْكَافُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ، عَنْهُمَا يَتَفَرَّعُ كَلِمُ الْبَابِ، فَالْمُذْكِرُ: الَّتِي وَلَدَتْ ذَكَرًا.... وَالْأَصْلُ الْآخَرُ: ذَكَرْتُ الشَّيْءَ، خِلَافُ نَسِيتُهُ، ثُمَّ حُمِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ بِاللِّسَانِ، وَيَقُولُونَ: اجْعَلْهُ مِنْكَ عَلَى ذُكْرٍ، بِضَمِّ الذَّالِ، أَيْ لَا تَنْسَهُ، وَالذِّكْرُ: الْعَلَاءُ وَالشَّرَفُ، وَهُوَ قِيَاسُ الْأَصْلِ، وَيُقَالُ رَجُلٌ ذَكِرٌ وَذِكِّيرٌ، أَيْ جَيِّدُ الذِّكْرِ شَهْمٌ»[1].

والذِّكْر: الشَّيْءُ يَجْرِي على اللِّسَانِ، وَمِنْه قَوْلهم: ذَكَرْت لِفُلان حَدِيثَ كَذَا وكَذَا، أَي قُلْتُه لَهُ، وَلَيْسَ من الذِّكْر بعد النِّسيان، وَبِه فُسِّر حَدِيثُ عُمرَ ﷺ: **(مَا حَلَفْت بهَا ذَاكِراً وَلَا آثِراً)**[2] أَي مَا تَكلّمتُ بهَا حَالِفاً[3].

فالذّكر؛ بِالْكَسْرِ لَهُ مَعْنيانِ: **أَحدهمَا:** التَّلَفُّظ بالشَّيْء، **وَالثَّانِي:** إِحْضَاره فِي الذِّهْن بِحَيْثُ لَا يغيب عَنهُ، وَهُوَ ضد النسْيَان، والذُّكر، بِالضَّمِّ: للمعنى الثَّانِي لَا غير....[4].

---

(١) مقاييس اللغة (ذ ك ر) ٣٥٩/٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم ٦٦٤٧/١٣٢/٨ ومسلم في صحيحه: كتاب الأيمان، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْحَلِفِ بِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى ١٦٤٦/١٢٦٦/٣ ولفظ البخاري: قَالَ ابْنُ عُمَرَ: سَمِعْتُ عُمَرَ، يَقُولُ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ» قَالَ عُمَرُ: فَوَ اللَّهِ مَا حَلَفْتُ بِهَا مُنْذُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ (ﷺ)، ذَاكِرًا وَلاَ آثِرًا. ــ وقَوْلُ عُمَرَ (ﷺ) (مَا حَلَفْت بِهَا بَعْدُ ذَاكِرًا، وَلَا آثِرًا) هُوَ بِالْمَدِّ، وَبِكَسْرِ الثَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ أَيْ حَاكِيًا لَهُ عَنْ غَيْرِهِ أَيْ مَا حَلَفْت بِهَا، وَلَا حَكَيْت عَنْ غَيْرِي أَنَّهُ حَلَفَ بِهَا يُقَالُ آثَرْت الْحَدِيثَ إذَا ذَكَرْته عَنْ غَيْرِك (طرح التثريب ١٤٥/٧). وقَالَ أَبُو عُبَيْدَة: لَيْسَ هُوَ من الذّكر ضد النسْيَان وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ قَائِلا كَمَا تَقول ذكرت لفُلَان حَدِيث كَذَا (فتح الباري ١١٩/١).

(٣) تاج العروس (ذ ك ر) ٣٧٧/١١، والمعجم الوسيط (ذ ك ر).

(٤) الكليات للكفوي ص٤٥٦.

قلت: لعل في تضمين القول معنى الذكر إشارة إلى أمرين:

الأول: التأكيد الذي أشارت إليه الجملة المؤكدة بـ(إن) في القراءة المتواترة، والحركة التي كان يبذلها النبي (ﷺ) في تبليغ ذلك لهم وإنذارهم، وهذا ما أشارت إليه الدلالة المحورية لمادة (ق و ل).

الثاني: ليس في دلالة (قلت) إشارة إلى عدد هذا القول، فقيد يكون مرة واحدة، أما تضمينه معنى الذكر فللدلالة إلى تعدد هذا القول؛ أي: كلما جرى ذلك الشَّيْءُ على لسانه (ﷺ) كان جوابهم ما ذكره القرآن الكريم. إضافة إلى ما تحمله الكلمة من دلالة العلاء والشرف الذي يملكه النبي (ﷺ) حال تبليغه ذلك وإنذارهم ذلك.

وَتَأْكِيدُ الْجُمْلَةِ بِاللَّامِ الْمُوَطِّئَةِ لِلْقَسَمِ وَمَا يَتْبَعُهُ مِنْ نُونِ التَّوْكِيدِ لِتَنْزِيلِ السَّامِعِ مَنْزِلَةَ الْمُتَرَدِّدِ فِي صُدُورِ هَذَا الْقَوْلِ مِنْهُمْ لِغَرَابَةِ صُدُورِهِ مِنَ الْعَاقِلِ، فَيَكُونُ التَّأْكِيدُ الْقَوِيُّ وَالتَّنْزِيلُ مُسْتَعْمَلًا فِي لَازِمِ مَعْنَاهُ وَهُوَ التَّعْجِيبُ مِنْ حَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يُحِيلُوا إِعَادَةَ الْخَلْقِ وَقَدْ شَاهَدُوا آثَارَ بَدْءِ الْخَلْقِ وَهُوَ أَعْظَمُ وَأَبْدَعُ...، وَمَعْنَى الْإِخْبَارِ عَنِ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ سِحْرٌ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ كَلَامٌ مِنْ قَبِيلِ الْأَقْوَالِ الَّتِي يَقُولُهَا السَّحَرَةُ لِخَصَائِصَ تُؤَثِّرُ فِي النُّفُوسِ(١).

******

الموضع السابع: ــ قَالَ تَعَالَى:﴿ **ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ** ﴾ [يوسف:٤٩]

• قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ﴿ **يَعْصِرُونَ** ﴾بِالْخِطَابِ، وَقَرَأَ باقي العشرة بِالْغَيْبِ(٢)، وكلاهما على البناء للفاعل، والقراءتان متواترتان.

---

(١) التحرير والتنوير ٩/١٢.

(٢) النشر في القراءات العشر ٢٩٥/٢.

• وقرأ سعيد بن جبير(ت٩٢هـ) والأعرج(ت١١٧هـ) وجعفر بن محمد(ت١٤٨هـ) وعيسى(ت١٤٩هـ): **(وفيه يُعْصَرُون)** بياء مضمومة وصاد مفتوحة[١].

وعن عيسى(ت١٤٩هـ) أيضا: (تُعْصَرُون) بالفوقانية مبنيا للمفعول أيضا[٢].

وقوله: ﴿ **يَعْصِرُونَ** ﴾ يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون العصر الذي يراد به الضغط الذي يلحق ما فيه دهن أو ماء، نحو: الزيتون، والسّمسم والعنب والتمر ليخرج ذلك منه! وهذا يمكن أن يكون تأويل الآية عليه؛ لأن من المتأولين من يحكي أنهم لم يعصروا أربع عشرة سنة زيتا ولا عنبا، فيكون المعنى: تعصرون للخصب الذي أتاكم، كما كنتم تعصرون أيام الخصب وقبل الجدب الذي دفعتم إليه.

ويكون: ﴿ **يَعْصِرُونَ** ﴾ من العصر الذي هو الالتجاء إلى ما تقدّر النجاة به، قال ابن مقبل:

وَصَاحِبِي وَهْوٌ مُسْتَوْهِلٌ زَعِلٌ، ** يَحُولُ دُونَ حِمارِ الوَحْشِ والعَصَرِ[٣]

---

(١) قراءة شاذة نسبت لسعيد بن جبير في زاد المسير ٤٤٥/٢، ولعيسى والأعرج وجعفر بن محمد في المحتسب ٣٤٤/١، ولهم ولأبي البرهسم في شواذ القرآن لابن أبي نصر ٣٩٠/١.

(٢) قراءة شاذة نسبت لعيسى البصرة في الجامع لأحكام القرآن ٢٠٥/٩، ولعيسى والأعرج في شواذ القرآن لابن أبي نصر ٣٩٠/١.

(٣) البيت لابن مقبل في اللسان والتاج (و هـ و)، وفيهما: والوَهْوَهُ والوَهْواهُ مِنَ الْخَيْلِ أَيضاً: النشِيطُ الْحَدِيدُ الَّذِي يَكَادُ يُفْلِتُ عَنْ كُلِّ شيءٍ مِنْ حِرْصِه ونَزَقِه، وَقِيلَ: فَرَسٌ وَهْوَهٌ ووَهْواهٌ إِذا كَانَ حَرِيصًا عَلَى الجَرْي نشِيطاً؛ قَالَ ابْنُ مُقْبِلٍ يَصِفُ فَرَسًا يَصِيدُ الْوَحْشَ...

أي: يحول بينه وبين الملجأ الذي يقدّر به النجاة...وقال أبو عبيدة(ت٢١٠هـ): تعصرون: تنجون، وأنشد للبيد:

فباتَ وأَسْرَى القومُ آخرَ ليْلِهِمْ، ** وَمَا كَانَ وقَّافاً بغيرِ مُعَصَّرِ(١)

قال: والعصر: المنجاة، قال عدي:

لَوْ بغَيْرِ المَاءِ حَلْقِي شَرِقٌ ** كُنْتُ كالغَصَّانِ بِالمَاءِ اعْتِصَارِي(٢)

فأما من قال: ﴿ **يَعْصِرُونَ** ﴾ بالياء، فإنه جعل الفاعلين الناس؛ لأن ذكرهم قد تقدّم هذا الفعل.

ومن قال: ﴿ **تَعْصِرُونَ** ﴾، وجّه الخطاب إلى المستفتين الذين قالوا: أفتنا في كذا، وعلى هذا قالوا: ﴿ **إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ** ﴾[يوسف:٤٨]، إلا أن الناس أقرب إلى الفعل منهم، ويجوز: أن يكون أريد المستفتون وغيرهم، إلا أنه حمل الكلام على المخاطبين؛ لأن الخطاب والغيبة، إذا اجتمعا غلّب الخطاب على الغيبة، كما يغلب التذكير على التأنيث(٣). قال ابن خالويه(ت٣٧٠هـ): «الحجة لمن قرأ بالياء: أنه ردّه على قوله: **(فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ)**، ومن قرأه بالتاء فحجته: أنه خصّهم بذلك دون الناس»(٤).

أما عن توجيه القراءتين غير المتواترتين بالبناء لما لم يسم فاعله، فقال الزجاج(ت٣١١هـ): أراد: يُمطرون، من قوله: ﴿ **وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا** ﴾[النبأ:١٤](٥)

---

(١) البيت للبيد في لسان العرب (س ر ي).

(٢) البيت من الرمل لعدي بن زيد في مقاييس اللغة (ش ر ق) ولسان العرب (ع ص ر)، والاعْتِصار: أَن يَغَصَّ الإِنسان بِالطَّعَامِ فَيَعْتَصِر بِالْمَاءِ، وَهُوَ أَن يَشْرَبَهُ قَلِيلًا قَلِيلًا.

(٣) الحجة للقراء السبعة ٤/٤٢٥.

(٤) الحجة لابن خالويه ص١٩٦، وحجة القراءات ص٣٦٠.

(٥) زاد المسير ٢/٤٤٥، وينظر: الكشف والبيان للثعلبي ٥/٢٢٨، والمفردات في غريب القرآن ص٥٦٩.

وقال أبو الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ): «روينا عن قطرب(ت٢٠٦هـ) أن معنى (يُعْصَرُون): أي يُمْطَرُون، فإن شئت أخذته من العُصْرَة والعَصَر للمَنْجَاةِ، وإن شئت أخذته من عَصَرَت السحاب ماءها عليهم.

وعليه قراءة الجماعة: {وَفِيهِ يَعْصِرُونَ}، فهذا من النجاة، وروينا عن ابن عباس(ت٦٨هـ): أي يَعْصِرون من الكرم والأدهان، فهذا تفسير النجاة: كيف تقع بهم وإليهم؟ قال أبو زبيد:

صَادِياً يَسْتَغِيثُ غَيْرَ مُغاثٍ ** ولقَدْ كَان عُصْرَةَ المَنجُودِ[1]

أي: نجاة المكروب»[2].

وكان التضمين أحد وجهين خُرجت عليه القراءتان غير المتواترتين، يقول الزمخشري(ت٥٣٨هـ): «{يَعْصِرُونَ} بالياء والتاء: يعصرون العنب والزيتون والسمسم، وقيل: يحلبون الضروع. وقرئ: {يُعْصَرون} على البناء للمفعول، من عصره إذا أنجاه، وهو مطابق للإغاثة، ويجوز أن يكون المبنى للفاعل بمعنى ينجون، كأنه قيل: فيه يغاث الناس وفيه يغيثون أنفسهم، أي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضاً، وقيل يَعْصِرُونَ يُمْطَرُونَ، من أَعْصَرَتْ السحابة.

وفيه وجهان: إمّا أن يضمن أَعْصَرَتْ معنى مطرت، فيعدّى تعديته، وإما أن يقال: الأصل أَعْصَرَتْ عليهم فحذف الجار وأوصل الفعل»[3].

---

(١) البيت من الخفيف لأَبي زُبَيْدٍ يَرْثِي ابْنَ أُخته وَكَانَ مَاتَ عَطَشًا فِي طَرِيقِ مكة (لسان العرب: ن ج د).

(٢) المحتسب ٣٤٥/١.

(٣) الكشاف للزمخشري ٤٧٧/٢، ومفاتيح الغيب ٤٦٦/١٨، وأنوار التنزيل ١٦٦/٣، والجامع لأحكام القرآن ٢٠٥/٩، وإرشاد العقل السليم ٢٨٣/٤، وعناية القاضي وكفاية الراضي ١٨٤/٥، وروح المعاني ٤٤٦/٦.

وظاهره أن اللفظ موضوع لذلك فلا يحتاج إلى التضمين عليه[١]؛ فـ«الْعَيْنُ وَالصَّادُ وَالرَّاءُ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ صَحِيحَةٌ: فَالْأَوَّلُ دَهْرٌ وَحِينٌ، وَالثَّانِي ضَغْطُ شَيْءٍ حَتَّى يَتَحَلَّبَ، وَالثَّالِثُ تَعَلُّقٌ بِشَيْءٍ وَامْتِسَاكٌ بِهِ... وَالْأَصْلُ الثَّانِي الْعُصَارَةُ: مَا تَحَلَّبَ مِنْ شَيْءٍ تَعْصِرُهُ... وَأُعْصِرَ الْقَوْمُ، إِذَا أَتَاهُمُ الْمَطَرُ. وَقُرِئَتْ: {**فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يُعْصَرُونَ**}، أَيْ يَأْتِيهِمُ الْمَطَرُ، وَذَلِكَ مُشْتَقٌّ مِنْ عَصْرِ الْعِنَبِ وَغَيْرِهِ، فَأَمَّا الرِّيَاحُ وَتَسْمِيَتُهُمْ إِيَّاهَا الْمُعْصِرَاتِ فَلَيْسَ يَبْعُدُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى هَذَا الْبَابِ مِنْ جِهَةِ الْمُجَاوَرَةِ؛ لِأَنَّهَا لَمَّا أَثَارَتِ السَّحَابَ الْمُعْصِرَاتِ سُمِّيَتْ مُعْصِرَاتٍ وَإِعْصَارًا...وَالْأَصْلُ الثَّالِثُ: الْعَصَرُ: الْمَلْجَأُ، يُقَالُ اعْتَصَرَ بِالْمَكَانِ، إِذَا الْتَجَأَ إِلَيْهِ»[٢].

وفي المعجم الوسيط: «عصر الشَّيْء عصرا استخرج مَا فِيهِ من دهن أَو مَاء وَنَحْوه... وأعصر الْقَوْم: أمطروا... والْعَصْر: الملجأ والمنجاة»[٣].

وتتنوع دلالة القراءات من تنوع الدلالة المعجمية للمادة، فعلى القراءتين المتواترتين يكون المعنى على ما ذكره «الْجُمْهُورُ أَنَّهُ مِنْ عَصْرِ النَّبَاتِ كَالْعِنَبِ وَالْقَصَبِ وَالزَّيْتُونِ وَالسِّمْسِمِ وَالْفِجْلِ وَجَمِيعِ مَا يُعْصَرُ، وَمِصْرُ بَلَدُ عَصِيرٍ لِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ وَالْحَلْبُ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ عَصْرٌ لِلضُّرُوعِ، وَرُوِيَ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْصِرُوا شَيْئًا مُدَّةَ الْجَدْبِ»[٤].

ومعنى القراءتين بالبناء للمفعول: «يَنْجُونَ مِنْ عَصْرِهِ إِذَا أَنْجَاهُ، وَهُوَ مُنَاسِبٌ لِقَوْلِهِ: {**فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ**}،... أومَعْنَاهُ يُمْطَرُونَ، مِنْ أَعْصَرَتِ السَّحَابَةُ

(١) روح المعاني ٤٤٦/٦.
(٢) مقاييس اللغة (ع ص ر) ٣٤٠/٤، ولسان العرب (ع ص ر).
(٣) المعجم الوسيط ٦٠٤/٢.
(٤) البحر المحيط ٢٨٦/٦.

مَاءَهَا عَلَيْهِمْ فَجُعِلُوا مُعْصِرِينَ مَجَازًا بِإِسْنَادِ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ، وَهُوَ لِلْمَاءِ الَّذِي يُمْطَرُونَ بِهِ»[1]. فقد قدر الله (ﷻ) أن يكون في هذا العام منجاهم وملجأهم؛ حيث أمطروا فيه بعد الجدب، فزرعوا وحصدوا وأثمروا وحلبوا.

****

الموضع الثامن: ــ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ** ﴾[الرعد: ١١]

• قرأ الجمهور {**يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ**}، وقرأ علي(ت٤٠هـ)، وابن عباس(ت٦٨هـ)، وزيد بن علي(ت١٢١هـ)، وجعفر بن محمد(ت١٤٨هـ)، وعكرمة(قب ٢٠٠هـ) (ﷺ) «**بأمر الله**» بالباء[2].

وَالْحَاءُ وَالْفَاءُ وَالظَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى مُرَاعَاةِ الشَّيْءِ، يُقَالُ حَفِظْتُ الشَّيْءَ حِفْظًا[3]... وحَفِظَهُ، كعَلِمَهُ، حِفْظًا: حَرَسَه...[4]، وَالْحَفِيظُ: الْحَارِسُ وَمَنْ يُجْعَلُ إِلَيْهِ نَظَرُ غَيْرِهِ وَحِفْظُهُ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْوَكِيلِ إِلَّا أَنَّ الْوَكِيلَ يَكُونُ مَجْعُولًا لَهُ الْحِفْظُ مِنْ جَانِبِ الشَّيْءِ الْمَحْفُوظِ، وَالْحَفِيظُ أَعَمُّ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ مِنْ جَانِبِهِ وَمِنْ جَانِبِ مُوَالِيهِ[5]، ومَنْ يُرِيدُ التَّفْرِقَةَ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ أَنْ يَرْجِعَ بِهِمَا إِلَى أَصْلِ مَادَّتَيْ (حَ فِ ظَ) وَ (وَ كَ لَ)، فَمَادَّةُ (حَ فِ ظَ) تَقْتَضِي قِيَامَ الْحَدَثِ بِفَاعِلٍ وَتَعْدِيَتَهُ إِلَى

(١) البحر المحيط ٢٨٦/٦.

(٢) قراءة شاذة في المحتسب ٣٥٥/١، وشواذ القرآن واختلاف المصاحف ٤٠٣/١، والمحرر الوجيز ١٤١/٨، والدر المصون ٢٩/٧.

(٣) مقاييس اللغة (ح ف ظ) ٨٧/٢.

(٤) تاج العروس (ع ف ظ).

(٥) التحرير والتنوير ٤٢٧/٧.

مَفْعُولٍ، وَمَادَّةُ (وَ كَ لَ) تَقْتَضِي قِيَامَ الْحَدَثِ بِفَاعِلٍ وَتَعْدِيَتَهُ إِلَى مَفْعُولٍ وَتَجَاوُزَهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَفْعُولِ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِهِ، وَبِذَلِكَ كَانَ فِعْلُ (حَفِظَ) مُفِيدًا بِمُجَرَّدِ ذِكْرِ فَاعِلِهِ وَمَفْعُولِهِ دُونَ احْتِيَاجٍ إِلَى مُتَعَلِّقٍ آخَرَ، بِخِلَافِ فِعْلِ (وَ كَ لَ) فَإِفَادَتُهُ مُتَوَقِّفَةٌ عَلَى ذِكْرٍ أَوْ عَلَى تَقْدِيرِ مَا يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ آخَرَ زَائِدٍ عَلَى الْمَفْعُولِ وَمِنْ عَلَائِقِهِ[1].

• ووجه القراءة الشاذة ظاهر؛ فالباء ظاهرة في السببية، أي: يحفظونه من المضار بسبب أمر الله تعالى لهم بذلك؛ «لِأَنَّهُ لَا قُدْرَةَ لِلْمَلَائِكَةِ وَلَا لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ عَلَى أَنْ يَحْفَظُوا أَحَدًا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَمِمَّا قَضَاهُ عَلَيْهِ»[2].

وأما القراءة المتواترة فتعددت رؤى المفسرين لها:

١- فقيل: قَوْله ﷻ: {يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ} أَي: بِأَمْر الله[3]، فتكون(من) للسببية تؤدي ما تؤديه باء السببية من قبيل تناوب الحروف، «وَالتَّقْدِيرُ: يَحْفَظُونَهُ بِأَمْرِ اللَّهِ وَبِإِعَانَتِهِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْمَصِيرِ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا قُدْرَةَ لِلْمَلَائِكَةِ وَلَا لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ عَلَى أَنْ يَحْفَظُوا أَحَدًا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَمِمَّا قَضَاهُ عَلَيْهِ»[4]، فَحِفْظُهُمْ إِيَّاهُ مُتَسَبَّبٌ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ لَهُمْ بِذَلِكَ.

ويكون للملائكة حينئذ صفتان: أنهم كائنون من بين يديه ومن خلفه، وأنهم يحفظونه بأمر الله.

قال أبو الفتح(ت٣٩٢هـ): المفعول هنا محذوف؛ أي: يحفظونه مما يحاذره بأمر الله. وأما قراءة الجماعة: {يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ} فليس معناه أنهم

(١) التحرير والتنوير ٣٢/٢٥.
(٢) زاد المسير ١٨/١٩.
(٣) المقتضب للمبرد ٣١٩/٢.
(٤) زاد المسير ١٨/١٩.

يحفظونه من أمر الله أن ينزل به؛ لكن تقديره: له مُعَقِّبَات من أمر الله يحفظونه مما يخافه، فـ{مِنْ} على هذا مرفوعة الموضع؛ لأنها صفة للمرفوع الذي هو {مُعَقِّبَٰتٌ}،ولو كانت -كما يُظن-أنهم يحفظونه من أمر الله أن ينزل به لكانت منصوبة الموضع؛ كقولك: حفِظت زيدًا من الأسد، فقولك: من الأسد، منصوب الموضع؛ لأنه مفعول حفِظت.

والذي ذكرناه في هذا رأي أبي الحسن(ت٢١٥هـ)، وما أحسنه! فأن قلت: فهلا كان تقديره: يحفظونه من أمر الله؛ أي: بأمر الله، ويُستدل على إرادة الباء هنا بقراءة علي (ﷺ): {يحفظونه بأمر الله}،وجاز أن يحفظوه بأمر الله؛ لأن هذه المصائب كلها في علم الله وبإقداره فاعليها عليها، فيكون هذا كقول القائل: هربتُ من قضاء الله بقضاء الله، قيل: تأويل أبي الحسن أذهب في الاعتداد عليهم؛ وذلك أنه -سبحانه- وكَّل بهم من يحفظهم من حوادث الدهر ومخاوفه التي لا يعتد عليهم بتسليطها عليهم، وهذا أسهل طريقًا، وأرسخ في الاعتداد بالنعمة عليهم عروقًا[١].

٢- أن قوله:{يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ} عَلَى التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ، وَالتَّقْدِيرُ: لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ يَحْفَظُونَهُ[٢]، فيكون {مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ} متعلقا بمحذوف وقع صفة لمعقبات، أي: كائنة من أمره تعالى[٣].

٣- أَنَّ فِيهِ إِضْمَارًا، أَيْ ذَلِكَ الْحِفْظُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، أَيْ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فَحُذِفَ الِاسْمُ وَأُبْقِيَ خَبَرُهُ كَمَا يُكْتَبُ عَلَى الْكِيسِ، أَلْفَانِ وَالْمُرَادُ الَّذِي فِيهِ أَلْفَانِ[٤].

---

(١) المحتسب لابن جني ٣٥٥/١.

(٢) زاد المسير ١٨/١٩.

(٣) روح المعاني ١٠٧/٧.

(٤) زاد المسير ١٨/١٩.

٤- **وَقِيلَ:** يَحْفَظُونَهُ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَنِقْمَتِهِ كَقَوْلِكَ: حَرَسْتُ زَيْدًا مِنَ الْأَسَدِ، وَمَعْنَى ذَلِكَ: إِذَا أَذِنَ اللَّهُ لَهُمْ فِي دُعَائِهِمْ أَنْ يُمْهِلَهُ رَجَاءَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِ وَيُنِيبَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ ﴾الأنبياء:٤٢ يَصِيرُ مَعْنَى الْكَلَامِ إِلَى التَّضْمِينِ، أَيْ: يَدْعُونَ لَهُ بِالْحِفْظِ مِنْ نَقَمَاتِ اللَّهِ رَجَاءَ تَوْبَتِهِ(١).

قال أبو السعود العمادي(ت٩٨٢هـ): «{يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ} من بأسه حين أذنب بالاستمهال والاستغفارِ له، أو يحفظونه من المضارّ، أو يراقبون أحوال من أجل أمر الله تعالى... وقيل المعقّبات الحرّاسُ حولَ السلطان يحفَظونه في توهّمه من قضاء الله تعالى»(٢)، أو لِكُلِّ ﴿ مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾[الرعد:١٠] مُعَقِّبَاتٌ يَحْفَظُونَهُ مِنْ غَوَائِلِ تِلْكَ الْأَوْقَاتِ(٣).

وبناء على هذا فلا تضمين على القراءة الشاذة، وأما القراءة المتواترة ففيها تضمين على أحد الأوجه الواردة في معناها، حيث ضمن قوله تعالى { يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ} مَعْنَى: يَدْعُونَ لَهُ بِالْحِفْظِ مِنْ نَقَمَاتِ اللَّهِ رَجَاءَ تَوْبَتِه.

وهكذا **تتضافر كل هذه الأدوات اللغوية وتتآزر في جلاء المعنى ووضوحه:**

- فالقراءة الشاذة أفادت أن الملائكة تحفظ الإنسان من المضار بسبب أمر الله تعالى لهم بذلك؛ لِأَنَّهُ لَا قُدْرَةَ لِلْمَلَائِكَةِ وَلَا لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ عَلَى أَنْ يَحْفَظُوا أَحَدًا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَمِمَّا قَضَاهُ عَلَيْهِ.

---

(١) البحر المحيط ٣٦١/٦.

(٢) إرشاد العقل السليم ٨/٥.

(٣) التحرير والتنوير ١٠٠/١٣.

• أفادت دلالة(مِن) الابتدائية في القراءة المتواترة، «أن هذه المعقبات مبدؤها ومنشؤها أمر الله تعالى، وفي ذلك ما فيه من الدلالة على هيمنة الله على خلقه، وانصياع جنده من الملائكة لأمره»(١).

• كما أفادت هذه الدلالة أنه «سبحانه وصف المعقبات بثلاث صفات:

إحداها: كونها كائنة من بين يديه ومن خلفه. **وثانيتها:** كونها حافظة له.

وثالثتها: كونها كائنة من أمره سبحانه، وإن جعل {مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ} متعلقا- بـ {يَحۡفَظُونَهُۥ}- يكون هناك صفتان، الجملة والجار والمجرور، وتقديم الوصف بالجملة على الوصف به سائغ شائع في الفصيح، وكأن الوصف بالجملة الدالة على الديمومة في الحفظ لكونه آكد قدم على الوصف الآخر»(٢).

• وجاء التضمين ليعدد وظائف المعقبات من ملائكة الله؛ إذ إنهم كما يحفظون الإنسان من كل ما يضره ويؤذيه، «يَقُونَهُ أَضْرَارَ اللَّيْلِ مِنَ اللُّصُوصِ وَذَوَاتِ السُّمُومِ، وَأَضْرَارَ النَّهَارِ نَحْوَ الزِّحَامِ وَالْقِتَالِ»(٣). وكما يُرَاقِبُونَ كُلَّ أَحَدٍ فِي أَحْوَالِهِ مِنْ إِسْرَارٍ وَإِعْلَانٍ، وَسُكُونٍ وَحَرَكَةٍ، أَيْ فِي أَحْوَالِ ذَلِكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ﴾[الانفطار:١٠]. أيضا يدعون للمسلم بالحفظ من نقمات الله؛ رجاء توبته، كما قال تعالى ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[الشورى:٥].

فـ «الْمَلَائِكَةُ هِيَ وَاسِطَةُ الْمُتَصَرِّفِ الْقَدِيرِ، وَمُفِيضِ الْخَيْرِ فِي تَنْفِيذِ أَمْرِهِ مِنْ تَكْوِينٍ وَهُدًى وَإِفَاضَةِ خَيْرٍ عَلَى النَّاسِ، فَهِيَ حِينُ تَتَلَقَّى مِنَ اللَّهِ أَوَامِرَهُ

(١) من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم ص٣٥٥.

(٢) روح المعاني ١٠٧/٧.

(٣) التحرير والتنوير ١٠١/١٣.

تُسَبِّحُهُ وَتَحْمَدُهُ، وَحِينَ تَفِيضُ خَيْرَاتُ رَبِّهَا عَلَى عِبَادِهِ تَسْتَغْفِرُ لِلَّذِينَ يَتَقَبَّلُونَهَا تَقَبُّلَ الْعَبِيدِ الْمُؤْمِنِينَ بِرَبِّهِمْ، وَتِلْكَ إِشَارَةٌ إِلَى حُصُولِ ثَمَرَاتِ إِبْلَاغِهَا، وَذَلِكَ بِتَأْثِيرِهَا فِي نَظْمِ أَحْوَالِ الْعَالَمِ الْإِنْسَانِيِّ»[1].

فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ يَصِحُّ أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِمَنْ فِي الْأَرْضِ وَفِيهِمُ الْكُفَّارُ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾[البقرة: ١٦١] فَكَيْفَ يَكُونُونَ لَاعِنِينَ وَمُسْتَغْفِرِينَ لَهُمْ؟ قُلْنَا الْجَوَابُ: عَنْهُ مِنْ وُجُوهٍ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ قَوْلَهُ ﴿لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ لَا يُفِيدُ الْعُمُومَ؛ لِأَنَّهُ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ إِنَّهُمُ اسْتَغْفَرُوا لِكُلِّ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَأَنْ يُقَالَ إِنَّهُمُ اسْتَغْفَرُوا لِبَعْضِ مَنْ فِي الْأَرْضِ دُونَ الْبَعْضِ، وَلَوْ كَانَ قَوْلُهُ ﴿لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ صَرِيحًا فِي الْعُمُومِ لَمَا صَحَّ ذَلِكَ التَّقْسِيمُ.

الثَّانِي: هَبْ أَنَّ هَذَا النَّصَّ يُفِيدُ الْعُمُومَ، إِلَّا أَنَّهُ تَعَالَى حَكَى عَنِ الْمَلَائِكَةِ فِي سُورَةِ حم الْمُؤْمِنِ فَقَالَ: ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾[غَافِرٍ: ٧].

الثَّالِثُ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ لَا يُعَاجِلَهُمْ بِالْعِقَابِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾[فَاطِرٍ: ٤١].

الرَّابِعُ: يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ إِنَّهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ لِكُلِّ مَنْ فِي الْأَرْضِ، أَمَّا فِي حَقِّ الْكُفَّارِ فَبِوَاسِطَةِ طَلَبِ الْإِيمَانِ لَهُمْ، وَأَمَّا فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ فَبِالتَّجَاوُزِ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، فَإِنَّا نَقُولُ اللَّهُمَّ اهْدِ الْكَافِرِينَ وَزَيِّنْ قُلُوبَهُمْ بِنُورِ الْإِيمَانِ وَأَزِلْ عَنْ خَوَاطِرِهِمْ وَحْشَةَ الْكُفْرِ، وَهَذَا فِي الْحَقِيقَةِ اسْتِغْفَارٌ[2].

---

(١) التحرير والتنوير ٣١/٢٥.

(٢) مفاتيح الغيب ٥٧٩/٢٧.

وَهَذَا مِنَّةٌ عَلَى الْعِبَادِ بِلُطْفِ اللَّهِ بِهِمْ وَإِلَّا لَكَانَ أَدْنَى شَيْءٍ يَضُرُّ بِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾[الشورى:١٩].

******

الموضع التاسع: قَالَ تَعَالَى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾[إبراهيم:٣٧]

قَرَأَ الْجُمْهُورُ ﴿تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾بفتح التاء وكسر الواو. وقرأ علي بن أبي طالب(ت٤٠هـ)، ومجاهد (ت١٠٣هـ)، ومحمد بن علي(ت١١٨هـ)[١]، وزيد بن علي(ت١٢١هـ)، وجعفر بن محمد(ت١٤٨هـ)«تَهوَى» بفتح التاء والواو[٢]. فَهَوَى النفسِ مقصورٌ، وهو ما تحبه وتميل إليه، والفعل منه بكسر الواو في الماضي وفتحها في المضارع... وهوَى يهوِي بالفتح في الماضي والكسر في المضارع: وقع من علو، ويقال أيضا: بمعنى الميل[٣]. قَالَ اللُّغَوِيُّونَ: الهَوَى

(١) محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو جعفر الباقر؛ لأنه بقر العلم أي: شقه وعرف ظاهره وخفيه، وردت عنه الرواية في حروف القرآن ولد سنة ست وخمسين، عرض على أبيه زين العابدين وروى عنه وعن جابر وابن عمر وابن عباس وغيرهم،... روى عنه ابنه جعفر الصادق والزهري وعمرو بن دينار وجماعة... مات سنة ثماني عشرة ومائة وقيل: أربع وقيل: خمس وقيل: سنة عشر. (غاية النهاية ٢٠٠٢/٢).

(٢) قراءة شاذة في المحتسب ٣٦٤/١، وشواذ القرآن واختلاف المصاحف ٤١٥/١، والمحرر الوجيز ٣٤٢/٣، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٧/ ١١٥.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ص٤٤.

محبةُ الإنسان الشَّيْءَ وغَلَبَتُه عَلَى قَلْبِهِ... تَقُولُ: هَوِيَ ــ بِالْكَسْرِ ــ يَهْوَى هَوًى أَي أَحبَّ[1].

و«الْهَاءُ وَالْوَاوُ وَالْيَاءُ: أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى خُلُوٍّ وَسُقُوطٍ؛ أَصْلُهُ الْهَوَاءُ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، سُمِّيَ لِخُلُوِّهِ. قَالُوا: وَكُلُّ خَالٍ هَوَاءٌ.... وَيُقَالُ هَوَى الشَّيْءُ يَهْوِي: سَقَطَ»[2].

فمن قرأ (تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ) فَهُوَ على هَوَى يَهْوِي إذا ارتفع، ومن قرأ (تَهوَى إليهم) فعلى هَوِيَ يَهْوَى إذا أحب[3].

وفيه قولان، **أحدُهما:** أنَّ «إلى» زائدةٌ، أي: تهواهم[4]، جاءت لـ «توكيد للكلام»[5].

قال الفراء(ت٢٠٧هـ): وقرأ بعضُ القرّاء (تَهْوَي إِلَيْهِم) بنصب الواو، بمعنى تهواهم كما قال﴿رَدِفَ لَكُم﴾[النمل:٧٢] يريدُ ردفكم، وكما قالوا: نَقدت لَهَا مائة أي نَقدتها[6]. وقال الأخفش(ت٢١٥هـ): {تَهْوَى إِلَيْهِم}: زَعَمُوا أَنَّه فِي التَّفْسِيرِ تَهْواهم[7].

و**الثاني:** أنه ضُمِّنَ معنى تَنْزِعُ وتميل[8].

---

(١) لسان العرب (هـ و ي).
(٢) مقاييس اللغة (هـ و ي) ١٥/٦.
(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٦٥/٣.
(٤) الدر المصون ١١٥/٧.
(٥) زاد المسير ٥١٦/٢.
(٦) معاني القرآن للفراء ٧٨/٢.
(٧) تاج العروس (هـ و ي) ٣٢٨/٤٠.
(٨) الدر المصون ١١٥/٧.

ثم إن من ذهبوا إلى القول بالتضمين تعددت رؤاهم في المعنى الذي تضمنته القراءة، فذهب بعضهم إلى أنه «إنَّما عَدَّاهُ بإلى؛ لأَنَّ فِيهِ **مَعْنى تميلُ**»(١)، أو تنزع.

قال أبو الفتح(ت٣٩٢هـ): أما قراءة الجماعة: {تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ} بكسر الواو فتميل إليهم: أي تحبهم، فهذا في المعنى كقولهم: فلان يَنْحَطّ في هواك؛ أي: يُخلد إليه ويقيم عليه؛ وذلك أن الإنسان إذا أحب شيئًا أكثر من ذكره وأقام عليه، فإذا كرهه أسرع عنه وخف إلى سواه، وعلى ذلك قالوا: أَحبَّ البعيرُ: إذا برك في موضعه، قال:

حُلْتُ عَلَيْهِ بالقَطيع ضَرْبا، ** ضَرْبَ بَعِيرِ السَّوْءِ إذْ أَحَبَّا(٢)

أي: برك. ومنه قولهم: هَوِيت فلانًا، فهذا من لفظ هَوَى الشيء يَهْوِي، إلا أنهم خالفوا بين المثالين لاختلاف ظاهر الأمرين وإن كانا على معنى واحد متلاقيين، فقراءة عليٍّ ﷺ: {**تَهْوَى إليهم**} بفتح الواو؛ وهو من هَوِيتُ الشيء إذا أحببته، إلا أنه قال: {**إليهم**}، وأنت لا تقول: هويت إلى فلان؛ لكنك تقول: هويت فلانًا؛ لأنه (ﷺ) حمله على المعنى، ألا ترى أن معنى هوِيت الشيء ملت

---

(١) تاج العروس (هـ و ي) ٣٢٨/٤٠.

(٢) البيت لأَبي مُحَمَّدٍ الْفَقْعَسِيُّ في اللسان والتاج (ح ب ب) وفيهما: القفيل مكان القطيع، قال:

أَحَبَّ البَعِيرُ: بَرَكَ. وقِيلَ: الإِحْبابُ فِي الإِبِلِ، كالحِرانِ فِي الْخَيْلِ، وَهُوَ أَن يَبْرُك فَلَا يَثُور. قَالَ أَبو مُحَمَّدٍ الْفَقْعَسِيُّ:

حُلْتُ عَلَيْهِ بالقَفِيلِ ضَرْبا، ** ضَرْبَ بَعِيرِ السَّوْءِ إذْ أَحَبَّا

القَفِيلُ: السَّوْطُ. وَبَعِيرٌ مُحِبٌّ.

إليه؟ فقال: {تَهْوَى إليهم}؛ لأنه **لاحظ معنى تميل إليهم**. وهذا باب من العربية ذو غور.

ومنه قول الله (ﷻ): ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة:١٨٧]، عدَّاه بإلى وأنت لا تقول: رَفَثْتُ إلى المرأة، وإنما تقول: رفثتُ بها أو معها؛ لكنه لما كان معنى الرَّفَث معنى الإفضاء عداه بإلى ملاحظة لمعنى ما هو مثله، فكأنه قال: الإفضاء إلى نسائكم، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾[الشورى:٢٥] لما كانت التوبة سببًا للعفو لاحظ معناه فقال: عن عباده، حتى كأنه قال: وهو الذي يقبل سبب العفو عن عباده[١].

وقال الزمخشري(ت٥٣٨هـ): «{تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ}: تسرع إليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا من قوله:

..... ** يَهْوِي مَخَارِمَهَا هُوِيَّ الْأَجْدَلِ[٢]

وقرئ... (تَهوَى إليهم) من هوى يهوى إذا أحب، **ضمن معنى تنزع** فعدّى تعديته»[٣].

وقال ابن عطية(ت٥٤٢هـ): «وتعدي هذا الفعل-وهو من الهوى-بـ«إلى»، لما كان **مقترنا بسير وقصد**»[٤].

---

(١) المحتسب ٣٦٤/١، وينظر: لسان العرب (هـ و ي).

(٢) عجز بيت من الكامل لأبي كبير الهذلي، يصف تأبط شراً بالتيقظ والشجاعة، وصدره: وإذَا رَمَيْتَ بِهِ الفِجَاجَ رَأَيْتَهُ. ينظر: ديوان الهذليين ٩٤/٢، وشرح أشعار الهذليين ١٠٧٤/٣، وغريب الحديث للخطابي ٤٩٧/١، ومقاييس اللغة ١٦/٦.

(٣) الكشاف ٥٥٩/٢، وينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣ /٢٠١.

(٤) المحرر الوجيز ٣٤٢/٣.

وذهب أبو حيان(ت٧٤٥هـ) إلى القول بالتضمين على القراءتين، فقال: «قَرَأَ الْجُمْهُورُ: {تَهْوِيَ إِلَيْهِمْ}أَيْ تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ وَتَطِيرُ نَحْوَهُمْ شَوْقًا وَنِزَاعًا، وَلَمَّا ضَمَّنَ تَهْوِي مَعْنَى تَمِيلُ عَدَّاهُ بِإِلَى، وَأَصْلُهُ أَنْ يَتَعَدَّى بِاللَّامِ. قَالَ الشَّاعِرُ:

حَتَّى إِذَا مَا هَوَتْ كَفُّ الْوَلِيدِ بِهَا ** طَارَتْ وَفِي كَفِّهِ مِنْ رِيشِهَا بِتَكُ[١]

وَمِثَالُ مَا فِي الْآيَةِ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى ** مَا مُؤْمِنُ الْجِنِّ كَكُفَّارِهَا[٢]

وَقَرَأَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ... {تَهْوَى} مُضَارِعُ هَوَى بِمَعْنَى أَحَبَّ، وَلَمَّا ضُمِّنَ مَعْنَى النُّزُوعِ وَالْمَيْلِ عُدِّيَ بِإِلَى»[٣].

وفي معنى هذا الميل قولان:

أحدهما: أنه الميل إلى الحج، قاله الأكثرون، **والثاني:** أنه حُبُّ سُكنى مكة[٤].

وهكذا تتكامل هذه الأدوات اللغوية في بيان المعنى وإيضاحه؛ فعلى القول بزيادة (إلى) دلالة على التأكيد.

يقول البقاعي(ت٨٨٥هـ): «{**فاجعل أفئدة**} أي قلوباً محترقة بالأشواق {**من الناس**} أي من أفئدة الذين هم أهل للاضطراب، بكون احتراقها بالشوق مانعاً من اضطرابها {**تهوي**} أي تقصدهم فتسرع نحوهم برغبة وشوق إسراع من ينزل من حالق؛ وزاد المعنى وضوحاً وأكده بحرف الغاية الدال على بعد؛ لأن الشيء كلما بعد مدى مرماه اشتد وقعه فقال: {إليهم}»[٥]. فالمعنى: اجعل أَفئِدَةً

(١) البيت من البسيط لزهير في ديوانه ص٥٠. والبتك: القطع.

(٢) البيت من السريع في جمهرة أشعار العرب ص٥٤، والجليس الصالح الكافي ٢٢٥/١.

(٣) البحر المحيط ٤٤٨/٦.

(٤) زاد المسير ٥١٦/٢.

(٥) نظم الدرر ٤٢٧/١٠.

من الناس تريدهم كقولك: رأيتُ فلانًا يَهْوِي نَحوك أي يريدك، وتَحِنُّ إِليهم، وتنزع، وتنحط إِليهم وتنحدر.

ويقول الدكتور: محمد نديم فاضل: لعل تضمين (تهوي) معنى (تطير) أعون على إبراز معالم الصورة من تسرع وتنزع وتميل. فإبراهيم (عليه السلام) يضرع فترتسم لدعائه المنيب الخاشع صورة لمواكب الحجيج، تطير قلوبهم شوقا إلى البيت العتيق في ذلك الوادي الجديب تهوي بهم جيادهم من كل صوب كأنها الطيور ترفرف بأجنحتها، تطير إلى جوار الله. لماذا؟ لتقيم ذريته الصلاة وتؤدي المناسك وتشكر وتبتهل. وما اختير الحرف (إلى) إلا ليكسب الفعل (هوي) نفاسة ونبلا في تصويره للحالة النفسية لقوافل الحجيج التي عرض لها، وهي تطير مسرعة إلى البيت العتيق، لبيك يا رب الحجيج لبيك... لبيك... [1].

****

الموضع العاشر: قَالَ (جل جلاله): ﴿ **وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا** ﴾ [الكهف:٢٨]

• قرأ **الجمهور** ﴿ **وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ** ﴾ بفتح التاء وإسكان العين وضم الدال و ﴿ **عَيْنَاكَ** ﴾ بالرفع. وقرأ **الحسن**(ت١١٠هـ): **(ولا تُعْدِ عينيك)** بضم التاء وسكون العين وكسر الدال المخففة، ونصب العينين[2]. و**عنه وعن عيسى** (ت١٤٨هـ) والأعمش(ت١٤٨هـ) أنهم قرؤوا **(ولا تُعَدِّ عينيك)** بضم التاء وفتح العين وتشديد الدال المكسورة[3].

---

(١) التضمين النحوي في القرآن الكريم ٢٨٧/٢.

(٢) قراءة شاذة نسبت للحسن في المحتسب ٢٧/٢، وشواذ القرآن واختلاف المصاحف ٤٦١/١ والمحرر الوجيز ٥١٢/٣.

(٣) قراءة شاذة نسبت للحسن في معاني القرآن للنحاس /٢٣٠، والمحرر الوجيز ٥١٢/٣، والتبيان في إعراب القرآن ٨٤٥/٢، وإتحاف فضلاء البشر ص٣٦٥.

والْعَيْنُ وَالدَّالُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْفُرُوعُ كُلُّهَا، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى تَجَاوُزٍ فِي الشَّيْءِ وَتَقَدُّمٍ لِمَا يَنْبَغِي أَنْ يُقْتَصَرَ عَلَيْهِ(١).

و«عدا» يتعدى إلى مفعوله دون حرف جر، يقال: «عَدَوْتُهُ أَعْدُوهُ: تَجَاوَزْتُهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَعَدَّيْتُهُ وَتَعَدَّيْتُهُ كَذَلِكَ»(٢)، وأصله من قولهم: عدوت ذلك، فأنا أعدوه: إذا جاوزته(٣).

فوجه القراءتين غير المتواترتين واضح؛ حيث تعدى الفعل فيهما إلى المفعول دون حرف الجر؛ فقراءة **(ولا تُعْدِ عَيْنَيْكَ)** مِنْ أَعْدى رباعياً، وقراءة **(ولا تُعَدِّ)** بالتشديد من عَدَّى يُعَدّي مُضَعَّفاً(٤)، أي لا تجاوزها أنت عنهم(٥).

قال الزمخشري(ت٥٣٨هـ) وأبو الفضلِ الرازي(ت٤٥٤هـ): عدَّاه في الأولى بالهمزةِ وفي الثانيةِ بالتثقيلِ، كقولِ النابغة:

فَعَدَّ عَمَّا تَرَى إذ لا ارْتِجاعَ له ** وانْمِ القُتُودَ على عَيْرانَةٍ أُجُدِ(٦)(٧)

---

(١) مقاييس اللغة (ع د ا)٢٤٩/٤.

(٢) المصباح المنير (ع د و)٣٩٧/٢.

(٣) جامع البيان للطبري ٦/١٨.

(٤) الدر المصون ٤٧٤/٧.

(٥) المحرر الوجيز ٥١٢/٣.

(٦) البيت من البسيط للنابغة الذبياني في ديوانه ص٣١ ط بيروت، «فعد عما ترى: انصرف عنه، يريد به انصرف عن الدار التي وقفت عليها تتذكر من كان يحل بها، فإنك لا ترتجع بحزنك وبكائك عليهم شيئا مما كنت فيه. وانم القتود: ارفعها، يقال نميت الشيء أنميه إذا رفعته، والقتود: الرحل بما عليه، وقيل: القتود: خشب الرحل، والعيرانة: الموثقة الخلق (شرح أبيات سيبويه: السيرافي ٢٥/١ تح: د. محمد علي الريح هاشم، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٤هـ -١٩٧٤م).

(٧) الدر المصون ٤٧٤/٧، واللباب في علوم الكتاب ٤٦٩/١٢.

أما أبو حيان(ت٧٤٥هـ) فيرى أن أَفْعَل وفَعَّلَ بمعنى فَعَلَ؛ قال: لو كان تعدِّيه في هاتين القراءتين بالهمزةِ أو التضعيفِ لَتَعَدَّى لاثنين؛ لأنه قبل ذلك متعدٍّ لواحدٍ بنفسه، وقد أقرَّ الزمخشري(ت٥٣٨هـ) بذلك حيث قال: «يقال: عَدَاه إذا جاوزه، وإنما عُدِّي بعن لتضمُّنِه معنى علا ونبا، فحينئذٍ يكون أَفْعَل وفَعَّلَ مِمَّا وافقا المجردَ»(١).

وأما قراءة الجمهور ففيها وجهان:

أحدهما: أنَّ مفعولَه محذوفٌ، تقديرُه: ولا تَعْدُ عيناك النظرَ.

والثاني: أنه ضُمِّنَ معنى ما يتعدَّى بـ «عَنْ»(٢).

وبالوجه الثاني قال جمهور اللغويين والمفسرين، قال الزمخشري(ت٥٣٨هـ) موضحا دلالته: «يُقَالُ عَدَاهُ إِذَا جَاوَزَهُ... وإنما عدى بعن، لتضمين عدا معنى نبا وعلا، في قولك: نبت عنه عينه وعلت عنه عينه: إذا اقتحمته ولم تعلق به.

فإن قلت: أي غرض في هذا التضمين؟ وهلا قيل: ولا تعدهم عيناك، أو لا تعل عيناك عنهم؟

قلت: الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ. ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك: ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم؟ ونحوه قوله تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾[النساء:٢]ولا تضموها إليها أكلين لها»(٣).

---

(١) الدر المصون ٤٧٤/٧، واللباب في علوم الكتاب ٤٦٩/١٢.

(٢) الدر المصون ٤٧٤/٧.

(٣) الكشاف للزمخشري ٧١٧/٢، وأنوار التنزيل ٢٧٩/٣، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل ٢٩٨/٢، والتسهيل لعلوم التنزيل ٤٦٤/١، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ٤٢٧/٤، وفتح القدير ٣٣٣/٣.

وقال الرازي(ت٦٠٤هـ): «إِنَّمَا عُدِّيَ بِلَفْظَةِ (عَنْ)؛ لِأَنَّهَا تُفِيدُ الْمُبَاعَدَةَ، فَكَأَنَّهُ تَعَالَى نَهَى عَنْ تِلْكَ الْمُبَاعَدَةِ»[١]، والمعنى: لا تزدري فقراء المؤمنين، ولا تثني عينيك عنهم؛ لأجل مجالسته الأغنياء[٢].

وخالف في ذلك أبو حيان (ت٧٤٥هـ) واختار الوجه الأول وهو حذف المفعول به، فقال: «(**وَلَا تَعْدُ**) أَيْ لَا تَصْرِفْ عَيْنَاكَ النَّظَرَ عَنْهُمْ إِلَى أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، وَعَدَا مُتَعَدٍّ تَقُولُ: عَدَا فُلَانٌ طَوْرَهُ، وَجَاءَ الْقَوْمُ عَدَا زَيْدًا، فَلِذَلِكَ قَدَّرْنَا الْمَفْعُولَ مَحْذُوفًا لِيَبْقَى الْفِعْلُ عَلَى أَصْلِهِ مِنَ التَّعْدِيَةِ[٣]، والمراد النهي عن احتقارهم وصرف النظر عنهم لرثاثة حالهم إلى غيرهم، فعدا بمعنى صرف المتعدي إلى مفعول بنفسه، وإلى آخر بعن، قال في القاموس: يقال «عَداهُ عن الأمْرِ عَدْواً وعُدْواناً: صَرَفَهُ»[٤].

ولعل الخلاف لكون (عدا) قد تتعدى إلى مفعول واحد بعن كما تتعدى إليه بنفسها فتكون بمعنى جاوز وترك؛ قال في القاموس: يقال عدا «الأمْرَ، وعنه: جاوَزَهُ، وتَرَكَهُ»[٥]، وجوز أن يكون معنى الآية على ذلك كأنه قيل: لا تتركهم عيناك.

وقيل: إن عدا حقيقة معناه تجاوز كما صرح به الراغب(ت٥٠٢هـ)[٦]والتجاوز لا يتعدى بعن إلا إذا كان بمعنى العفو كما صرحوا به أيضا وهو هنا غير مراد فلا بد من تضمين عدا معنى نبا وعلا في

(١) مفاتيح الغيب للرازي ٤٥٥/٢١.
(٢) اللباب في علوم الكتاب ٤٦٩/١٢.
(٣) البحر المحيط ١١٤/٦.
(٤) القاموس المحيط ١٣٠٩.
(٥) القاموس المحيط ١٣٠٩.
(٦) المفردات في غريب القرآن ص٥٥٣.

قولك: نبت عنه عينه وعلت عنه عينه إذا اقتحمته ولم تعلق به، وهو الذي ذهب إليه الزمخشري(ت٥٣٨هـ).

وتعقبه أبو حيان(ت٧٤٥هـ) بأن التضمين لا ينقاس عند البصريين وإنما يذهب إليه عند الضرورة، أما إذا أمكن إجراء اللفظ على مدلوله الوضعي فإنه يكون أولى، واعترض أيضا ما قيل: بأنه لا يلزم من اتحاد الفعلين في المعنى اتحادهما في التعدية فلا يلزم من كون عدا بمعنى تجاوز أن يتعدى كما يتعدى ليقال: إن التجاوز لا يتعدى بعن إلا إذا كان بمعنى العفو وهو غير مراد، فلا بد من تضمين عدا معنى فعل متعد بعن، ويكفي كلام القاموس مستندا لمن خالف الزمخشري(ت٥٣٨هـ)[1].

وأبان البقاعي(ت٨٨٥هـ) عن دور السياق في بيان التضمين، فقال: «{ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ } أي احبسها وثبتها في تلاوته وتبيين معانيه {مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم } شكراً لإحسانه، واعترافاً بامتنانه، وكنى عن المداومة بما يدل على البعث الذي كانت قصة أهل الكهف دليلاً عليه فقال تعالى: {بِٱلۡغَدَوٰةِ} أي التي الانتقال فيها من النوم إلى اليقظة كالانتقال من الموت إلى الحياة { وَٱلۡعَشِيِّ} أي التي الانتقال فيها من اليقظة إلى النوم كالانتقال من الحياة إلى الموت؛ ثم مدحهم بقوله تعالى معللاً لدعائهم: { يُرِيدُونَ} أي بذلك {وَجۡهَهُۥ} لا غير ذلك في رجاء ثواب أو خوف عقاب وإن كانوا في غاية الرثاثة، وأكد ذلك بالنهي عن ضده فقال مؤكداً للمعنى لقصر الفعل وتضمينه فعلاً آخر: { وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ } علواً ونبوءاً وتجاوزاً {عَنۡهُمۡ} إلى غيرهم، أي لا تعرض عنهم»[2].

---

(١) روح المعاني ٢٥١/٨.

(٢) نظم الدرر ٤٩/١٢.

وقال الكفوي(ت١٠٩٤هـ): «ومن تضمين لفظ معنى لفظ آخر قوله تعالى: { **وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ** } أي: لا تفتهم عيناك مجاوزين إلى غيرهم»[١]. وقال ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ): «وَظَاهِرُ {**وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ**} نَهْيُ الْعَيْنَيْنِ عَنْ أَنْ تَعْدُوَا عَنِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ، أَيْ أَنْ تُجَاوِزَاهُمْ، أَيْ تَبْعُدَا عَنْهُمْ. وَالْمَقْصُودُ: الْإِعْرَاضُ، وَلِذَلِكَ ضُمِّنَ فِعْلُ الْعَدْوِ مَعْنَى الْإِعْرَاضِ، فَعُدِّيَ إِلَى الْمَفْعُولِ بِـ (عَنْ) وَكَانَ حَقُّهُ أَنْ يَتَعَدَّى إِلَيْهِ بِنَفْسِهِ يُقَالُ: عَدَاهُ، إِذَا جَاوَزَهُ. وَمَعْنَى نَهْيِ الْعَيْنَيْنِ نهي صَاحبهمَا، فيؤول إِلَى مَعْنَى: وَلَا تَعْدِي عَيْنَيْكَ عَنْهُمْ، وَهُوَ إِيجَازٌ بَدِيعٌ»[٢].

قَالَ ابْنُ الشَّجَرِيِّ(ت٥٤٢هـ): وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ كَانَ حَقُّ الْكَلَامِ (لَا تَعْدُ عَيْنَيْكَ عَنْهُمْ) بِالنَّصْبِ؛ لِأَنَّ (تَعْدُ) مُتَعَدٍّ بِنَفْسِهِ فَبَاطِلٌ؛ لِأَنَّ عَدَوْتَ وجاوزت بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَأَنْتَ لَا تَقُولُ: جَاوَزَ فُلَانٌ عَيْنَهُ عَنْ فُلَانٍ وَلَوْ كَانَتِ التِّلَاوَةُ بِنَصْبِ العين لكان اللفظ يتضمنها مَحْمُولًا أَيْضًا عَلَى لَا تَصْرِفْ عَيْنَكَ عَنْهُمْ وإذا كَذَلِكَ فَالَّذِي وَرَدَتْ بِهِ التِّلَاوَةُ مِنْ رَفْعِ الْعَيْنِ يَئُولُ إِلَى مَعْنَى النَّصْبِ فِيهَا؛ إِذْ كان { **وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ** } بِمَنْزِلَةِ لَا تَنْصَرِفْ، وَمَعْنَاهُ: لَا تَصْرِفْ عَيْنَكَ عَنْهُمْ فَالْفِعْلُ مُسْنَدٌ إِلَى الْعَيْنِ؛ وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مُوَجَّهٌ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ) كَمَا قَالَ: {**وَلَا تُعْجِبْكَ أموالهم**} أَسْنَدَ الْإِعْجَابَ إِلَى الْأَمْوَالِ وَالْمَعْنَى لَا تُعْجَبْ بأموالهم[٣].

وجمع أبو السعود العمادي(ت٩٨٢هـ) بين القولين، فقال: «{**وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ**} أي لا يجاوِزْهم نظرُك إلى غيرهم مِن عداه أي جاوزه واستعمالُه

(١) الكليات للكفوي ص٢٦٧.

(٢) التحرير والتنوير ٣٠٥/١٥.

(٣) البرهان في علوم القرآن ٣٤٠/٣.

بعن لتضمينه معنى النبوِّ، أولا تصرِفْ عيناك النظرَ عنهم إلى غيرهم من عدَوتُه عن الأمر أي صرفتُه عنه على أن المفعولَ محذوف لظهوره»[1].

وأقول: لعل تضمين (تعدو) معنى (تسهو أو تغفل) أكشف في تشخيص العلة من سواه؛ لأن تحول الاهتمام عنهم إلى مظاهر الحياة الدنيا وزينتها فذلك هو الرسوب. احبس نفسك معهم ولا تسهُ عيناك عنهم فهؤلاء الفقراء: صهيب وبلال، سلمان وخبَّاب وعمار، هم القاعدة الصلبة وعلى مثلهم تقوم الدعوات.

فاصحبهم أنت للأخيار مفتقر... ما قيمة العيش لولا هذه الزُّهُر، اللَّه غايتهم، محمد قدوتهم، رابطة العقيدة وثقت بين قلوبهم. أما المال والجاه والنسب فقيم نفيسة في ميزان الجاهلية محاها الإسلام. لا تغفل عيناك عنهم ولا تطمع في إيمان من أصابهم رغد العيش وزينة الدنيا، يريدون أن يتجروا بدينهم في سوق الدعوات، ويحققوا في اعتناقه ما شاءوا من أطماع، إنهم سَفَه لا وزن لهم ولا شأن في ميزان الإسلام. أما ما ذكره بعض المفسرين بتضمين تعدو معنى تنبو؛ فالنبوُّ فيه كبرياء وصَلَف وهو عن السياق بعيد وهو عن خلق رسول اللَّه (ﷺ) أبعد[2].

والحاصل: أنه لا تضمين على القراءتين غير المتواترتين؛ لتعديهما إلى المفعول دون حرف الجر، وأما على القراءة المتواترة فللعلماء وجهان:

الأول: أن لا تضمين فيها أيضا، وهذا ما ذهب إليه أبو حيان(ت٧٤٥هـ) وقدر المفعول، حيث إنه إذا أمكن إجراء اللفظ على مدلوله الوضعي فإنه يكون أولى، و لا يلزم من اتحاد الفعلين في المعنى اتحادهما في التعدية فلا يلزم من كون عدا بمعنى تجاوز أن يتعدى كما يتعدى ليقال إن التجاوز لا يتعدى بعن إلا

(١) إرشاد العقل السليم ٢١٩/٥.

(٢) التضمين النحوي في القرآن الكريم ٩٨/٢.

إذا كان بمعنى العفو وهو غير مراد، فلا بد من تضمين عدا معنى فعل متعد بعن، ويكفي كلام القاموس مستندا له.

الثاني: تخريج القراءة على تضمين(عدا) معنى النبو والعلو والتجاوز، وهو ما ذهب إليه جمهور اللغويين والمفسرين، ووافقهم د/ محمد نديم فاضل في التضمين إلا أنه خالفهم في المعنى الذي تضمنه الفعل.

أقول: لعل القول بالتضمين أوفق بالسياق كما ذكر جمهور العلماء، فمعنى قَوْله: {**وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ**} أَيْ اجْلِسْ مَعَ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ وَيُهَلِّلُونَهُ وَيَحْمَدُونَهُ وَيُسَبِّحُونَهُ وَيَكْبُرُونَهُ وَيَسْأَلُونَهُ بِكُرَةً وَعَشِيًّا، مِنْ عِبَادِ اللَّهِ سَوَاءً كَانُوا فُقَرَاءَ أَوْ أَغْنِيَاءَ، أو أقوياء أو ضعفاء، أَوْ ضُعَفَاءَ. يُقَالُ: إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ حِينَ طَلَبُوا مِنَ النَّبِيِّ (ﷺ) أَنْ يَجْلِسَ مَعَهُمْ، وَحْدَهُ، وَلَا يُجَالِسَهُمْ بِضُعَفَاءِ أَصْحَابِهِ، كَبِلَالٍ وَعَمَّارٍ وَصُهَيْبٍ وَخَبَّابٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَلْيُفْرِدْ أُولَئِكَ بِمَجْلِسٍ عَلَى حِدَةٍ، فَنَهَاهُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾[الأنعام:٥٢]، وَأَمَرَهُ أَنْ يُصَبِّرَ نَفْسَهُ فِي الْجُلُوسِ مَعَ هَؤُلَاءِ، فَقَالَ {**وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ**}(١). وعن سَعْدٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ) سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا. قَالَ وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ، وَبِلَالٌ، وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقَعَ فَحَدَّثَ نَفْسَهُ فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾[الأنعام:٥٢](٢).

---

(١) تفسير ابن كثير ١٣٧/٥.

(٢) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة (ﷺ) باب في فضل سعد بن أبي وقاص (ﷺ) ٢٤١٣/١٨٧٨/٤.

وأما ما ذهب إليه د: محمد نديم فلا أتفق معه، إذ إنه ليس في النبو صلف كما ذكر، فـ «النُّونُ وَالْبَاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى ارْتِفَاعٍ فِي الشَّيْءِ عَنْ غَيْرِهِ أَوْ تَنَحٍّ عَنْهُ، نَبَا بَصَرُهُ عَنِ الشَّيْءِ يَنْبُو، وَنَبَا السَّيْفُ عَنِ الضَّرِيبَةِ: تَجَافَى وَلَمْ يَمْضِ فِيهَا. وَنَبَا بِهِ مَنْزِلُهُ: لَمْ يُوَافِقْهُ، وَكَذَا فِرَاشُهُ. وَيُقَالُ نَبَا جَنْبُهُ عَنِ الْفِرَاشِ. وَيُقَالُ إِنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) اسْمُهُ مِنَ النَّبْوَةِ، وَهُوَ الِارْتِفَاعُ، كَأَنَّهُ مُفَضَّلٌ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ بِرَفْعِ مَنْزِلَتِهِ. وَيَقُولُونَ: النَّبِيُّ: الطَّرِيقُ. قَالَ:

لَأَصْبَحَ رَتْمًا دُقَاقَ الْحَصَى... مَكَانَ النَّبِيِّ مِنَ الْكَاثِبِ(١)»(٢).

****

الموضع الحادي عشر: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ** ﴾ [القصص:١٥]

• قرأ الجمهور (**فَٱسْتَغَٰثَهُ**) بالغين المعجمة والثاء المثلثة.

وقرأ الحسن (ت١١٠هـ) وسيبويه (ت١٨٠هـ) والأخفش (ت٢١٥هـ) وابن مقسم (ت٣٥٤هـ)(٣) والزعفراني(١)(**فاستعانه**) بالعين المهملة والنون بدل الثاء(٢).

---

(١) البيت من المتقارب لأوس بن حجر في ديوانه ص ١١ (دار صادر، بيروت) وفيه: كمتن، والرتم: الدق. والكاثب: الرمل المجتمع.

(٢) مقاييس اللغة (ن ب و) ٣٨٤/٥.

(٣) محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن الحسين بن محمد بن سليمان بن داود بن عبيد الله بن مقسم، ومقسم هذا هو صاحب ابن عباس، أبو بكر البغدادي العطار، الإمام المقرئ النحوي، ولد سنة خمس وستين ومائتين... =

فأما قراءة الحسن ومن وافقه، فالفعل فيها يتعدى بنفسه وبحرفي الجر الباء وعلى، يقال: «اسْتَعَانَ فلَان فلَانا، وَبِه: طلب مِنْهُ العون» [٣]، و«استعَنت به عليه فأعانَني عليه»[٤].

وباستقراء المادة في القرآن الكريم نجد أنها تأتي في تسعة مواضع بمعنى: ساعد وقوَّى، وعاون، وطلب العون[٥]، وأنها تتعدى بالباء وبعلى.

قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة:٥]

= قال الداني: مشهور بالضبط والإتقان، عالم بالعربية، حافظ للغة، حسن التصنيف في علوم القرآن.

وقال الذهبي: كان من أحفظ أهل زمانه لنحو الكوفيين وأعرفهم بالقراءات مشهورها وغريبها وشاذها.

قال ابن الجزري: له اختيار في القراءة رويناه في الكامل وغيره رواه عنه أبو الفرج الشنبوذي، ويذكر عنه أنه كان يقول: إن كل قراءة وافقت المصحف ووجها في العربية فالقراءة بها جائزة وإن لم يكن لها سند، وإنه عقد له مجلس ووقف للضرب فتاب ورجع... توفي سنة أربع وخمسين وثلاثمائة (غاية النهاية ١٢٣/٢).

(١) الحسين بن مالك أبو عبد الله الزعفراني، مقرئ شهير، له اختيار في القراءة (غاية النهاية ٢٤٩/١).

(٢) قراءة شاذة نسبت لابن مقسم والزعفراني في الكامل للهذلي ص٦١٣ ولسيبويه في مختصر ابن خالويه ص١١٢. والكشاف ٤٠٢/٣ وللحسن في إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز ص٥٧٨، وإتحاف فضلاء البشر ص٤٣٥، وللأخفش وسيبويه في شواذ القرآن واختلاف المصاحف ٦٠١/٢.

(٣) المعجم الوسيط ٦٣٨/٢، وينظر: المصباح المنير ٤٣٨/٢.

(٤) الصحاح (ع د ا)٢٤٢١/٦.

(٥) معجم ألفاظ القرآن الكريم ٥٠٨/٢ وأما قوله تعالى ﭽ ﭐ ﭑ ﭒ ﭼ [البقرة:٦٨] فمعناه: متوسطة العمر بين الصغر والكبر.

وَالْمَقْصُودُ هُنَا الاسْتِعَانَةُ عَلَى الْأَفْعَالِ الْمُهِمَّةِ كُلِّهَا الَّتِي أَعْلَاهَا تَلَقِّي الدِّينِ وَكُلِّ مَا يَعْسُرُ عَلَى الْمَرْءِ تَذْلِيلُهُ مِنْ تَوَجُّهَاتِ النُّفُوسِ إِلَى الْخَيْرِ وَمَا يَسْتَتْبِعُ ذَلِكَ مِنْ تَحْصِيلِ الْفَضَائِلِ. وَقَرِينَةُ هَذَا الْمَقْصُودِ رَسْمُهُ فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَوُقُوعُ تَخْصِيصِ الْإِعَانَةِ عَقِبَ التَّخْصِيصِ بِالْعِبَادَةِ. وَلِذَلِكَ حَذَفَ مُتَعَلَّقَ نَسْتَعِينُ الَّذِي حَقُّهُ أَنْ يُذْكَرَ مَجْرُورًا بِعَلَى، وَقَدْ أَفَادَ هَذَا الْحَذْفُ الْهَامُّ عُمُومَ الاسْتِعَانَةِ الْمَقْصُورَةِ عَلَى الطَّلَبِ مِنَ اللَّهِ تَأَدُّبًا مَعَهُ تَعَالَى(١).

وقال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾[البقرة:٤٥]

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾[البقرة:١٥٣]

وقال تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ﴾[الأعراف:١٢٨]

وقال تعالى﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾[المائدة:٢]

وقال تعالى﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ﴾[الفرقان:٤]

وقال تعالى﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ [الكهف:٩٥]

وقال تعالى﴿ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[يوسف:١٨]

وقال تعالى﴿ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:١١٢]

وفي الحديث الصحيح: «عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ(ت١٨هـ) أَنَّ رَسُولَ (ﷺ) أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ:... أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»(٢).

---

(١) التحرير والتنوير ١٨٤/١.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الصلاة ــ باب في الاستغفار ١٥٢٢/٨٦/٢.

وعلى هذا فلا تضمين في القراءة الشاذة؛ لأن الإعانة تتعدى بـ (على)، والمعنى: طَلَب مِنْهُ الْإِعَانَةَ عَلَى الْقِبْطِيِّ.

هذا وقد عد ابن عطية هذه القراءة الشاذة تصحيفا ولم يقرها قراءة، فقال: «وذكر الأخفش سعيد(ت٢١٥هـ) «استعانه» بالعين غير معجمة وبالنون، وهي تصحيف لا قراءة»[١].

وَلَيْسَتْ تَصْحِيفًا، فَقَدْ نَقَلَهَا ابْنُ خَالَوَيْهِ(ت٣٧٠هـ) عَنْ سِيبَوَيْهِ(ت١٨٠هـ)، وَابْنُ جُبَارَةَ عَنِ ابْنِ مِقْسَمٍ وَالزَّعْفَرَانِيِّ [٢]

قال السمين(ت٧٥٦هـ): «نسبة التصحيف إلى هؤلاء غير محمودة»[٣].

قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ يُوسُف بْنِ عَلِيِّ بْنِ جُبَارَةَ(ت٤٦٥هـ): وَالِاخْتِيَارُ قِرَاءَةُ ابْنِ مِقْسَمٍ؛ لِأَنَّ الْإِعَانَةَ أَوْلَى فِي هَذَا الْبَابِ[٤].

أما قراءة الجمهور فالفعل استغاث يتعدَّى بنفسِه تارةً وبالباء أخرى[٥]، يقال: «اسْتَغَاثَ الرجل غوثا، وَغُلَانًا، وَبِه: استنصره واستعان بِهِ»[٦]، بل ذكر بعضهم «أنه متعد بنفسه ولم يقع في القرآن إلا كذلك»[٧].

قال السمين الحلبي(ت٧٥٦هـ): «استغاث يتعدَّى بنفسِه تارةً وبالباء أخرى، وإن كان ابنُ مالكٍ(ت٦٧٢هـ) زعمَ أنَّه متعدٍّ بنفسِه فقط، وعابَ قولَ النحاةِ «مستغاث به» قلت: لكنه لم يَرِدْ في القرآن إلاَّ متعدَّياً بنفسِه»[٨].

---

(١) المحرر الوجيز ٢٨٠/٤.

(٢) البحر المحيط والدر المصون ٦٥٧/٨، واللباب في علوم الكتاب ٢٢٦/١٥.

(٣) الدر المصون ٦٥٧/٨ واللباب في علوم الكتاب ٢٢٧/١٥.

(٤) الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها ص٦١٣.

(٥) الدر المصون ٦٧١/٩.

(٦) المعجم الوسيط ٦٦٥/٢.

(٧) حاشية الشهاب ٢٥٤/٤.

(٨) الدر المصون ٦٧١/٩.

قال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾[الأنفال:٩]

وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ﴾[الكهف: ٢٩]

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾[الأحقاف: ١٧]

وَمَعْنَى يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ يَطْلُبَانِ الْغَوْثَ مِنَ اللَّهِ، أَيْ يَطْلُبَانِ مِنَ اللَّهِ الْغَوْثَ بِأَنْ يَهْدِيَهُ، فَالْمَعْنَى: يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ لَهُ(١).

وإذا كان الفعل استغاث يتعدى بنفسه وبالباء فما وجه تعديته بـ(عَلَى) في القراءة المتواترة؟

قلت: إنما عدي بـ(عَلَى) لتضمينه معنى النصر، وذلك لأن الاستغاثة طَلَبُ الْغَوْثِ وَهُوَ الْإِنْقَاذُ مِنْ شَدَّةٍ، وَتَخْفِيفِ الْأَلَمِ ولا يلزم منها النصر فقد تقتصر على الإنقاذ فقط وقد تكون مع النصر والتمكين، ويؤيد ذلك أنها جاءت في موضع الكهف للتخلص من الألم، قال تعالى: ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ﴾[الكهف: ٢٩]، وَشَمِلَ يَسْتَغِيثُوا الِاسْتِغَاثَةَ مِنْ حَرِّ النَّارِ يَطْلُبُونَ شَيْئًا يُبْرِدُ عَلَيْهِمْ، بِأَنْ يَصُبُّوا عَلَى وُجُوهِهِمْ مَاءً مَثَلًا،... وَالِاسْتِغَاثَةُ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ النَّاشِئِ عَنِ الْحَرِّ فَيَسْأَلُونَ الشَّرَابَ(٢).

وقد تكون الاستغاثة بالنصر كما في موضع الأنفال قال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[الأنفال:

(١) التحرير والتنوير ٣٩/٢٦.

(٢) التحرير والتنوير ٣٠٨/١٥.

٩] ولما كانت استغاثة الرجل بنبي الله موسى (عليه السلام) مؤيدة بالنصر عداه بعلى الذي يتعدى بعلى، قال تعالى﴿ فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[البقرة:٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾[المؤمنون: ٢٦]ويؤيده السياق القرآني، حيث قال تعالى ﴿ فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥ ﴾[القصص: ١٨]، ولعله عبر بالاستنصار ليفصح عما تضمنه الفعل(استغاث)، وأنها كانت استغاثة مصحوبة بالنصرة.

قال الرازي(ت٦٠٤هـ): «{فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ} أَيْ سَأَلَهُ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنْهُ وَاسْتَنْصَرَهُ عَلَيْهِ»[(١)]، واعتمد بعضهم القراءة الشاذة للدلالة على تضمين استغاث استعان، قال أبو السعود(ت٨٨٢هـ): «{فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ } أي سأله أنْ يغيثَه بالإعانة كما ينبئُ عنه تعديته بعلى»[(٢)]. وجمع الشهاب(ت١٠٦٩هـ) بينهما، فقال: «عدى بعلى، أي حملا له على نظيره، أو ضمنه معناه ويؤيده القراءة به، وان ضمن معنى النصر صح لتعديه بعلى ويؤيده قوله{ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ}»[(٣)]. وقال الآلوسي(ت١٢٧٠هـ): «(فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ) أي فطلب غوثه ونصرة إياه (عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ)،ولتضمين الفعل معنى النصر عدي بـ(عَلَى)، ويؤيده قوله تعالى بعد﴿ ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ ﴾[القصص:١٨]، ويجوز أن يكون تعديته بـ(عَلَى) لتضمينه معنى الإعانة، ويؤيده أنه قرئ (فاستعانه) بالعين المهملة والنون بدل الثاء»[(٤)].

---

(١) مفاتيح الغيب ٥٨٥/٢٤.

(٢) إرشاد العقل السليم ٦/٧، وينظر: أنوار التنزيل ١٧٣/٤.

(٣) حاشية الشهاب ٦٧/٧.

(٤) روح المعاني ٢٦٣/١٠.

وهكذا يفيض التضمين بالدلالة على النص:

• فهذا الْإِسْرَائِيلِيّ كان مغلوبا وفي شدة، وهو ما أشار إليه الفعل(استغاث) فـ«الْغَيْنُ وَالْوَاوُ وَالثَّاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ الْغَوْثُ مِنَ الْإِغَاثَةِ، وَهِيَ الْإِغَاثَةُ وَالنُّصْرَةُ عِنْدَ الشِّدَّةِ»(١).

فالاسْتِغَاثَةُ طَلَبُ الْغَوْثِ(٢)، والمعونة(٣)، والنصرة(٤)، والتَّخْلِيصُ من الشِّدةِ والنِّقْمَةِ، والعَوْنُ على الفَكَاكِ من الشّدائِدِ(٥)، «وَإِنَّمَا أَغَاثَهُ لِأَنَّ نَصْرَ الْمَظْلُومِ دِينٌ فِي الْمِلَلِ كُلِّهَا عَلَى الْأُمَمِ، وَفَرْضٌ فِي جَمِيعِ الشَّرَائِعِ»(٦)، وَإِنَّمَا يكون هَذَا الطَّلَبُ بِالنِّدَاءِ فَذِكْرُ الِاسْتِغَاثَةِ يُؤْذِنُ بِأَنَّ الْإِسْرَائِيلِيَّ كَانَ مَغْلُوبًا وَأَنَّ الْقِبْطِيَّ اشْتَدَّ عَلَيْهِ وَكَانَ ظَالِمًا إِذْ لَا يُجْبَرُ أَحَدٌ عَلَى عَمَلٍ يَعْمَلُهُ(٧).

• وهذه الاستغاثة كانت مصحوبة بالاستنصار، «والاسْتِنْصار: استِمْدادُ النَّصْر، وَقد اسْتَنْصَرَه عَلَيْهِ: استَمَدَّه»(٨).

******

الموضع الثاني عشر: قَالَ تَعَالَى:﴿ **وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ** ﴾[العنكبوت:٥٨]

---

(١) مقاييس اللغة (غ و ث) ٤٠٠/٤، وينظر: المفردات للراغب ص٦١٧.

(٢) معالم التنزيل للبغوي ٥٢٧/٣.

(٣) تفسير السمعاني ١٢٨/٤.

(٤) زاد المسير ٣٧٨/٣.

(٥) تاج العروس (غ و ث) ٣١٤/٥ وينظر: الكليات للكفوي ص١١٤.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٢٦٠/١٣.

(٧) التحرير والتنوير ٨٩/٢٠.

(٨) تاج العروس (ن ص ر).

قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ{لَنُثْوِيَنَّهُم} بِالثَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ سَاكِنَةً بَعْدَ النُّونِ وَإِبْدَالِ الْهَمْزَةِ يَاءً مِنَ الثَّوَاءِ، وَهُوَ الْإِقَامَةُ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَالْهَمْزِ مِنَ التَّبَوُّءِ وَهُوَ الْمَنْزِلُ(١).

تَقُولُ الْعَرَبُ: بَوَّأْتُ لَهُ مَنْزِلًا، وَبَوَّأْتُهُ مَنْزِلًا، وَبَوَّأْتُهُ فِي مَنْزِلٍ، بِمَعْنًى وَاحِدٍ، كُلُّهَا بِمَعْنَى: هَيَّأْتُهُ لَهُ وَمَكَّنْتُ لَهُ فِيهِ وَأَنْزَلْتُهُ فِيهِ، فَتَبَوَّأَهُ؛ أَيْ: نَزَلَهُ، وَتَبَوَّأْتُ لَهُ مَنْزِلًا أَيْضًا: هَيَّأْتُهُ لَهُ وَأَنْزَلْتُهُ فِيهِ.

فَـ «بَوَّأَهُ» الْمُتَعَدِّي بِنَفْسِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا ﴾[العنكبوت:٥٨]،وَقَوْلِهِ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ [النحل:٤١]، وَمِنْهُ قَوْلُ عَمْرِو بْنِ مَعْدِيكَرِبَ الزُّبَيْدِيِّ:

كَمْ مِنْ أَخٍ لِي مَاجِدٍ ... بَوَّأْتُهُ بِيَدَيَّ لَحْدَا(٢)

أَيْ: هَيَّأْتُهُ لَهُ وَأَنْزَلْتُهُ فِيهِ.

وَبَوَّأْتُ لَهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الحج:٢٦]. وَبَوَّأْتُهُ فِيهِ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

وَبُوِّئَتْ فِي صَمِيمِ مَعْشَرِهَا ** وَتَمَّ فِي قَوْمِهَا مُبَوَّؤُهَا(٣)

أَيْ: نَزَلَتْ مِنَ الْكَرَمِ فِي صَمِيمِ النَّسَبِ.

---

(١) النشر في القراءات العشر ٣٤٤/٢.

(٢) من مجزوء الكامل لعمرو بن معديكرب الزبيدي في ديوانه ص ٥٩١.

(٣) منسوب لإبراهيم بن هرمة في مجاز القرآن ١/ ٢١٨، ومقاييس اللغة (ب و أ) ٣١٢/١، واللسان (ب و أ) وشمس العلوم ٦٦٧/١ من قصيدته التي مطلعها:

إنَّ سُلَيْمى واللّاهُ يكلؤها ** ضَنَّت بشيءٍ ما كان يرزؤها

وتَبوَّأتْ لَهُ مَنْزِلًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ﴾[يونس:٨٧].

وتَبوَّأَهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ﴾[الزمر:٧٤]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ﴾ [يوسف:٥٦]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ ﴾[الحشر:٩].

وَأَصْلُ التَّبَوُّءِ مِنَ الْمَبَاءَةِ: وَهِيَ مَنْزِلُ الْقَوْمِ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ، فَقَوْلُهُ: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ ﴾[الحج:٢٦]؛ أَيْ: هَيَّأْنَاهُ لَهُ وَعَرَّفْنَاهُ إِيَّاهُ ؛ لِيَبْنِيَهُ بِأَمْرِنَا عَلَى قَوَاعِدِهِ الْأَصْلِيَّةِ الْمُنْدَرِسَةِ، حِينَ أَمَرْنَاهُ بِبِنَائِهِ، كَمَا يُهَيَّأُ الْمَكَانُ لِمَنْ يُرِيدُ النُّزُولَ فِيهِ[1].

وإذا كان (بوأ) يتعدى إلى المفعول، فإن «(ثوى) فعل لازم، كما أن نزل كذلك، فإذا نقلته بالهمزة، تعدى إلى مفعول واحد»[2]، حتى قال الأخفش(ت٢١٥هـ): ولا تعجبني هذه القراءة؛ لأنك لا تقول: أثويته الدار، بل تقول: في الدار، وليس في الآية حرف جر في المفعول الثاني[3].

فما وجه تعديته هنا إلى مفعولين، وهما: ضمير المؤمنين والغرف؟

تعددت رؤى علمائنا القدامى في الإجابة على هذا السؤال، وكانت على النحو الآتي:

١ـ **أن القراءتين مترادفتان تركيبا ودلالة**؛ ففي تهذيب اللغة للأزهري(ت٣٧٠هـ): «يُقال: بَوّأته منزلا، وأَثْوَيته منزلا، سَواء، مَعْنَاهُمَا:

(١) أضواء البيان للشنقيطي ٢٩٥/٤.

(٢) الدرة الفريدة في شرح القصيدة ٥١٧/٤.

(٣) التفسير الوسيط ٤٢٤/٣.

أنزلته »[1]، وقال الزجاج(ت٣١١هـ): يقال: ثوى الرجل إذا أقام، وأثويته إذا أنزلته منزلا يقيم فيه[2].

٢ـ أن القراءتين متقاربتان تركيبا ودلالة:

قال الطبري(ت٣١٠هـ): «والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان في قرّاء الأمصار، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وذلك أن قوله: {لَنُبَوِّئَنَّهُمْ} من بوأته منزلا أي أنزلته، وكذلك {لننثوينهم}، إنما هو من أثويته مسكنا، إذا أنزلته منزلا من الثواء، وهو المقام»[3].

وفي بحر العلوم: «فمن قرأ بالثاء فهو من ثويت بالمكان، يعني: أقمت به، كقوله ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ﴾[القصص:٤٥]، ومن قرأ بالباء يعني: لننزلنهم، وذكر عن الفراء(ت٢٠٧هـ) أنه قال: كلاهما واحد، بوأته منزلاً أي أنزلته، وأثويته منزلاً يعني: أنزلته سواء، كقوله ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾»[4]. وقال ابن خالويه(ت٣٧٠هـ): «فالحجة لمن قرأ بالنون والباء: أنه أراد: لننزلنهم من الجنة غرفا، ودليله قوله:﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾[الحشر:٩]، والحجة لمن قرأ بالنون والثاء: أنه أراد: النزول والإقامة، ومنه قوله: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ﴾[القصص:٤٥]»[5].

---

(١) تهذيب اللغة ٤٢٦/١٥.

(٢) التفسير الوسيط ٤٢٤/٣.

(٣) جامع البيان للطبري ٥٧/٢٠.

(٤) بحر العلوم ٦٣٩/٢.

(٥) الحجة لابن خالويه ص٢٨١ وحجة القراءات ص٥٥٤.

٣ــ أن اختلاف القراءتين تركيبيا يترتب عليه تنوع دلالي:

فمن قرأ بالياء جعله من التبوء، يقال: تبوأ فلان منزلا، إذا اتخذه وسكنه، وبوأته أنا المنزل، أي: أنزلته فيه، وفي التنزيل: ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾[يونس:٩٣]، والمعنى: لنزلنهم في الجنة علالي يسكنونها. ومن قرأ بالثاء جعله من الثواء، وهو النزول للإقامة(١)؛ يقال: ثوى في المنزل، وأثوى هو، وأثوى غيره، وثوى: غير متعد، فإذا تعدى بزيادة همزة النقل لم يتجاوز مفعولا واحدا، نحو: ذهب، وأذهبته.

والوجه في تعديته إلى ضمير المؤمنين وإلى الغرف إما:(٢)

• على إرادة حرف الجر، ثم حذف كما يقال: أمرتك الخير، أي بالخير(٣)، أي: في غُرَف.

• وإمَّا على تشبيهِ الظرف المختصِّ بالمبهمِ، كقولِه: ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[الأعراف:١٦](٤)؛ فالظرف المكاني إذا كان محدودا كالدار والغرفة لا يجوز نصبه على الظرفية، إلا أنه أجري هنا مجرى المبهم توسعا(٥).

• وإما على تضمين «أَثْوَى» أنزل، فيتعدَّى لاثنين؛ لأنَّ ثوى قاصرٌ، وأكسبته الهمزةُ التعدِّيَ لواحدٍ(٦).

---

(١) الدرة الفريدة في شرح القصيدة ٥١٧/٤.

(٢) الكشاف ٤٦١/٣، وإرشاد العقل السليم ٤٥/٧.

(٣) التفسير الوسيط ٤٢٤/٣.

(٤) الدر المصون ٢٥/٩، واللباب في علوم الكتاب ٣٧١/١٥.

(٥) روح المعاني ١١/١١.

(٦) الدر المصون ٢٥/٩، واللباب في علوم الكتاب ٣٧١/١٥، والكشاف ٤٦١/٣، وإرشاد العقل السليم ٤٥/٧، وشرح طيبة النشر للنويري ٥٠٢/٢.

دلالة القراءة بالباء:

التَّبْوِئَةُ: الْإِنْزَالُ وَالْإِسْكَانُ[١]؛ فقراءة جمهور القراء ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾من المباءة، أي: لننزلنهم ولنمكننهم ليدوموا فيها، و ﴿غُرَفًا﴾مفعول ثان؛ لأنه فعل يتعدى إلى مفعولين[٢]، ولما كان الكفار ينكرون البعث، فكيف ما بعده، أكد قوله: {لَنُبَوِّئَنَّهُم } أي لنسكننهم في مكان هو جدير بأن يَرجع إليه من حسنه وطيبه من خرج منه لبعض أغراضه، وهو معنى {**من الجنة غرفاً**} أي بيوتاً عالية تحتها قاعات واسعة بهية عالية[٣]، فقوله ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ أي: لننزلنهم على وجه الإقامة[٤]، تقول: تبوأت مكان كذا، إذا حللته حلولا متمكنا تثبت فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾[الزمر:٧٤] ومنه قول النبي (ﷺ): « **مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»[٥]، يُقَالُ: بَوَّأْتُهُ مَنْزِلًا وَبَوَّأْتُ لَهُ، كَمَا يُقَالُ: مَكَّنْتُكَ وَمَكَّنْتُ لَكَ[٦].

دلالة القراءة بالثاء:

الْمَثْوَى: الْمَكَانُ الَّذِي يَكُونُ مَقَرَّ الْإِنْسَانِ وَمَأْوَاهُ، مِنْ قَوْلِهِمْ: ثَوَى يَثْوِي ثويا[٧]، أي: منزل وموضع إقامة وحبس له[٨]، ومكانُ الإقامةِ المنبئة عن

(١) التحرير والتنوير ٢٣/٢١.
(٢) المحرر الوجيز ٣٢٤/٤.
(٣) نظم الدرر ٤٦٧/١٤.
(٤) روح المعاني ١١/١١.
(٥) صحيح البخاري: كتاب العلم، بَابُ إِثْمِ مَنْ كَذَبَ عَلَى النَّبِيِّ (ﷺ) ١١٠/٣٣/١.
(٦) فتح القدير ٥٢٩/٣.
(٧) مفاتيح الغيب ٣٨٥/٩.
(٨) نظم الدرر ٤٨١/١٤.

المُكثْ[١]، وقوله {**وما كنت ثاوياً**} أي: مقيماً إقامة طويلة مع الملازمة بمدين[٢].

• ويرجح البحث التنوع الدلالي لاختلاف القراءتين، ومما يؤيد ذلك:

١ــ الدلالة المحورية للقراءتين؛ فالْبَاءُ وَالْوَاوُ وَالْهَمْزَةُ أَصْلَانِ: **أَحَدُهُمَا** الرُّجُوعُ إِلَى الشَّيْءِ، وَالْآخَرُ تَسَاوِي الشَّيْئَيْنِ؛ فَالْأَوَّلُ الْبَاءَةُ وَالْمَبَاءَةُ، وَهِيَ مَنْزِلَةُ الْقَوْمِ، حَيْثُ يَتَبَوَّءُونَ فِي قُبُلِ وَادٍ أَوْ سَنَدِ جَبَلٍ، وَيُقَالُ قَدْ تَبَوَّءُوا، وَبَوَّأَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مَنْزِلَ صِدْقٍ..... [٣]. والثَّاءُ وَالْوَاوُ وَالْيَاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ صَحِيحَةٌ تَدُلُّ عَلَى الْإِقَامَةِ، يُقَالُ ثَوَى يَثْوِي فَهُوَ ثَاوٍ.... وَالْقِيَاسُ كُلُّهُ وَاحِدٌ[٤].

٢ــ اختلاف القراء العشرة في هذا الموضع واتفاقهم في موضع النحل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ** ﴾[النحل: ٤١]

ولعل ذلك راجع إلى سياق الآيتين، ففي موضع سورة النحل: «يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ جَزَائِهِ لِلْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ، الَّذِينَ فَارَقُوا الدَّارَ وَالْإِخْوَانَ وَالْخُلَّانَ رَجَاءَ ثَوَابِ اللَّهِ وَجَزَائِهِ، وَيُحْتَمَلُ أن يكون سبب نزولها فِي مُهَاجِرَةِ الْحَبَشَةِ الَّذِينَ اشْتَدَّ أَذَى قَوْمِهِمْ لَهُمْ بِمَكَّةَ حَتَّى خَرَجُوا مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ إِلَى بِلَادِ الْحَبَشَةِ لِيَتَمَكَّنُوا مِنْ عِبَادَةِ رَبِّهِمْ، وَمِنْ أَشْرَافِهِمْ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ رُقَيَّةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، وَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ابْنُ عَمِّ الرسول، وأبو سلمة بن عبد الأسود فِي جَمَاعَةٍ قَرِيبٍ مِنْ ثَمَانِينَ مَا بَيْنَ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ صِدِّيقٍ وَصِدِّيقَةٍ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ ــ، وَقَدْ فَعَلَ فَوَعَدَهُمْ تَعَالَى بِالْمُجَازَاةِ

(١) إرشاد العقل السليم ٢/٩٨.

(٢) نظم الدرر ١٤/٣٠٤.

(٣) مقاييس اللغة (ب و أ) ١/٣١٢.

(٤) مقاييس اللغة (ث و ي) ١/٣٩٣.

الْحَسَنَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَقَالَ: {لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً} قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ(ت٦٨هـ) وَالشَّعْبِيُّ(ت١٠٣هـ) وَقَتَادَةُ(ت١١٨هـ): الْمَدِينَةُ، وَقِيلَ: الرِّزْقُ الطَّيِّبُ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ(ت١٠٣هـ).

وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ، فَإِنَّهُمْ تَرَكُوا مَسَاكِنَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فَعَوَّضَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْ تَرَكَ شَيْئًا لِلَّهِ عَوَّضَهُ اللَّهُ بِمَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ وَقَعَ فَإِنَّهُمْ مَكَّنَ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْبِلَادِ، وَحَكَّمَهُمْ عَلَى رِقَابِ العباد، وصاروا أُمَرَاءَ حُكَّامًا، وَكُلٌّ مِنْهُمْ لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا، وَأَخْبَرَ أَنَّ ثَوَابَهُ لِلْمُهَاجِرِينَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ أَعْظَمُ مِمَّا أَعْطَاهُمْ فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ: {وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ} وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ أَيْ مِمَّا أَعْطَيْنَاهُمْ فِي الدُّنْيَا لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ أَيْ لَوْ كَانَ الْمُتَخَلِّفُونَ عَنِ الْهِجْرَةِ مَعَهُمْ يَعْلَمُونَ مَا ادَّخَرَ اللَّهُ لِمَنْ أَطَاعَهُ وَاتَّبَعَ رَسُولَهُ، وَلِهَذَا ... كان عمر بن الْخَطَّابِ ﷺ ، كَانَ إِذَا أَعْطَى الرَّجُلَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ عَطَاءَهُ يَقُولُ: خُذْ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهِ، هَذَا مَا وَعَدَكَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا، وَمَا ادَّخَرَ لَكَ فِي الْآخِرَةِ أَفْضَلُ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾»[1].

أما موضع العنكبوت، فبعد أن« قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[العنكبوت:٥٧] أَيْ: أَيْنَمَا كُنْتُمْ يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ، فَكُونُوا فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَحَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا مَحِيدَ عَنْهُ، ثُمَّ إِلَى اللَّهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَآبُ، فَمَنْ كَانَ مُطِيعًا لَهُ جَازَاهُ أَفْضَلَ الْجَزَاءِ، ووافاه أتم الثواب، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾، أَيْ: لَنُسْكِنَنَّهُمْ مَنَازِلَ عَالِيَةً فِي الْجَنَّةِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

(١) تفسير ابن كثير ٤/٤٩١.

الْأَنْهَارُ عَلَى اخْتِلَافِ أَصْنَافِهَا مِنْ مَاءٍ وَخَمْرٍ وعسل ولبن، يصرفونها ويجرونها حيث شاءوا»[1].

فموضع العنكبوت سياقه الجنة، وجزاؤه عام لكل من آمن وعمل صالحا، وصاحبه سيكون مقيماً إقامة طويلة مع الملازمة، وهذا ما أشارت إليه قراءة الثاء، فالْمَثْوَى: الْمَكَانُ الَّذِي يَكُونُ مَقَرَّ الْإِنْسَانِ وَمَأْوَاهُ، أي منزل وموضع إقامة ومكث له، وهذا ما أيده سياق اللاحق في الآية حيث قال تعالى: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾، أَيْ: مَاكِثِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا.

وهذا إنما يكون بعد نزولهم وتمكنهم، أي: لنسكننهم في مكان هو جدير بأن يَرجع إليه ــ من حسنه وطيبه ــ من خرج منه لبعض أغراضه، تقول: تبوأت مكان كذا، إذا حللته حلولا متمكنا تثبت فيه، فلا موت في الجنة ولا فناء بل خلود أبدي ونعيم سرمدي.

وأما موضع النحل فسياقه الدنيا لجماعة هاجروا من وطنهم فوعدهم الله بالمدينة مسكنا لهم، ولذا قال ابن الجزري(ن٨٣٣هـ): « وَاتَّفَقُوا عَلَى الَّذِي فِي سُورَةِ النَّحْلِ أَنَّهُ كَذَا؛ إِذِ الْمَعْنَى: لَنُسْكِنَنَّهُمْ مَسْكَنًا صَالِحًا، وَهُوَ الْمَدِينَةُ»[2].

فقوله «{لَنُبَوِّئَنَّهُمْ} أي: نوجد لهم منزلاً هو أهل لأن يرجع إليه، بما لنا من الملائكة وغيرهم من الجنود وجميع العظمة {في الدنيا} مباءة {حسنة} كبيرة عظيمة، جزاء لهم، بأن نعلي أمرهم وإن كره المشركون، ... وسينكشف الأمر عما قريب انكشافاً لا يجهله أحد»[3].

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٦٢/٦.

(٢) النشر في القراءات العشر ٣٤٤/٢.

(٣) نظم الدرر ١٦٤/١١.

وَالتَّبْوِئَةُ: الْإِسْكَانُ، وَأُطْلِقَتْ هُنَا عَلَى الْجَزَاءِ بِالْحُسْنَى عَلَى الْمُهَاجَرَةِ بِطَرِيقِ الْمُضَادَّةِ لِلْمُهَاجَرَةِ؛ لِأَنَّ الْمُهَاجَرَةَ الْخُرُوجُ مِنَ الدِّيَارِ فَيُضَادُّهَا الْإِسْكَانُ....

وَهَذَا الْجَزَاءُ يَجْبُرُ كُلَّ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الْمُهَاجَرَةُ مِنَ الْأَضْرَارِ الَّتِي لَقِيَهَا الْمُهَاجِرُونَ مِنْ مُفَارَقَةِ دِيَارِهِمْ وأهليهم وَأَمْوَالِهِمْ، وَمَا لَاقَوْهُ مِنَ الْأَذَى الَّذِي أَلْجَأَهُمْ إِلَى الْمُهَاجَرَةِ مِنْ تَعْذِيبٍ وَاسْتِهْزَاءٍ وَمَذَلَّةٍ وَفِتْنَةٍ، فَالْحَسَنَةُ تَشْتَمِلُ عَلَى تَعْوِيضِهِمْ دِيَارًا خَيْرًا مِنْ دِيَارِهِمْ، وَوَطَنًا خَيْرًا مِنْ وَطَنِهِمْ، وَهُوَ الْمَدِينَةُ، وَأَمْوَالًا خَيْرًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَهِيَ مَا نَالُوهُ مِنَ الْمَغَانِمِ وَمِنَ الْخَرَاجِ ... ، وَغَلَبَةً لِأَعْدَائِهِمْ فِي الْفُتُوحِ وَأَهَمُّهَا فَتْحُ مَكَّةَ، وَأَمْنًا فِي حَيَاتِهِمْ بِمَا نَالُوهُ مِنَ السُّلْطَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا﴾[النُّور:٥٥](١).

ولذلك ذهب بعضهم إلى أن التبوء في الدنيا، والثواء في الآخرة(٢).

وإذا كان أبو القاسم الهذلي(ت٤٦٥هـ) اختار الثاء؛ لأنه أولى بالإقامة(٣)، فقد اختار الجعبري(ت٧٣٢هـ) الباء وفاقا لأبي عبيد(ت٢٢٤هـ) بدليل إجماعهم على موضع النحل(٤)

****

الموضع الثالث عشر: قَالَ تَعَالَى:﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ۝٨ دُحُورٗا وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ﴾[الصافات٦:٩] قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ وَحَفْصٌ:﴿لَّا

(١) التحرير والتنوير ١٥٨/١٤.

(٢) شرح الجعبري على متن الشاطبية ٢١١٤/٤.

(٣) الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها ص٦١٦.

(٤) شرح الجعبري على متن الشاطبية ٢١١٤/٤.

﴿يَسَّمَّعُونَ﴾ بِتَشْدِيدِ السِّينِ وَالْمِيمِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِتَخْفِيفِهِمَا[1]. فحجة التخفيف «مَا رُوِيَ عَن ابْن عَبَّاس (ت:٦٨هـ) أَنه قَرَأَ {لَا يسْمعُونَ} وَقَالَ: هم يسّمّعُونَ وَلَكِن لَا يسمعُونَ، وَالدَّلِيل على صِحَة قَول ابْن عَبَّاس أَنهم يسّمّعُونَ وَلَكِن لَا يسمعُونَ قَوْله ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن:٩]، وَقَوله بعْدهَا ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[الصافات:١٠] فَعلم بذلك أنهم يقصدون للاستماع. وَمن حجتهم أَيْضا إِجْمَاع الْجَمِيع على قَوْله ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾[الشعراء:٢١٢] وَهُوَ مصدر (سمعت) والقصة وَاحِدَة.

وَتَأْوِيل الْكَلَام: وحفظا من كل شَيْطَان مارد لِئَلَّا يسمعوا، بِمَعْنى أَنهم ممنوعون بِالْحِفْظِ عَن السّمع، فكفت (لَا) من (أَن) كَمَا قَالَ ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [الشعراء:٢٠٠-٢٠١] بِمَعْنى لِئَلَّا يُؤمنُوا بِهِ، فكفت (لَا) من (أَن) كَمَا كفت (أَن) من (لَا) فِي قَوْله تَعَالَى ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا﴾[النساء:١٧٦]

وَمن قَرَأَ {يَسَّمَّعُونَ} فالأَصْل: يتسمعون، فأدغم التَّاء فِي السِّين لقرب المخرجين، وحجتهم فِي أَنهم منعُوا من التسمع الْأَخْبَار الَّتِي وَردت عَن أهل التَّأْوِيل بِأَنَّهُم كَانُوا يتسمعون الْوَحْي فَلَمَّا بعث رَسُول الله (ﷺ) رموا بِالشُّهُبِ وَمنعُوا فَإِذا كَانُوا عَن التسمع ممنوعين كَانُوا عَن السّمع أَشد منعا وَأَبْعد مِنْهُ ؛ لِأَن المتسمع يجوز أَن يكون غير سامع وَالسَّامع قد حصل لَهُ الْفِعْل، قَالُوا: فَكَانَ هَذَا الْوَجْه أبلغ فِي زجرهم؛ لِأَن الْإِنْسَان قد يتسمع وَلَا يسمع، فَإِذا نفي

(١) النشر ٣٥٦/٢.

التسمع عَنهُ فقد نفى سمعهم من جِهَة التسمع وَمن جِهَة غَيره فَهُوَ أبلغ»[1].
وَذكر أَبُو عُبَيْدٍ (ت:٢٢٤هـ) أنّ الْعَرَبَ تَقُولُ: تَسَمَّعْتُ إِلَى فُلَانٍ، وَيَقُولُونَ سَمِعْتُ فُلَانًا، وَلَا يَكَادُونَ يَقُولُونَ سَمِعْتُ إِلَى فُلَانٍ[2]، وعليه فما وجه تعدية الفعل في قراءة التخفيف؟

تعددت رؤى علمائنا القدامى في الإجابة على هذا السؤال، وكانت على النحو الآتي:

• نقل بعضهم أن «الْعَرَب تَقول: سَمِعت زيدا، وَسمعت إِلَى زيد، فَكَذَلِك قَوْله { لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ }، وَقد قَالَ (ﷻ): ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾[الأعراف:٢٠٤]، وَقَالَ: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾[الأنعام:٢٥]، فيعدى الْفِعْل مرّة بـ (إِلَى) وَمرَّة بِاللَّامِ»[3].

فكأن القراءتين بمعنى واحد، قال الآلوسي(ت١٢٧٠هـ)في تفسيره لقوله تعالى﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[الأعراف:٢٠٤]: «والاستماع معروف، واللام جوز أن تكون أجلية، وأن تكون بمعنى إلى، وأن تكون صلة، أي: فاستمعوه»[4].

• وقال مكي (ت:٤٢٧هـ): لأنه جرى مَجْرى مُطاوِعِه وهو يتَسَمَّعُون، فكما كان تَسَمَّع يتعدَّى ب «إلى» تَعَدَّى سَمِع بـ «إلى»، وفَعِلْتُ وافتعلْتُ في

(١) حجة القراءات ٦٠٥، وينظر: المحرر الوجيز ٤٦٦/٤، والجامع لأحكام القرآن ٦٥/١٥.
(٢) مفاتيح الغيب ٣٢٠/٢٦، وينظر: الجامع لأحكام القرآن ٦٥/١٥.
(٣) حجة القراءات ٦٠٥.
(٤) روح المعاني ١٤٠/٥.

التعدِّي سواءٌ، فَتَسَمَّع مطاوع سمِعَ، واستمع أيضاً مطاوع سَمِع، فتعدَّى سَمِعَ تعدِّيَ مطاوعِه[١].

• و(سمع) له استعمالات؛ فيتعدى إلى غير المسموع بنفسه، كسمعت زيداً يتحدث، وبالباء نحو قوله:

صَاحِ، هَلْ رَيْتَ أو سَمِعْتَ بِراعٍ ** رَدَّ فِي الضَّرعِ ما قَرَى في الحِلابِ[٢].

ويتعدى بإلى للمسموع، كسمعت إلى حديثه، وإلى غيره كسمعت إليه يتحدث[٣].

• إلا أن من المحققين قد فرقوا دلاليا بين هذه الاستعمالات، فقال الزمخشري(ت٥٣٨هـ): «فإن قلت: أي فرق بين: سمعت فلانا يتحدّث، وسمعت إليه يتحدّث، وسمعت حديثه، وإلى حديثه؟

قلت: المعدّى بنفسه يفيد الإدراك، والمعدى بإلى يفيد الإصغاء مع الإدراك»[٤].

وبتتبع ما ورد من هذه المادة معدى باللام في الذكر الحكيم نجد أنها تدل على إيثار المسموع بالقبول، واختصاصه بالاستجابة والانقياد له، وهو ما تكتسبه من معنى الاختصاص في اللام، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾[الأعراف:٢٠٤]، وكما في قوله تعالى خطابا لموسى عليه السلام ﴿ **وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ** ﴾[طه:١٣]، وقوله وصفا للمنافقين بالانقياد والتبعية ﴿ **سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ** ﴾[المائدة:٤١]، وقوله في

---

(١) الدر المصون ٢٩٣/٩.

(٢) البيت من الخفيف بلا نسبة في اللسان (ح ل ب، ر أ ى).

(٣) عناية القاضي وكفاية الراضي ٢٦٠/٧.

(٤) الكشاف ٣٦/٤.

وصف ضعاف الإيمان الذين يستجيبون لفتنة المنافقين ويتأثرون بها، ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾[التوبة:٤٧]، كما «قَالَ قَتَادَة وجهور الْمُفَسِّرِينَ: مَعْنَاهُ وَفِيكُمْ مَنْ يَقْبَلُ مِنْهُمْ قَوْلَهُمْ وَيُطِيعُهُمْ»(١).

وما تعدى من هذه المادة بإلى يجيء فيما يدل على وصول المسموع إلى الأذن، وانتهاء الكلام إليها، دون الاستجابة له وقبول العمل بمقتضاه، وهو ما لا يؤدى بغير حرف الانتهاء، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾[الأنعام:٢٥]، وقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾[يونس:٤٢]، وقوله ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾[محمد:١٦]، وقوله ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ﴾[الإسراء: ٤٧]، وهكذا كل ما جاء معدى بإلى في الكتاب المجيد، وجميعه يدل على انتهاء الكلام إلى الآذان دون أن يتجاوزها إلى القبول به والاستجابة له(٢).

• وأكثرهم حمل ذلك على التضمين، فقد استظهر الشهاب الخفاجي(ت١٠٦٩هـ) أن تعديته بإلى على التضمين، ويحتمل التجوّز أيضا(٣)، إلا أنهم اختلفوا، هل التضمين على القراءتين أو على قراءة التخفيف فقط؟ وما المعنى الذي تضمنه الفعل؟

فذهب البقاعي(ت٨٨٥هـ) إلى أن التضمين على قراءة التخفيف دون التشديد، فقال مستعينا بدلالة التضمين في قراءة التخفيف ودلالة الإدغام في

(١) أضواء البيان للشنقيطي ٢١٨/١٠.
(٢) من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم ص٢٢٩.
(٣) حاشية الشهاب ٢٦٠/٧.

قراءة التشديد: «وأكد بُعدهم بإثبات حرف الغاية، فقال مضمناً {سمع} بَعْد قَصرِه معنى «انتهى» أو «أصغى» ليكون المعنى: لا ينتهي سمعهم أو تسمعهم أو إصغاؤهم {إلى الملإ} أي الجمع العظيم الشريف، وأوضحت هذا المعنى قراءة من شدد السين والميم بمعنى يتسمعون، أي بنوع حيلة، تسمعاً منتهياً إلى ذلك، وهو يفهم أنهم يتسمعون، ولكن لا ينتهي تسمعهم إلى ما ذكر، بما أشار إليه الإدغام، ويشير أيضاً إلى أنهم يجتهدون في إخفاء أمرهم»[١]. **بينما ذهب غيره** إلى أن التضمين في القراءتين، سواء ضمن الفعل معنى الانتهاء أو ضمن معنى الإصغاء: فقال ابن كمال باشا (ت٩٤٠هـ) مشيرا إلى معنى الانتهاء: عدي الفعل في القراءتين بإلى؛ لتضمنه معنى الانتهاء، أي: لا ينتهون بالسمع أو التسمع إلى الملأ الأعلى[٢].

بينما ضمن غيره الفعل معنى الإصغاء، و«الصَّغْو فِي اللُّغَةِ مَعْنَاهُ الْمَيْلُ؛ يُقَالُ فِي الْمُسْتَمِعِ إذَا مَالَ بِحَاسَّتِهِ إلَى نَاحِيَةِ الصَّوْتِ أَنَّهُ يُصْغِي، وَيُقَالُ: أَصْغَى الْإِنَاءَ إذَا أَمَالَهُ حَتَّى انْصَبَّ بَعْضُهُ فِي الْبَعْضِ، وَيُقَالُ لِلْقَمَرِ إذَا مَالَ إلَى الْغُرُوبِ صَغَا وَأَصْغَى»[٣]، وَحَقِيقَتُهُ الْمَيْلُ الْحِسِّيُّ، يُقَالُ: صَغَى، أَيْ مَالَ، وَأَصْغَى أَمَالَ.... وَمِنْهُ أَطْلَقَ: أَصْغَى بِمَعْنَى اسْتَمَعَ؛ لِأَنَّ أَصْلَهُ أَمَالَ سَمْعَهُ أَوْ أُذُنَهُ، ثُمَّ حَذَفُوا الْمَفْعُولَ لِكَثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ[٤].

وقال البقاعي(ت٨٨٥هـ) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ** ﴾[الأنعام:١١٣]:

---

(١) نظم الدرر ١٩٦/١٦.

(٢) روح المعاني ٦٨/١٢.

(٣) مفاتيح الغيب ١٢٢/١٣.

(٤) التحرير والتنوير ٨ أ/ ١٢

«{وَلِتَصْغَىٰٓ } أي تميل ميلاً قوياً تعرض به { إِلَيۡهِ }»[1]. ولذلك قال ابن النجيبين الهمذاني (ت٦٤٣هـ): «فأما إتيان (إلى) بعده، فعلى تأويل: لا يميلون إلى الملأ معا»[2].

قال الآلوسي (ت١٢٥٠هـ): «وتعدية الفعل على قراءة الجمهور بإلى؛ لتضمينه معنى الإصغاء، أي: لا يسمعون مصغين إلى الملأ الأعلى، والمراد نفي سماعهم مع كونهم مصغين، وفيه دلالة على مانع عظيم ودهشة تذهلهم عن الإدراك، وكذا على القراءة الأخرى.... بناء على ما هو الظاهر من أن التفعل لا يخالف ثلاثيه في التعدية، واستعمال تسمع مع إلى لا يقتضي كونه غير مضمن، وقيل لا يحتاج إلى اعتبار التضمين عليها والتفعل مؤذن بالطلب فتسمع بمعنى طلب السماع، قيل: ويشعر ذلك بالإصغاء؛ لأن طلب السماع يكون بالإصغاء فتتوافق القراءتان وإن لم يقل بالتضمين في قراءة التشديد، ولعل الأولى القول بالتضمين ونفي طلبهم السماع مع وقوعه منهم حتى قيل: إنه يركب بعضهم بعضا لذلك إما ادعائي للمبالغة في نفي سماعهم أو هو على ما قيل بعد وصولهم إلى محل الخطر لخوفهم من الرجم حتى يدهشوا عن طلب السماع»[3].

والحاصل أن:

• حَرْفُ {إِلَى} يُشِيرُ إِلَى تَضْمِينِ فِعْلِ {يَسَّمَّعُونَ} مَعْنَى يَنْتَهُونَ فَيَسْمَعُونَ، أَيْ لَا يَتْرُكُهُمُ الرَّمْيُ بِالشُّهُبِ مُنْتَهِينَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى انْتِهَاءَ الطَّالِبِ الْمَكَانَ الْمَطْلُوبَ، بَلْ تَدْحَرُهُمْ قَبْلَ وُصُولِهِمْ فَلَا يَتَلَقَّفُونَ مِنْ عِلْمِ مَا يَجْرِي فِي الْمَلَأِ

(١) نظم الدرر ٢٣٤/٧.

(٢) الدرة الفريدة في شرح القصيدة ١٩/٥.

(٣) روح المعاني ٦٨/١٢.

الْأَعْلَى الْأَشْيَاءَ مَخْطُوفَةً غَيْرَ مُتَبَيَّنَةٍ، وَذَلِكَ أَبْعَدُ لَهُمْ مِنْ أَنْ يَسْمَعُوا؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَنْتَهُونَ فَلَا يَسْمَعُونَ[١].

• أو معنى الإصغاء، أي: لا يسمعون مصغين إلى الملأ الأعلى، والمراد نفي سماعهم مع كونهم مصغين، وفيه دلالة على مانع عظيم ودهشة تذهلهم عن الإدراك[٢].

• كما أن حرف الجر(إلى) يحمل دلالة منعهم عن الوصول إلى السماء والتسمع إلى خبرها، بما رصده الله لهم من الشهب الحارقة تكريما لبعثته (ﷺ).

• وقراءة التشديد بمعنى التسمع، وَالتَّسَمُّعُ: تَطَلُّبُ السَّمْعِ وَتَكَلُّفُهُ، فَالْمُرَادُ التَّسَمُّعُ الْمُبَاشِرُ، وَهُوَ الَّذِي يَتَهَيَّأُ لَهُ إِذَا بَلَغَ الْمَكَانَ الَّذِي تَصِلُ إِلَيْهِ أَصْوَاتُ الْمَلَأِ الْأَعْلَى، أَيْ أَنَّهُمْ يُدْحَرُونَ قَبْلَ وُصُولِهِمُ الْمَكَانَ الْمَطْلُوبَ[٣]. فكأنهم أيسوا من السمع، فلم يتعرضوا له، فنفي الطلب أبلغ من نفي الإدراك[٤].

وَحَاصِلُ مَعْنَى الْقِرَاءَتَيْنِ أَنَّ الشُّهُبَ تَحُولُ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ أَنْ يَسْمَعُوا شَيْئًا مِنَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى، وَقَدْ كَانُوا قَبْلَ الْبِعْثَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ رُبَّمَا اخْتَطَفُوا الْخَطْفَةَ فَأَلْقَوْهَا إِلَى الْكُهَّانِ، فَلَمَّا بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا (ﷺ) قَدَّرَ زِيَادَةَ حِرَاسَةِ السَّمَاءِ بِإِرْدَافِ الْكَوَاكِبِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ، حَتَّى لَا يَرْجِعَ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ سَالِمًا كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ ﴾، فَالشُّهُبُ كَانَتْ مَوْجُودَةً مِنْ قَبْلُ وَكَانَتْ لَا تَحُولُ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ تَلَقُّفِ أَخْبَارٍ مُقَطَّعَةٍ مِنَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى فَلَمَّا بعث مُحَمَّد (ﷺ) حُرِمَتِ الشَّيَاطِينُ مِنْ ذَلِكَ[٥].

---

(١) التحرير والتنوير ٩٢/٢٣.

(٢) روح المعاني ٦٨/١٢.

(٣) التحرير والتنوير ٩٢/٢٣.

(٤) شرح الجعبري على متن الشاطبية ٢٢١١/٥.

(٥) التحرير والتنوير ٩٢/٢٣.

الموضع الرابع عشر والخامس عشر: قال تعالى: ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾[الصافات:٤٧]

قرأ الأخوان وخلف﴿ يُنزَفُونَ ﴾ بكسر الزاي، وغيرهم بفتحها[١].

وقال تعالى﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾[الواقعة:١٩]

قرأ الكوفيون بكسر الزاي، وغيرهم بفتحها، واتفق العشرة على ضم الياء فيه[٢].

وقرأ ابن أبي إسحاق[٣]: (وَلا يَنْزِفُون)، بفتح الياء، وكسر الزاي[٤].

وأصل النزف: نزع الشيء وإذهابُه بالتدريج، يقال نزفتُ الماءَ من البئر: إذا نزحته ونزعته كلَّه منها شيئا بعد شيء، ونزف الهمُّ دمعَه: نزعه كله، ويقال: شارب نزيف، أي: نزفت الخمرُ عقلَه بالسُّكر وأذهبته كما ينزف الرجلُ البئر وينزع ماءها، فكأن الشاربَ ظرف للعقل فنُزع منه[٥].

---

(١) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ص٢٦٩.

(٢) السابق ص٣١٢.

(٣) عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي النحوي البصري جد يعقوب بن إسحاق الحضرمي أحد العشرة، أخذ القراءة عرضًا عن يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم، روى القراءة عنه عيسى بن عمر الثقفي وأبو عمرو بن العلاء وهارون بن موسى الأعور، قال معمر بن المثنى: أول من وضع النحو أبو الأسود ثم ميمون الأقرن ثم عنبسة الفيل ثم عبد الله بن أبي إسحاق.... مات سنة تسع وعشرين ومائة قاله خليفة بن خياط، وقال يعقوب: مات جدي عبد الله سنة سبع عشرة ومائة، وهو ابن ثمان وثمانين سنة (غاية النهاية ١/٤١٠).

(٤) قراءة شاذة نسبت لابن أبي إسحاق في المحتسب ٢/٣٠٨ وشواذ القرآن واختلاف المصاحف ٢/ ٧٩٠.

(٥) روح المعاني ٢٣/٥٥.

فـ «النُّونُ وَالزَّاءُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى نَفَادِ شَيْءٍ وَانْقِطَاعٍ، وَنُزِفَ دَمُهُ: خَرَجَ كُلُّهُ، وَالسَّكْرَانُ نَزِيفٌ، أَيْ نُزِفَ عَقْلُهُ.... وَالنَّزْفُ: نَزْحُ الْمَاءِ مِنَ الْبِئْرِ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، وَأَنْزَفُوا: ذَهَبَ مَاءُ بِئْرِهِمْ، وَأَنْزَفُوا: انْقَطَعَ شَرَابُهُمْ.... وَنُزِفَ الرَّجُلُ فِي الْخُصُومَةِ: انْقَطَعَتْ حُجَّتُهُ»[1].

وفي القاموس المحيط: «ونُزِفَ، كعُنِيَ: ذَهَبَ عَقْلُهُ أو سَكِرَ، ومنه: {**ولا يُنْزَفونَ**}...ونُزِفَ فلانٌ دَمَهُ، كعُنِيَ: سالَ حتى يُفْرِطَ، فهو مَنْزُوفٌ ونَزِيفٌ،... وأَنْزَفَ: سَكِرَ، وذَهَبَ ماءُ بئْرِهِ، أو ماءُ عَيْنِهِ، وفَنِيَ خَمْرُهُ»[2].

فوجه كسر الزاي: جعله مضارع أنزف الرجل سَكِر، وعليه قوله:

لَعَمْرِي لَئِنْ أَنْزَفْتُمُ أو صَحَوْتُمُ ** لَبِئْسَ النَّدامَى كُنْتُم آل أَبْجَرَا[3]

على معنى: ولا هم عنها ينزفون، أي ولا هم عن الخمر يسكرون فتزول عقولهم كما تزول بخمر الدنيا.

أو أنزف نفد شرابه، أي لا ينفدُ شرابهم.

ويحمل ﴿ **لَا فِيهَا غَوْلٌ** ﴾ و﴿ **لَّا يُصَدَّعُونَ** ﴾ على الأول على أذىً غير السكر من صداع رأس وجع بطن ليجدد فائدة، وعلى مطلق الأذى على الثاني[4].

---

(١) مقاييس اللغة (ن ز ف) ٤١٦/٥ وينظر: لسان العرب (ن ز ف).

(٢) القاموس المحيط ٨٥٥/١ز

(٣) البيت من الطويل للأبيرد الرياحي من بني عجل في المحرر الوجيز ٤٧٢/٤ وللحطيئة في الجامع لأحكام القرآن ٧٩/١٥ وينظر: اللسان (ن ز ف)، والمحتسب ٣٠٨/٢، ومجاز القرآن ١٦٩/٢، والأغاني ١٤٨/١٣، والدر المصون ٥٠١/٥.

ومقابلته له بصحوتم يدل على إرادته سكرتم.

(٤) شرح الجعبري على الشاطبية ٢٢١٤/٥، والدرة الفريدة في شرح القصيدة ٢٢/٥، والكشف والبيان للثعلبي ٨/ ومعالم التنزيل للبغوي ٣١/٤، وزاد المسير ٥٤١/٣ والكشاف ٤٣/٤.

وَمَنْ فَتَحَ الزَّايَ، فَمَعْنَاهُ: لَا يَذْهَبُ عُقُولُهُمْ، أَيْ لَا يَسْكَرُونَ يُقَالُ نُزِفَ الرَّجُلُ فَهُوَ مَنْزُوفٌ وَنَزِيفٌ، وَالْمَعْنَى لَيْسَ فِيهَا قَطُّ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْفَسَادِ الَّتِي تَكُونُ فِي شُرْبِ الْخَمْرِ مِنْ صُدَاعٍ أَوْ خُمَارٍ أَوْ عَرْبَدَةٍ وَلَا هُمْ يَسْكَرُونَ أَيْضًا، وَخَصَّهُ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ الْمَفَاسِدِ فِي شُرْبِ الْخَمْرِ[١].

ويحتج أبو الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ) للقراءة الشاذة فيقول: «يقال: أنزف عبرته: إذا أفنى دمعه بالبكاء، ونزف البئر ينزفها نزفا: إذا استقى ماءها، وأنزفت الشيء: إذا أفنيته،...فكأنه ــ سبحانه ــ قال: لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يَنْزِفُونَ عقولهم كما ينزف ماء البئر، والنزيف: السكران، وكله راجع إلى معنى واحد»[٢].

فالفرق بين القراءتين المتواترتين تركيبيا ودلاليا يتمثل في:

- أن قراءة الكسر على بناء الفعل للفاعل، أَنزف الرجل يُنزِف إنزافا، «فالهمزة فيه للصيرورة، وقيل للدخول في الشيء ولذا صار لازما»[٣] مثل أقلَّ وأعسر إذا صار قليل المال، و«أَحْصَدَ الزَّرْعُ إِذَا حَانَ حَصَادُهُ، وَأَقْطَفَ الْعِنَبُ إِذَا حَانَ قِطَافُهُ[٤].

وقراءة الفتح على بناء الفعل للمفعول، يقال: نُزِفَ الرجلُ، إذا ذهب عقله، «فَهُوَ مَنْزُوفٌ وَنَزِيفٌ، شَبَّهُوا عَقْلَ الشَّارِبِ بِالدَّمِ يُقَالُ: نُزِفَ دَمُ الْجَرِيحِ، أَيْ أُفْرِغَ، وَأَصْلُهُ مِنْ: نَزَفَ الرَّجُلُ مَاءَ الْبِئْرِ مُتَعَدِّيًا، إِذَا نَزَحَهُ وَلَمْ يبْق مِنْهُ شَيْئا»[٥].

---

(١) مفاتيح الغيب ٣٣٣/٢٦.

(٢) المحتسب ٣٠٨/٢.

(٣) روح المعاني ٨٥/١٢.

(٤) أضواء البيان ٤٢٧/١.

(٥) التحرير والتنوير ١١٤/٢٣.

• والفعل في قراءة الكسر غير متعد، وفي قراءة الفتح متعدي للمفعول، وأصله: ينزفهم الخمر، فلما حذف الفاعل ارتفع المنصوب.

• أنزف مشترك بين سكر ونفد؛ فيقال: أنزف الرجل إذا سكر، وأنزف إذا نفد شرابه، وفتَحَ الزَّايَ مَعْنَاهُ: لَا يَذْهَبُ عُقُولُهُمْ، أَيْ لَا يَسْكَرُونَ.

• وإذا كان الفعل في قراءة الكسر لازما وفي قراءة الفتح متعدي إلى المفعول بنفسه فما دلالة تعديته بحرف الجر «عن» في القراءتين؟

قيل: لتضمينه معنى يَصدُرون، وقيل«عن» للتعليل والسببية(١).

قال الشهاب الخفاجي(ت١٠٦٩هـ): «وتعديته بعن لتضمينه معنى يَصدُرون عنها سكارى»(٢).

فدلالة التضمين تتمثل في إفادة معنى جديد لما أفاده الفعل في القراءتين، وهو أنه مع أنهم لا يسكرون كسكر الدنيا ولا يذهب عقولهم، ينصرفون ويرجعون ويصدرون عنها سكارى في غاية السرور والاهتداء إلى مواضعهم لا يغلط أحد منهم فيه ولا يضل عنه.

وهكذا تضافرت العناصر اللغوية لبيان هذه المعاني ففضلا عما أضافه التضمين من دلالة:

١ــ أفاد تنوع القراءات أن الله (ﷻ) نزه خمر الجنة عَنِ الْآفَاتِ الَّتِي فِي خَمْرِ الدُّنْيَا مِنْ صُدَاعِ الرَّأْسِ وَوَجَعِ الْبَطْنِ وَذَهَابِهَا بِالْعَقْلِ جُمْلَةً، فهي لَا تَغْتَالُ عُقُولَهُمْ، بَلْ هِيَ ثَابِتَةٌ مَعَ الشِّدَّةِ الْمُطْرِبَةِ وَاللَّذَّةِ الْحَاصِلَةِ، وَ لَا مَكْرُوهَ فِيهَا وَلَا أَذًى...

(١) روح المعاني ٢٣/٥٥.

(٢) حاشية الشهاب ٧/٢٦٩.

وإنما صرف الله تعالى السكر عن أهل الجنة؛ لئلا ينقطع عنهم التذاذ نعيمهم[١]، وَخَصَّهُ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ الْمَفَاسِدِ فِي شُرْبِ الْخَمْرِ[٢].

أفادت القراءتان عدم نفاد العقل وعدم نفاد الشراب؛ فحتى تكتمل صورة النعيم في أذهان أصحابه، فقد نفى الله عنها منغصاتها التي تصيب شاربها في الدنيا، ونفى نفاد الشراب؛ لأنها من أنهار جارية غير منقطعة، ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾[محمد:١٥]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ(ت٦٨هـ): فِي الْخَمْرِ أَرْبَعُ خِصَالٍ: السُّكْرُ وَالصُّدَاعُ وَالْقَيْءُ وَالْبَوْلُ، فَذَكَرَ اللَّهُ خَمْرَ الْجَنَّةِ فَنَزَّهَهَا عَنْ هَذِهِ الْخِصَالِ[٣].

وقال البقاعي(ت٨٨٥هـ): «{**ولا هم عنها**} أي عادة بعد شربها {**ينزفون**} أي يذهب شيء من عقولهم وإن طال شربهم وكثر؛ لئلا ينقص نعيمهم ولا ينفد شرابهم أو ما عندهم من الجدة لكل ما يسر به»[٤].

٢ـ أفاد **التنوع الأسلوبي** فيما يعرف بذكر الخاص بعد العام تأكيد الاهتمام بهذا الأمر؛ فـ«أفرد هذا الفساد بالنفي وعطف على ما يعمُّه؛ لأنه من عِظَمِ فساده كأنه جنس برأسه، وله سميت الخمر أم الخبائث، والمراد استمرارُ النفي لا نفيُ الاستمرار»[٥].

---

(١) النكت والعيون ٤٨/٥.

(٢) مفاتيح الغيب ٣٣٣/٢٦.

(٣) تفسير ابن كثير ١٠/٧.

(٤) نظم الدرر ٢٣١/١٦.

(٥) روح المعاني ٥٦/٢٣.

٣ــ اتسق النظم والمعنى للبنية اللغوية في الموضعين؛ فـ «إِنْ كَانَ معنى ﴿ وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ لَا يَسْكَرُونَ، فَنَقُولُ: إِمَّا أَنْ نَقُولَ مَعْنَى: ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ ﴾ أَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمُ الصُّدَاعُ، وَإِمَّا أَنَّهُمْ لَا يَفْقِدُونَ، فَإِنْ قُلْنَا: بِالْقَوْلِ الْأَوَّلِ فَالتَّرْتِيبُ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ؛ لِأَنَّهُ عَلَى طَرِيقَةِ الِارْتِقَاءِ، فَإِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: چ لَّا يُصَدَّعُونَ ﴾مَعْنَاهُ لَا يُصِيبُهُمُ الصُّدَاعُ لَكِنَّ هَذَا لَا يَنْفِي السُّكْرَ فَقَالَ: بَعْدَهُ وَلَا يُورِثُ السُّكْرَ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ: لَيْسَ فِيهِ مَفْسَدَةٌ كَثِيرَةٌ، ثُمَّ يَقُولُ: وَلَا قَلِيلَةٌ، تَتْمِيمًا لِلْبَيَانِ، وَلَوْ عَكَسْتَ الترتيب لا يكون حسنا، وإن قلنا: ﴿ وَلَا يُنزِفُونَ ﴾لَا يَفْقِدُونَ فَالتَّرْتِيبُ أَيْضًا كَذَلِكَ ؛ لِأَنَّ قَوْلَنَا: ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ ﴾ أَيْ لَا يَفْقِدُونَهُ وَمَعَ كَثْرَتِهِ وَدَوَامِ شُرْبِهِ لَا يَسْكَرُونَ فَإِنَّ عَدَمَ السُّكْرِ لِنَفَادِ الشَّرَابِ لَيْسَ بِعَجَبٍ، لَكِنَّ عَدَمَ سُكْرِهِمْ مَعَ أَنَّهُمْ مُسْتَدِيمُونَ لِلشَّرَابِ عَجِيبٌ.

وَإِنْ قلنا: ﴿ يُنَزَفُونَ ﴾ بِمَعْنَى لَا يَنْفَدُ شَرَابُهُمْ، فَنَقُولُ: أَيْضًا إِنْ كَانَ ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ ﴾بِمَعْنَى لَا يُصِيبُهُمْ صُدَاعٌ فَالتَّرْتِيبُ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ ﴾لَا يَكُونُ بَيَانَ أَمْرٍ عَجِيبٍ إِنْ كَانَ شَرَابُهُمْ قَلِيلًا فَقَالَ: ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا ﴾مَعَ أَنَّهُمْ لَا يَفْقِدُونَ الشَّرَابَ وَلَا يَنْزِفُونَ الشَّرَابَ، وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَى لَا يَنْزِفُونَ عَنْهَا فَالتَّرْتِيبُ حَسَنٌ؛ لِأَنَّ مَعْنَاهُ لَا يَنْزِفُونَ عَنْهَا بِمَعْنَى لَا يَخْرُجُونَ عَمَّا هُمْ فِيهِ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهُمْ مَا أُعْطُوا مِنَ الشَّرَابِ، ثُمَّ إِذَا أَفْنَوْهَا بالشراب يعطون»[1].

• وفرّق عاصم بينهما فقرأها في الصافات بالفتح، وفي الواقعة بالكسر؛ فقيل: إنه جمع بين اللغتين ليعلم بجوازهما.

وفرّق بعضهم بين ذلك، فقال: إنما فتح هاهنا لقوله: ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ وهو كلّ ما اغتال الإنسان فأهلكه وذهب بعقله، وكسر في الواقعة؛ لأن الله تعالى وصف

(١) مفاتيح الغيب ٣٩٥/٢٩.

الجنة، وفاكهتها وجعل شرابها من معين، والمعين لا ينفد، فكان ذهاب العقل في الصافات أشبه، ونفاد الشراب في الواقعة أشكل(١).

****

الموضع السادس عشر: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[الصف:٧] قَرَأَ الْجُمْهُورُ(ج) مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ، وقرأ ابن مسعود(ت٣٢هـ)، وعاصم الجحدري(ت١٢٨هـ)، وطلحة بن مُصَرِّفٍ(ت١١٢هـ): **(وَهُوَ يَدَّعِي)** بِفَتْحِ الْيَاءِ وَالدَّالِ وَشَدِّهَا وَكَسْرِ الْعَيْنِ(٢).

معنى قراءة الجمهور: وأي الناس أشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه إلى الإسلام الذي له فيه سعادة الدارين، فيجعل مكان إجابته إليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده إلى الحق: هذا سحر، لأنّ السحر كذب وتمويه(٣).

وأما القراءة الشاذة فإن الفعل «ادَّعَى» يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ إِلَى الْمَفْعُولِ بِهِ، ففي القاموس المحيط: «ادَّعَى كذا: زَعَمَ أَنَّهُ له حَقاً أو باطِلاً»(٤).

فما التفسير اللغوي لتعديه بحرف الجر «إلى» وما دلالته؟ للعلماء في الإجابة على هذا السؤال تأويلان:

---

(١) الحجة لابن خالويه ص٣٠٢.

(٢) قراءة شاذة في المحتسب لابن جني٣٢١/٢، وإعراب القرآن للنحاس ٢٧٧/٤، وزاد المسير ٢٧٨/٤، والجامع لأحكام القرآن ٨٤/١٨، وشواذ القرآن واختلاف المصاحف ٨١١/١.

(٣) الكشاف للزمخشري ٥٢٥/٤.

(٤) القاموس المحيط ص١٢٨٣.

أحدهما قاله الزمخشري(ت٥٣٨هـ) وهو أن يكونَ يَفْتَعِل بمعنى يَفْعَلُ نحو: لَمَسَه والتمَسه[١]، والضميران أعني «**هو**» والمستتر في «**يَدَّعي**» لله تعالى، وحينئذٍ تكون القراءتان بمعنى واحدٍ، كأنَّه قيل: واللَّهُ يدعو إلى الإسلام، وفي القراءة الأولى يكون الضميران عائدَيْن على «**مَنْ**».

والثاني: أنه مِنْ ادَّعى كذا دَعْوَى، ولكنه لَمَّا ضُمِّن «يَدَّعي» معنى يَنْتَمي وينتسبُ عُدِّي بـ «إلى» وإلاَّ فهو متعدٍّ بنفسه، وعلى هذا الوجهِ فالضميران لـ «مَنْ» أيضاً، كما هي في القراءةِ المشهورة[٢].

واقتصر على الثاني أبو حيان (ت٧٤٥هـ)[٣] والشوكاني(ت١٢٥٠هـ)[٤]، والمعنى: ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا، وهو ينتسب إلى الإسلام مدعيا أنه مسلم وليس بذاك[٥].

قال أبو الفتح(ت٣٩٢هـ): ظاهر هذا أن يقال: يَدَّعِي الإسلام، إلا أنه لما كان يَدَّعي الإسلام: ينتسب إليه قال: يَدَّعِي إلى الإسلام، حملا على معناه، كقول الله تعالى ﴿ **هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ** ﴾ [النازعات:١٨]، وعادة الاستعمال: هل لك في كذا، لكنه لما كان معناه أدعوك إلى أن تَزَكَّى استعمل «إلى» هنا، تطاولا نحو المعنى... وهو غور عظيم[٦].

---

(١) قال في الكشاف ٥٢٥/٤ «يَدَّعِي، بمعنى يُدعى؛ دعاه وادّعاه، نحو: لمسه والتمسه».

(٢) الدر المصون ٣١٦/١٠.

(٣) البحر المحيط ١٦٦/١٠.

(٤) فتح القدير للشوكاني ٢٦٣/٥.

(٥) روح المعاني ٢٨٢/١٤.

(٦) المحتسب لابن جني ٣٢١/٢.

وفي هذا التضمين دلالة وإشارة إلى قضية خطيرة، وهي قضية الانتماء والانتساب إلى الإسلام دون أن يتخلق بأخلاقه؛ حيث يدعي أنه مسلم وليس بذاك، فهو ومن أبى الإسلام ووصفه بالسحر سواء في أنهم أظلم الناس.

الموضع السابع عشر- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴾ [المعارج:١-٢]

قَرَأَ الْمَدَنِيَّانِ، وَابْنُ عَامِرٍ { **سَالَ**} بِالْأَلِفِ مِنْ غَيْرِ هَمْزٍ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِهَمْزَةٍ مَفْتُوحَةٍ(١). وقرأ ابن عباس(ت٦٨هـ): {**سَالَ سَيْلٌ**} بغير همز فيهما(٢)، كباع بيع، وهو من السيل المعروف في الماء، وأصله مصدر كالسيلان بمعنى الجريان(٣). والمعنى: اندفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم وأهلكهم(٤).

قال أبو الفتح(ت٣٩٢هـ): السيل هنا: الماء السائل، وأصله المصدر من قولك: سال الماء سيلا، إلا أنه أوقع على الفاعل كقوله:﴿ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ [الملك:٣٠]، أي: غائرا، يؤكد ذلك عندك ما أنشدناه أبو علي(ت٣٧٧هـ) من قوله:

فَلَيْتَكَ حالَ البَحْرُ دونَكَ كُلُّه، ... وكُنْتَ لَقًى تَجْري عَلَيْكَ السَّوائلُ(٥)

قال أبو علي(ت٣٧٧هـ): فتكسيره سيلا على ما يكسر عليه سائل، وهو قولك؛ السوائل- يشهد بما ذكرناه.

---

(١) النشر في القراءات العشر ٣٩٠/٢.

(٢) قراءة شاذة نسبت لابن عباس في مختصر ابن خالويه ص١٦١، والمحتسب ٣٣٠/٢، وشواذ القرآن واختلاف المصاحف ٨٤١/٢.

(٣) حاشية الشهاب ٢٤١/٨.

(٤) الكشاف ٦٠٨/٤.

(٥) البيت من الطويل، للأعشى فى ديوانه ص ٢٣٣، و ط بيروت ص ١٣٧.

ومثل ذلك مما كسر من المصادر تكسير اسم الفاعل لكونه في معناه ما أنشدناه أيضا من قوله:

وإنَّكَ يَا عامِ بنَ فارِس قُرْزُلٍ ** مُعِيدٌ عَلَى قِيل الْخَنَا والهَواجِرِ[1]

فكسر الهجر، وهو الفحش على الهواجر، حتى كأنه إنما كسر هاجرا، ولا هجر، فاعرف ذلك إلى غيره، مما يدل على مشابهة المصدر لاسم الفاعل[2].

وفي تاج العروس: «سَالَ الماءُ، والشَّيْءُ، يَسِيلُ سَيْلاً، وسَيَلاَناً: جَرَى، وأَسَالَهُ، غيرُه، قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾[سبأ:١٢]، أَي أَجْرَيْنَاه »[3].

وأما عن القراءتين المتواترتين، فمن قرأه بالهمز فهو من السؤال لا غير.

ومن قرأ بغير همز فله وجهان:

أحدهما أنّه لغة في السؤال، تقول العرب: سال سائل، وسأل سال، مثل: نال ينال، وخاف يخاف.

والثاني: أن يكون من السيل، قال زيد بن ثابت(ت٤٥هـ) وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم(ت١٨٢هـ): {**سال**}: واد من أودية جهنم يقال له {**سائل**}[4].

---

(١) البيت لسلمة بن الخرشب فى المفضلية ٥: ١٥، والخيل لابن الأعرابى ٧٥. قَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ: هَذَا الْبَيْتُ لسَلَمَةَ بْنِ الخُرْشُبِ الأَنماري يُخَاطِبُ عَامِرَ بْنَ طُفَيْلٍ. وقُرْزُلُ: اسْمُ فَرَسٍ لِلطُّفَيْلِ. وَالْمُعِيدُ: الَّذِي يُعَاوِدُ الشيءَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ. قَالَ: وَكَانَ عُثْمَانُ بْنُ جِنِّي يَذْهَبُ إِلى أَن الْهَوَاجِرَ جَمْعُ هُجْر كَمَا ذَكَرَ غَيْرُهُ، ويَرَى [أَنه مِنَ الْجُمُوعِ الشَّاذَّةِ كَأَنَّ وَاحِدَهَا هَاجِرَةٌ]، كَمَا قَالُوا فِي جَمْعِ حَاجَةٍ حَوَائِجَ، كَأَنَّ وَاحِدَهَا حَائِجَةٌ، قَالَ: وَالصَّحِيحُ فِي هَوَاجِرَ أَنها جَمْعُ هَاجِرَةٍ بِمَعْنَى الهُجْر، وَيَكُونُ مِنَ الْمَصَادِرِ الَّتِي جاءَت عَلَى فَاعِلَةٍ مِثْلَ الْعَاقِبَةِ وَالْكَاذِبَةِ وَالْعَافِيَةِ

(٢) المحتسب ٣٣٠/٢.

(٣) تاج العروس (س ي ل).

(٤) الكشف والبيان للثعلبي ٣٤/١٠، وشرح الهداية ص٧٢٧.

و«السُّؤَالُ: استدعاء معرفة، أو ما يؤدّي إلى المعرفة، واستدعاء مال، أو ما يؤدّي إلى المال، فاستدعاء المعرفة جوابه على اللّسان، واليد خليفة له بالكتابة، أو الإشارة، واستدعاء المال جوابه على اليد، واللّسان خليفة لها إمّا بوعد، أو بردّ ...

والسُّؤَالُ إذا كان للتّعريف تعدّى إلى المفعول الثاني تارة بنفسه، وتارة بالجارّ، تقول: سألته كذا، وسألته عن كذا، وبكذا، وبعن أكثر، ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾[الإسراء:٨٥]، ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾[الكهف:٨٣]،﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ﴾[الأنفال:١]، وقال تعالى:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى ﴾[البقرة:١٨٦]، وقال: ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾[المعارج:١].

وإذا كان السّؤال لاستدعاء مال فإنه يتعدّى بنفسه أو بمن، نحو: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾[الأحزاب:٥٣]، ﴿ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ﴾[الممتحنة:١٠]، وقال: ﴿ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾[النساء:٣٢]»[(١)].

ولما كان السياق الخارجي يقول: إنها «نَزَلَتْ فِي النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ حِينَ قَالَ: ﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ﴾[الأنفال:٣٢]، فَدَعَا عَلَى نَفْسِهِ وَسَأَلَ الْعَذَابَ، فَنَزَلَ بِهِ مَا سَأَلَ يَوْمَ بَدْرٍ فَقُتِلَ صَبْرًا، وَنَزَلَ فِيهِ: ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ [المعارج:١]»[(٢)]، فقد تعددت رؤى اللغويين والمفسرين في وجه تعدية السؤال هنا بالباء.

- **فقيل:** إن الباء زائدة[(٣)] .

---

(١) المفردات للراغب ص٤٣٧، وتاج العروس (س أ ل).

(٢) أسباب النزول للواحدي ص٤٤٥.

(٣) روح المعاني ٦٢/١٥.

• **وقيل:** الباء في قوله {**بِعَذَابٍ**} بمعنى عن، كقوله سبحانه: ﴿**فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا**﴾[الفرقان:٥٩] أي: عنه، وقال علقمة بن عبدة:

فَإِنَّ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنَّنِي ... بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ(١)

أي: عن النساء. ومعنى الآية: سأل سائل عن عذاب واقع نازل: على من ينزل؟ ولمن هو؟ فقال الله سبحانه مجيبا له: {لِلْكافِرِينَ}... أي: على الكافرين، اللام بمعنى على...(٢)، والمفعول محذوف، أي: سأل سائل رسول الله (ﷺ) عن عذاب واقع(٣).

• **وقيل:** ضمن الفعل (سأل) معنى فعل آخر يتعدى بالباء ويتوافق مع السياق، وتعددت رؤاهم في هذا المعنى على النحو الآتي:

١ــ تضمين {**سَأَلَ**} معنى (دعا) فعُدي تعديته، كأنه قيل: دعا داعٍ بعذاب واقع.

وممن ذهب إلى ذلك، الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، حيث قال: «ضمن {**سَأَلَ**} معنى دعا، فعدّى تعديته، كأنه قيل: دعا داع بِعَذابٍ واقِعٍ من قولك: دعا بكذا، إذا استدعاه وطلبه، ومنه قوله **تعالى**﴿**يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ**﴾[الدخان:٥٥](٤). وتبعه أبو السعود العمادي(ت٩٨٢هـ) فقال:«{**سَأَلَ سَائِلٌ**} أي دَعَا داعٍ {**بِعَذَابٍ وَاقِعٍ**} أي: استدعاهُ وطلبَهُ، وهُو النَّضرُ بن الحرث حيثُ قالَ إنكاراً واستهزاءً﴿**إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً**

(١) البيت من الطويل لعلقمة في السبع الطوال ص:٣٣٥، والهمع ٢٢/٢، والمفضليات ص:٧٧٣.

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٣٤/١٠.

(٣) الدرة الفريدة في شرح القصيدة ١٩٥/٥.

(٤) الكشاف ٦٠٨/٤.

﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الأنفال:٣٢]، وقيل: أبُو جهلٍ حيثُ قالَ ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[الشعراء:١٨٧]، وقيلَ: هُو الرسولُ (ﷺ) استعجلَ عذابَهُمْ(١).

وَذُكِرَ عَنْ مُجَاهِدٍ(ت١٠٣هـ): أَنَّ سَأَلَ بِمَعْنَى دَعَا، وَاسْتَدَلَّ لَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى عَنْهُمْ:﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾[الأنفال:٣٢](٢).

٢ــ تضمين {سَأَلَ} معنى عُني واهتم:

فعن قتادة (ت١١٧هـ): سأل سائل عن عذاب الله على من ينزل وبمن يقع؟ فنزلت.

فـ{سَأَلَ} على هذا الوجه مضمن معنى: عُنى واهتم(٣)، وبه قال البيضاوي(ت٦٨٥هـ)(٤) والشهاب الخفاجي(ت١٠٦٩هـ)(٥). وقال الكفوي(ت١٠٩٤هـ): «وَالسُّؤَال كَمَا تعدى بـ(عَن) لتَضَمّنه معنى التفتيش، تعدى بِالْبَاء أَيْضا لتَضَمّنه معنى الاعتناء»(٦).

فإن قلت: بم يتصل قوله {لِلْكافِرِينَ}؟ **قلت:** هو على القول الأوّل متصل بـ{**عذاب**} صفة له، أي: بعذاب واقع كائن للكافرين، أو بالفعل، أي: دعا للكافرين بعذاب واقع، أو بـ{واقع، أي: بعذاب نازل لأجلهم. وعلى الثاني: هو كلام مبتدأ جواب للسائل، أي: هو للكافرين.

---

(١) إرشاد العقل السليم ٢٩/٩.

(٢) تفسير ابن كثير ٢٣٤/٨.

(٣) الكشاف ٦٠٨/٤.

(٤) أنوار التنزيل ٢٤٤/٥.

(٥) حاشية الشهاب ٢٤١/٢.

(٦) الكليات ص٥٠١.

فإن قلت: فقوله {**مِنَ اللَّهِ**} بم يتصل؟

قلت: يتصل بـ{**واقع**}، أي: واقع من عنده، أو بـ{**دافع**}، بمعنى: ليس له دافع من جهته إذا جاء وقته وأوجبت الحكمة وقوعه(١).

٣ـ تضمين {**سَأَلَ**} معنى استهزأ:

قال البقاعي (ت٨٨٥هـ): «ولما كان سؤالهم من وقت مجيء الساعة والعذاب وطلبهم تعجيل ذلك إنما هو استهزاء، ضمن {**سَأَلَ**}: استهزاء، ثم حذفه ودل عليه بحال انتزعها منه وحذفها ودل عليها بما تعدى به فقال، أو أنه حذف مفعول السؤال المتعدي «بعن» ليعم كل مسؤول عنه إشارة إلى أن من تأمل الفطرة الأولى وما تدعو إليه من الكمال فأطاعها فكان مسلماً فاضت عليه العلوم، وبرقت له متجلية أشعة الفهوم، فبين المراد من دلالة النص بقوله: {**بعذاب**} أي: عن يوم القيامة بسبب عذاب، أو مستهزئاً بعذاب عظيم جداً {**واقع**} وعبر باللام تهكماً منهم مثل﴿ **فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾[الانشقاق:٢٤]، فقال: {**للكافرين**} أي الراسخين في هذا الوصف بمعنى: إن كان لهم في الآخرة شيء فهو العذاب(٢).

٤ـ تضمين {**سَأَلَ**} معنى (استعجل) فعُدي تعديته، كأنه قيل: استعجل بعذاب واقع.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ (ت٧٧٤هـ): «فِيهِ تَضْمِينٌ دَلَّ عليه حرف الباء، كأنه مقدر: استعجل سائل بعذاب واقع، كقوله تعالى: ﴿ **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ** ﴾[الحج:٤٧]»(٣).

---

(١) الكشاف ٦٠٨/٤

(٢) نظم الدرر ٣٨٩/٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير ٢٣٤/٨.

٥ـ وقيل: ضمن {سَأَلَ} معنى «بَحَثَ بَاحِثٌ وَاسْتَفْهَمَ»(١).

والحاصل: أنه لا تضمين على القراءة الشاذة، وأما على القراءتين المتواترتين فالتضمين أحد الأوجه التي خرج عليه تعدية الفعل{سَأَلَ} بالباء، بل هو ما عليه جمهور اللغويين والمفسرين.

وتَعْدِيَةُ {سَأَلَ} بِالْبَاءِ يصلح لِمَعْنَى الْاسْتِفْهَامِ وَالدُّعَاءِ وَالْاسْتِعْجَالِ والاستهزاء والاهتمام والبحث.

والمناسب للسياق أن يكون بِمَعْنَى: اسْتَعْجَلَ أَوْ دَعَا؛ لِوُجُودِ الِارْتِبَاطِ بَيْنَ هذه الآية وبين آية الأنفال: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الأنفال:٣٢]، فَإِنَّهُمَا مُرْتَبِطَانِ بالسياق الخارجي. «فالكفار من باب التهكم والاستهزاء، يتحدون رسول اللَّه (ﷺ) ويستنجزونه وعده بوقوع العذاب واستعجاله استنجز مستنجز بعذاب واقع، فحقيقة الآخرة تلقوها بدهش، وأنكروها بعنف، والعذاب واقع بهم لا محالة، لأنه حاصل بتقدير اللَّه (ﷻ) وأن أحدا لا يمكنه دفعه. فالقرآن يواجه المستعجل بوقوع العذاب بسياط لاذعة تفتح الأعين على الخطر الداهم القريب، ولولا الباء لانصرف السؤال إلى حقيقته وهو الاستفتاء وطلب المعرفة، ولخفي عنا غرض السائل المستنجز، فقد ضم إلى السؤال طلب العذاب واستعجاله تهكما وسخرية. والتضمين تعريض بالمعنى وتلويح به وهو أحلى من التصريح وأدمث.

أما من قال بتضمين الباء معنى عن فاحفظ نفسك منه ولا تسترسل إليه، ومن قال بزيادتها، فالبيان المعجز غني عن زيادتها، وإنما تتكشف البراعة عند

(١) البحر المحيط ١٠/١٧١.

معرفة وجه التأويل لهذه الحروف بمعونة المقام ودلالة القرائن، وأنها جاءت لتُكسب المعنى غِنى وفُشُوا، ورفعة وسموا»[1].

وأقول: لا تعارض بين القول بدلالة التضمين والقول بدلالة الحروف، فكلاهما مما يساعد في جلاء المعنى وبيانه وثرائه.

فانطلاقا مما قرره الأعلام من إن(عن) تدل على مجاوزة ما تضاف إليه، أن السؤال حين يتعدى بها، يدل على أن المسئول عنه مغيب عن السائل بعيد عنه، سواء أكان ذلك البعد حسيا أم معنويا، حقيقة أم تجوزا، كما في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾[النازعات:٤٢] حيث أمر الساعة مغيب عن السائل، وهو يستبعد وقوعها، ولذلك كان جوابه ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴾[النازعات:٤٣] مشيرا إلى غاية قربها.

وحين يتعدى السؤال بالباء يدل على أن المسئول عنه ملاصق للسائل ملتبس به، قريب منه، وهذا ما قصد إليه القرآن في آية المعارج، مبالغة في تحقيق وقوع العذاب بالكافرين، وتأكيد لحوقه بهم، فكأن السائل يسأل عما هو واقع به مصاحب له.

وفي هذا ما فيه من النداء على كمال غفلته، وخفة عقله، وغيبة وعيه وإدراكه، فهو لا يشعر بما حوله، ولا يتنبه لخطر محدق به، وهلاك هو منه جد قريب[2].

وقراءة نافع وابن عامر بتخفيف الهمزة أكثر تعجيباً؛ أي: اندفع فمه بالكلام وتحركت به شفتاه؛ لأنه مع كونه يقال: سال يسأل مثل خاف يخاف لغة في

---

(١) التضمين النحوي في القرآن الكريم ١٤/٢.

(٢) من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم ٢٠٤.

المهموز، يحتمل أن يكون من سأل يسأل[١].

وصيغةُ الماضِي للدلالةِ على تحقق وقوعِهِ إمَّا في الدُّنيا وهو عذابُ يومِ بدرٍ، فإنَّ النضرَ قُتِلَ يومئذٍ صَبْراً، وإمَّا في الآخرةِ فهو عذابُ النارِ[٢]. وَقَوْلُهُ: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾ بِمَنْزِلَةِ سُئِلَ؛ لِأَنَّ مَجِيءَ فَاعِلِ الْفِعْلِ اسْمَ فَاعِلٍ مِنْ لَفْظِ فِعْلِهِ لَا يُفِيدُ زِيَادَةَ عَلْمٍ بِفَاعِلِ الْفِعْلِ مَا هُوَ، فَالْعُدُولُ عَنْ أَنْ يَقُولَ: سُئِلَ بِعَذَابٍ إِلَى قَوْلِهِ ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾؛ لِزِيَادَةِ تَصْوِيرِ هَذَا السُّؤَالِ الْعَجِيبِ[٣].

وإذا كان القراء العشرة قد اختلفوا في {سَأَلَ} بين الهمز والإبدال، فما وجه اتفاقهم على{سَائِل}؟

أَجْمع الْقُرَّاء على همز {سَائِل}؛ لِأَنَّهُ إِن كَانَ من {سَأَلَ} بِالْهَمْز فعين الْفِعْل همزَة، وَإِن كَانَ من {سَالَ} بِغَيْر همز فالهمزة بدل من الْيَاء، كَمَا تَقول سَار فَهُوَ سَائِر[٤]. قال الرازي(ت٦٠٦هـ): « أَمَّا {سَائِل}، فَقَدِ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ فِيهِ غَيْرُ الْهَمْزِ ؛ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ مِنْ سَأَلَ الْمَهْمُوزِ فَهُوَ بِالْهَمْزِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَهْمُوزِ كَانَ بِالْهَمْزِ أَيْضًا نَحْوَ قَائِلٍ وَخَائِفٍ، إِلَّا أَنَّكَ إِنْ شِئْتَ خَفَّفْتَ الْهَمْزَةَ فَجَعَلْتَهَا بَيْنَ بَيْنَ[٥].

ويرد أيضا سؤال مؤداه: ما دلالة اختلافهم في هذا الموضع دون غيره من مواضع السؤال؟

---

(١) نظم الدرر ٣٨٩/٢٠.

(٢) إرشاد العقل السليم ٢٩/٩.

(٣) التحرير والتنوير ١٥٤/٢٩.

(٤) حجة القراءات ص٧٢٢.

(٥) مفاتيح الغيب ٦٣٨/٣٠.

والجواب: أنه «قَدْ يَكُونُ لِبَعْضِ الْقَبَائِلِ لُغَتَانِ فِي فِعْلٍ وَاحِدٍ، وَإِنَّمَا اجْتَلَبَ هُنَا لُغَةَ الْمُخَفَّفِ؛ لِثِقْلِ الْهَمْزِ الْمَفْتُوحِ بِتَوَالِي حَرَكَاتٍ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ وَهِيَ أَرْبَعُ فَتَحَاتٍ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَرِدْ فِي الْقُرْآنِ مُخَفَّفًا فِي بَعْضِ الْقِرَاءَاتِ إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ؛ إِذْ لَا نَظِيرَ لَهُ فِي تَوَالِي حَرَكَاتٍ، وَإِلَّا فَإِنَّهُ لَمْ يَقْرَأْ أَحَدٌ بِالتَّخْفِيفِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي** ﴾[الْبَقَرَة:١٨٦] وَهُوَ يُسَاوِي ﴿ **سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ** ﴾ بَلْهَ قَوْلَهُ: ﴿ **سَأَلْتَهُمْ** ﴾ [التوبة:٦٥] وَ﴿ **تَسْئَلُهُمْ** ﴾ [يوسف:١٠٤] و ﴿ **لَا يَسْئَلُونَ** ﴾ [البقرة: ٢٧٣][(١)].

(١) التحرير والتنوير ١٥٤/٢٩.

الخاتمة

وبعد، فقد أقر البحث حقائق وأثمر نتائج ، منها :

• القراءات القرآنية نبعٌ غزيرٌ، وكنزٌ وفيرٌ بالظواهر اللغوية، وكلُّ ظاهرةٍ تتشعب إلى ظواهر عدة تصلح معظمها أن تكون أبحاثا مفيدة تنتظر جهود الباحثين للكشف عنها، خدمة للقرآن ولغته، ولفكرنا الأصيل، وتراثنا الخالد المثقل بشتى فروع المعرفة.

• التضمين ظاهرة لغوية، شغلت اللغويين قديما وحديثا، وأصل هذه الظاهرة أن حروف الجر يتداخل بعضها مع بعض، فعدّ ذلك فريق من اللغويين من باب نيابة حرف عن حرف آخر، وعده المحققون من باب التضمين.

• وأكثر من عُني به ونبه على مكانته وأثره في الدلالة ابن جني وأبو هلال العسكري وابن تيمية وابن القيم والبقاعي والشهاب الخفاجي والآلوسي وابن عاشور وغيرهم.

• يعد التضمين جزءا من ظاهرة عامة يطلق عليها في الدرس النحوي واللغوي ظاهرة (الحمل على المعنى)، فهو باب واسع من أبواب التوسع في المعنى، اعتمد عليه المحققون في إبراز سمات العربية، ودقتها في التعبير.

• التضمين يدور في فلك الصناعة الإعرابية الذي يعتمد على ركنين هما: اللفظ والمعنى.

• للتضمين دور إيجابي هام في توجيه المشاكل النحوية والتفسيرية، فيجب ملاحظته واستخدامه للحصول على نتائج مذهلة في حقل التفسير والتأويل والتعليل، فهو وسيلة لإيصال قارئ القرآن إلى بلاغة النص القرآني، ودلالات الألفاظ والتراكيب بأبهى صورة.

• التضمين موضوع دلالي أكثر مما هو موضوع يتعلق بالقواعد النحوية، فهو –على اختلاف الآراء فيه– له صلة قوية بعلم الدلالة فسواء كان الحرف

نائباً عن أخيه في معناه على سبيل الوضع أو المجاز، أو كان الفعل مضمناً معنى آخر فإن ذلك ــ ولا شك– يرتبط بالدلالة ارتباطاً وثيقاً؛ إذ موضوعها هو البحث في المعنى وتنقله بين الألفاظ.

• دراسة ظاهرة التضمين تمكننا من معرفة كيفية تعامل العرب مع لغتهم، كما تدل على سعة اللغة العربية ومرونتها، وتبين لنا جوانب شتى من جوانبها المضيئة التي فاقت بها لغات العالم قاطبة.

• للتضمين أثر مهم في تفسير بعض التراكيب اللغوية التي ظاهرها لا يتواءم مع أساليب اللغة.

• وهو وسيلة من وسائل اللغة المحفزة لشحذ الذهن للوصول إلى أفق فكري ولغوي جديد في إضافة معنى آخر لتحليل النصوص والتراكيب بتقوية المعنى بما يسهم في إضفاء صورة ورؤية جديدتين باتجاه قراءة أخرى في ضوء المعاني النحوية المستقاة من التضمين.

• التضمين يكسب الجملة دلالة إضافية ليس لمجرد تفسير تلك النصوص، بل تأويل لما يمكن أن يحمل من دلالات لا على ظاهر اللفظ، بل على وجه يحتمل المجاز والحقيقة معا، مما يعني إمكانية نقل الكلام من صورة إلى أخرى من دون تغيير في التركيب.

• التضمين أحد أبرز الأساليب التي خرجت عليها كثير من الاستعمالات في القرآن الكريم، وفي كلام العرب دون تكلف، وقد خرج عليه كثير من المفسرين كثيراً من الآيات القرآنية الكريمة.

• في التضمين دلالة لا نلتمسها في الكلام إذا اعتبرنا الحرف نائبا عن الآخر، حيث يكشف لنا من المعاني الدقيقة والأسرار الدلالية ما لا تفيده النيابة، فهو يفجر المعاني الكامنة وراء التركيب اللغوي، ويكسب اللفظ ظلالا ودلالات متنوعة.

• التضمين لا يلغي معنى الكلمة الأصيل، وإنما نلحظ فيه هذا المعنى الأصل الموضوع له الفعل، مع وجود معنى يدل عليه الحرف الذي يتعدى به عادة فعل آخر فيجمعهما حقل دلالي واحد.

• لا تعارض بين القول بالتضمين والقول بدلالة الحروف، فكلاهما إذا نظر إليهما بدقة يضفي على الأسلوب والكلام جمالا ودلالات يتسع لها المقام.

• كان التضمين أحد الأمور التي خرجت عليه كثير من القراءات المتواترة والشاذة، مما يدل دلالة واضحة على اعتماده لدى اللغويين والمفسرين والقراء.

• وصفوة القول: إن التضمين الدلالي تحمل فيه الأداة على معنى وظيفي لأداة أخرى بقرائن السياق، وبمعنى آخر تؤدي وظيفة ثانوية إلى جانب وظيفتها الأساسية.

• قدم المبحث الثاني دراسة تطبيقية لسبعة عشر موضعا، تنوعت بين متواتر وشاذ، قيل في إحداها أو فيهما بالتضمين.

• ويوصي البحث بضرورة استنهاض الهمم وشحذ العزائم لتتجه صوب دراسة القراءات القرآنية -متواترها وشاذها- كشفاً لمكنون معانيها وإظهار جمالها وروعتها؛ لتُستَشعر حلاوة آيات الكتاب وجمال المبنى وطلاوة الدلالة والمعنى.

• إن هذا -وما لم أذكره – عن الفائدة التي يمكن أن نخرج منها من دراسة التضمين في القراءات القرآنية لم أكن أول طارق لبابه، وإنما ألقيت بدلوي مع الدلاء في بحر القرآن الزاخر الذي لا تنفد مكامن الجمال والإيحاء فيه مما تقادمت الأيام، فدراستي ما هي إلا استزادة من بضاعة القرآن التي تجارتها لا تبخس أبدا.

****

المصادر والمراجع

إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع للإمام الشاطبي (ت ٥٩٠هـ): للإمام عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة الدمشقي (ت ٦٦٥هـ)، تحقيق وتقديم وضبط: إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة مطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده بمصر.

الإتقان في علوم القرآن: للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١ه)، تحقيق: د. محمد متولي منصور، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٨ه/٢٠٠٧م.

أثر السياق في فقه معاني القراءات (اختلاف المعاني الوضعية في القراءات المتواترة نموذجا): د. حمدي صلاح الهدهد، بحث منشور بكتاب المؤتمر العلمي الدولي الثاني " معالم التلاقي بين علوم اللغة العربية والعلوم الإسلامية"، كلية اللغة العربية بالزقازيق، المجلد الثالث ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (ت: ٥٨٧هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

بدائع الفوائد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.

بداية المجتهد ونهاية المقتصد: لأبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (ت: ٥٩٥هـ)، دار الحديث – القاهرة،١٤٢٥هـ-٢٠٠٤ م.

البرهان في علوم القرآن: للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ) تحقيق: د. محمد متولي منصور، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م

البلاغة في القراءات الشاذة عند ابن جني: د. عبد المنعم سيد عبد السلام الأشقر، مطبعة الأمانة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

تاج العروس من جواهر القاموس: للزبيدي (أبي الفيض السيد محمد بن محمد عبد الرازق مرتضي ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: علي هلالي، ط حكومة الكويت ١٩٦٦م.

تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح): لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م.

التبيان في أقسام القرآن: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

التحرير والتنوير= «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ): الدار التونسية للنشر، تونس: ١٩٨٤م.

التضمين النحوي في القرآن الكريم: د. محمد نديم فاضل، دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥ م.

التضمين النحوي وأثره في المعنى: د. هادي أحمد فرحان الشجيري، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، العدد الثلاثون، ذو القعدة ١٤٢٦هـ/ديسمبر ٢٠٠٥م.

التضمين في القرآن الكريم قراءة جديدة ودراسة تطبيقية لشواهد قرآنية مختارة: عبد الجبار فتحي زيدان، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد ١١ العدد٤، ٢٠١٢م.

التضمين في النحو العربي: منيرة محمود الحمد، مجلة جامعة الملك سعود، الرياض، المجلد الخامس، العدد الثاني ١٩٩٣م.

التضمين في حروف الجر دراسة في معاني القرآن للفراء: د. كاظم إبراهيم كاظم، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا.

التضمين في صحيح البخاري: د. حكم عمر وهيب، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد ١٤ العدد ٥، ٢٠٠٧م.

التضمين وأثره في النحو العربي. دراسة واستشهاد: د. عبد العظيم فتحي خليل، مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة ع ٢١.

التضمين وأثره في نمو اللغة: د. عبد الغفار هلال، بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة ع ٧ ص ٧٩ وما بعدها، ومجلة الأزهر السنة ٧٩ ج ١ ص ١٠٨ وج ٢ ص ٢٩٩.

التضمين: صلاح الدين الزعبلاوي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، صفر ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

التعدية بالتضمين إلى مفعولين في أفعال القرآن الكريم: د. ناظم علي عبادي، مجلة آداب ذي قار، المجلد ١، العدد ٤، ٢٠١١م.

التعدية والتضمين في الأفعال في العربية: عبد الجبار توامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ١٩٩٤م.

تفسير البحر المحيط: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

تناوب حروف الجر في لغة القرآن: د. محمد حسن عواد، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

جامع البيان في تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري (ت ٣١٠هـ) دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٩٨م.

الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)، راجعه وضبطه وعلق عليه د. محمد إبراهيم الحفناوي، خرج أحاديثه د. محمود حامد عثمان، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٧١٦هـ/١٩٩٦م.

حجة القراءات: للإمام الجليل أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

الحجة في القراءات السبع لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٢٧٠هـ)، تحقيق/أحمد فريد المزيدي، قدم له د/فتحي حجازي، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولي. ١٤٢٠ هـ-١٩٩٩م.

الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد: تصنيف أبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي (ت: ٣٧٧هـ)، حققه بدر الدين قهوجي، بشير جويجاني، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث.

حقيقة التضمين ووظيفة حروف الجر: د. أحمد عبد الستار الجواري، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٣٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

الخصائص: صنعة أبي الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة ١٩٩٩م.

الدُّرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون: للإمام شهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) تحقيق وتعليق الشيخ/علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، د/جاد مخلوف جاد، د/زكريا عبد المجيد النوتي، قدم له وقرظه د/أحمد محمد صبره، دار الكتب العلمية بيروت لبنان. الطبعة الأولي ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن – دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لشهاب الدين أبي الثناء محمود بن عبد الله الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

زاد المسير في علم التفسير: عبد الرحمن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

سر صناعة الأعراب: لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) دراسة وتحقيق: د. حسن هنداوي دار القلم، دمشق، ط١،١٩٨٥م.

سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت٧٤٨هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

شرح الجعبري على متن الشاطبية المسمى كنز المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني، تحقيق/فرغلي سيد عرباوي، مكتبة أولاد الشيخ ط ١ سنة ٢٠١١ م.

شرح طيبة النشر في القراءات العشر: لأبي القاسم النويري، تحقيق وتعليق عبد الفتاح السيد سليمان أبو سنة، مجمع البحوث الإسلامية. القاهرة ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م

شواذ القرآن واختلاف المصاحف: شمس الدين الكرماني محمد بن أبي نصر بن عبد الله (ت بعد ٥٦٠هـ)، تحقيق: أ.د/الموافي الرفاعي البيلي، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) شرح وتحقيق: السيد أحمد صقر، سلسلة الذخائر ٩٩، الهيئة العامة لقصور الثقافة، يوليو ٢٠٠٣ م، قدم هذه الطبعة: أ.د عبده الراجحي.

عبقري اللغويين أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ): د. عبد الغفار حامد هلال، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٦ م.

العربية خصائصها وسماتها: د. عبد الغفار حامد هلال، مكتبة وهبه، ط٥، ١٤٢٥ هـ/٢٠٠٤ م.

الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها: لأبى القاسم يوسف بن على بن محمد المغربي (ت ٤٦٥ هـ) تحقيق وتعليق/الشيخ جمال بن السيد رفاعي الشايب، مؤسسة سما، ط١، ١٤٢٨ هـ-٢٠٠٧ م.

الكتاب المختار في معاني قراءات أهل الأمصار: لأبي بكر أحمد بن إدريس (ق٤هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن حميد الجهني مكتبة الرشد، ط ١ ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

الكتاب لسيبويه(ت١٨٠هـ): تحقيق: أ. عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٢٨م.

كشاف اصطلاحات الفنون: للشيخ العلامة محمد علي بن علي بن محمد التهانوي (ت بعد ١١٥٨م)، وضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ)، تح/عبد الرازق المهدي، دار الإحياء التراث، بيروت.

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: لحاجي خليفة مصطفي بن عبد الله (ت ١٠٦٧هـ) دار الفكر، بيروت ١٤١٠هـ _ ١٩٩٠م.

الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، (ت ٤٣٧هـ) تحقيق/الشيخ عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة. ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

الكشف والبيان في تفسير القرآن (المعروف بتفسير الثعلبي): لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٢٤٧هـ) تح/الشيخ سيد كروي حسن، ط منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت.

الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية): لأبي البقاء أيوب بن موسي الحسيني الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه: عدنان درويش، ومحمد المصري ط٢ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

اللباب في علوم الكتاب: لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي (ت ٨٨٠هـ) تحقيق/الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخر، ط دار الكتب العلمية، بيروت ط١ ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

لسان العرب: للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، دار صادر ـ بيروت، الطبعة السادسة ٢٠٠٨م.

لطائف الإشارات لفنون القراءات: للإمام أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلان (ت ٩٢٣هـ)، تحقيق/مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤٣٤هـ.

المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: لأبي الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ): تحقيق/علي النجدي ناصف، د/عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، القاهرة ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ) تح/عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

معاني القرآن: لأبي زكرياء يحيي بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) تحقيق د/عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مراجعة: أ/علي النجدي ناصف، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١ م.

معاني القرآن وإعرابه للزجاج أبي أسحق غبراهم بن السِّري (ت ٣١١هـ) شرح وتحقيق د/عبد الجليل عبده شلبي، خرج أحاديثه أ. علي جمال الدين محمد. دار الحديث. القاهرة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر -دمشق، الطبعة السادسة، ١٩٨٥م.

مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني لأبي العلاء الكرماني (ت بعد٥٦٣هـ)، دراسة وتحقيق: د/عبد الكريم مصطفي مدلج، تقديم: د/محسن عبد الحميد، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت٦٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولي ١٤٢١هـ.

مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) تح: الشيخ عبد السلام هارون، طبعة اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم: د. محمد الأمين الخضري، مكتبة وهبه، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

منهج ابن الجزري في كتابه «النشر» مع تحقيق قسم الأصول: السالم محمد محمود أحمد الشنقيطي،

(رسالة دكتوراه)، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢١هـ.

الموضح في وجوه القراءات وعللها: للإمام نصر بن على بن محمد بن أبى عبد الله الشيرازي الفارسي اللغوي النحوي المعروف بابن أبى مريم (ت بعد ٥٦٥هـ) تحقيق ودراسة د/عمر حمدان الكبيسي، مكتبة التوعية الإسلامية للتحقيق والنشر والبحث العلمي الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

النشر في القراءات العشر: للإمام المحقق محمد بن محمد بن محمد الجزري (ت ٨٣٣ هـ)، دراسة وتحقيق من أول (باب فرش الحروف) إلى آخر الكتاب، إعداد: محمد بن محفوظ بن محمد أمين الشنقيطي، (رسالة ماجستير) بكلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، الرقم الجامعي ٤٢٠٨٥٠٥٢ سنة ١٤٢٥هـ

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (د.ت).

جريدة البحث

م	الموضوع	الصفحة
١	المقدمة	٤٧٥
٢	المبحث الأول: الدراسة النظرية، وفيها ستة مطالب:	٤٧٩
٣	المطلب الأول: التضمين في ضوء المعجم والاصطلاح	٤٨١
٤	المطلب الثاني: التضمين اللغوي والدلالة	٤٩٠
٥	المطلب الثالث: القرائن الدالة على التضمين	٥٠٦
	المطلب الرابع: أنواع التضمين ومجالات استعماله	٥١١
٦	المطلب الخامس: التضمين اللغوي بين القياس والسماع	٥١٣
٧	المطلب السادس: التضمين بين الحقيقة والمجاز	٥١٤
٨	المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية، وفيه دراسة القراءات المتواترة والشاذة الوارد فيها ظاهرة التضمين مرتبة حسب سور القرآن الكريم	٥١٧
٩	الخاتمة	٦٢٩
١٠	ثبت بأهم المصادر والمراجع	٦٣٢
١١	جريدة البحث	٦٤٢

بحمد الله

انتهى، والله الموفق لكل خير